إحذروا أشد الفتن قاطبة

الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة يجتاحون العالم

تحت لواء الماسونية الصهيونية العالمية

دراسة منهجية موثقة غيرمسبوقة لنبؤات الرسول (ﷺ) حول الدجال والدابة وما ورد فى القرآن الكريم عن يأجوج ومأجوج وسد ذى القرنين الحديدى تستند إلى الكتاب والسنة فى تجديد الخطاب الدينى

للكاتب الإسلامى

محمد السادات

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة يجتاحون العالم

تأليف: محمد السادات

رقم الإيداع: 2016/9806

الترقيم الدولى: 9-15-15-977-978

الطبعة الأولى ٢٠١٦

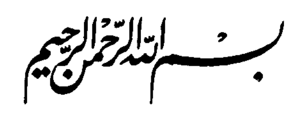


القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا

٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com



مقدمة
وباب تمهيدى

لقد شهد المنصفون من المؤرخين، وما يزالون، أن نبوءات النبى العربى محمد ﷺ قد صدقت، ما تزال تصدق على مر الأيام وعبر السنين والقرون.

ولقد جاء دور عصر العلم والتكنولوجيا والإنترنت فى الثلاثة قرون الأخيرة وزماننا المعاصر ليأتوا بالشهادة الكبرى على صدق دعوة ودين ونبوءات الرسول الصادق الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه.

فمنذ ما يجاوز أربعة عشر قرنا، وفى صحراء الجزيرة العربية القاحلة،، نشأ اليتيم الأمى محمد بن عبدالله وأعلن بعدما أوحى إليه من الله عز وجل أنه رسول الله تعالى إلى العالمين مصداقا لبشارات الرسل والكتب السماوية أنه خاتم النبيين والرحمة المهداة من الرحمن الرحيم للعالمين، ودعا الناس إلى الوحدانية الأحدية والتوحيد الحق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فكذبه قومه وأقاربه وسخروا مع الناس منه،، ولكن الذين أنار الله تعالى عقولهم وقلوبهم بالإيمان آمنوا به وصدقوا بدعوته وأتبعوه بإخلاص ويقين.

ولقد أخبر محمد ﷺ قومه والإنسانية جمعاء من بعد باعتباره خاتم النبيين ونبى

آخر الزمان بنبوءات كثيرة تتعلق بالمستقبل سواء القريب أو البعيد حتى قيام الساعة، فقال لهم - على سبيل المثال: إن الله تعالى سيفتح له مكة وأن الجزيرة العربية بأكملها ستدخل فى الإسلام، وبشرهم بأن الله عز وجل سيهزم امبراطوريتى فارس والروم على أيدى المسلمين، وأن دين الله تعالى سينير أرجاء البلاد الواسعة.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

(تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحها الله).

«عن نافع بن عتبة فى صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وابن ماجه».

وفتح الله مكة لنبيه فتحا مبينا ودخلت قبائل الجزيرة العربية على بكرة أبيها فى الإسلام، وغزا المسلمون امبراطوريتى فارس والروم وفتحهما الله لهم، ولبس «سراقة» سوارى كسرى كما وعده النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة على خفية من أهلها الذين كانوا يبحثون عنه ويقصون أثره فى الصحراء ليقتلوه.

وأنار الإسلام أرجاء البلاد التى تنبأ الرسول الكريم ﷺ بدخول دين الله إليها قبل غيرها من الأمم.

ولا ريب ولا جدال بأن جميع نبوءات خاتم النبيين فيما يتعلق بالأزمنة السابقة قد صدقت جميعا **بشهادة المنصفين من الباحثين والعلماء والمفكرين والمثقفين والمؤرخين على مستوى العالم وشهد فى ذلك التاريخ وأحداثه.**

وأما فيما يتعلق بالأزمنة اللاحقة، فقد تنبأ الصادق الأمين بالكثير من البشارات والنذر. وتحققت كل نبوءة فى زمنها، **ولا تزال الأيام تثرى وتشهد على تحقق المزيد من تلك النبوءات.**

وما برح الناس يعلمون الجديد والمزيد عن صدق الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيصدقون به ويؤمنون برسالته وبكونه رسول الله الذى ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى إليه من عالم الغيب والشهادة العلى القدير سبحانه وتعالى.

ولقد نقلت إلينا أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الموثقة الصحيحة الكثير من النبوءات المتعلقة بزماننا المعاصر.

فلقد نبأنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن الأمم توشك أن تداعى على المسلمين مستضعفة إياها، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، كل يريد أن يأكل قبل غيره، وأن المسلمين حينئذ لن يكونوا قلة بل كثرا، ولكنهم سيكونون كغثاء السيل منغمسين فى حب الدنيا، مثقلة كواهلهم بالاختلاف والشقاق والضعف والوهن، فارغة قلوبهم من الإخلاص الحق لدين الله، **فالإسلام على شفاههم اسم يتردد لا يفقهون معناه، وفى مجتمعاتهم جسد لا روح فيه**، فقال صلوات الله وسلامه عليه:

(يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: يا رسول الله: فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم كغثاء السيل، يُجعل الوهن فى قلوبكم، ويُنزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم بالدنيا).

«مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود عن ثوبان».

ولقد تنبأ خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم عن تقدم الإنسان فى ميادين العلم والاكتشاف والاختراع وتنبأ بأنه سيحقق سيطرة عظيمة على الأرض برا وبحرا وجوا، ويحرز تقدما عظيما فى مجالات الزراعة والرى واستصلاح الأراضى والسيطرة على مياه الأنهار والتحكم فيها من خلال إقامة السدود العظيمة، فيجرى الماء بأمره ويرده بأمره، وأنه سيتمكن من استصلاح الأراضى الصحراوية وتحويلها إلى جنات وارفة الظلال معمورة بالأبنية العالية والقصور المرفوعة. كما أنه سيتمكن

من تجميد الماء وتحويله إلى جليد فى أى وقت يشاء.

وأما عما تحويه الأرض وبطونها من كنوز فقد تنبأ خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه بأن الإنسان سيتقدم فى مجالات اكتشاف واستخراج جميع كنوز الأرض كالنفط والمعادن الثمينة مثل الذهب والفضة والماس والأحجار الكريمة، والمعادن الأخرى كالحديد والنحاس وغيرها، بالإضافة إلى استخراج كنوز البحر وما فيه من زينة وحلية ومعادن. ومن الجدير بالذكر أن الرسول الكريم قد بين بوضوح أن كنوز الأرض الثمينة لن تظل بعد استخراجها فى أرضها، بل ستنقل بالطائرات إلى بلاد أخرى بسرعة وترتيب ونظام.

وتنبأ حضرته أيضا عن استخدام الكهرباء التى تجمع الناس فى البيوت والقرى والمدن، وكذلك عن استخدام الطاقة الشمسية للأغراض الحرارية وغيرها - وسنعرض للأحاديث التى تناولت تلك النبوءات بعون الله وتوفيقه.

ولقد تناولت نبوءات رسول الله وخاتم النبيين أيضا الكثير من الملامح والسمات المميزة لعالمنا المعاصر سواء كان المادى منه أو الروحى بدقة وتفصيل مذهلين، إذ بينت أن أصحاب الحضارة الغربية الصليبية المادية الساحقة سيرفعون شعار السلام والتدين والصلاح فى الوقت الذى تكون التجارة والدجل هما الأساس الذى تقوم عليه حضارتهم وقوتهم المادية الشاملة التى يسيطرون من خلالها على البلاد والعباد ويتحكمون فى الناس والخلق بفتنة غير مسبوقة فى حجمها ومدى تأثيرها منذ خلق الله الأرض وإلى قيام الساعة.

وتشير نبوءات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأن بنى إسرائيل هم الذين سيكونون فى حقيقة الأمر أرباب هذه الهيمنة المادية والفتن الشديدة المدمرة غير المسبوقة إذ سيأتون الناس والمسلمين خاصة تحت رايات متعددة وغايات كثيرة، وتحت شعارات

أخلاقية مزيفة مرتدين مسوح الكهنة والرهبان مستخدمين وموظفين لمصالحهم المادية البحتة المسيحية بعد أن قاموا بتحريفها عن تعاليم المسيح عليه السلام الصحيحة فجعلوها تزعم بأن الله - سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون - قد اتخذ ولدا وأن الشريعة لعنة - والتبشير بهذه التعاليم المسيحية فى جميع أرجاء الأرض منتقلين على متون السفن الهائلة التى تركب الموج وتطوى بهم البحار بقوة الطاقة البخارية والنارية وكذلك على متون الطائرات السريعة (النفاثة والأسرع من الصوت) التى تطوى لهم الأرض منهلا منهلا وتسبق بهم الشمس فى اتجاهها إلى مغربها.

وتنبأ عليه أطيب الصلاة والسلام بأن أرباب هذه الحضارة المادية والشعارات الأخلاقية المزيفة سيقسمون العالم إلى معسكرين يشعلان بهما نار الفتن والحروب جالبين بذلك الخراب والدمار على العالم بعد أن تكون البلاد والعباد كلها قد خضعت لسيطرة هاتين القوتين بشكل أو بآخر بسبب ما تملكان من جبال الطعام والثروات والسلاح وأسباب الطاقة المادية والقتالية.

كما تنبأ المصطفى ﷺ - كما سنرى بعد - فى أحاديثه بأن هذه الحضارة المادية المشركة والملحدة العوراء لن تجلب الدمار على دول العالم فحسب بل ستقع هى أيضا فى شرور أعمالها، فتجلب بذلك دمارا هائلا مروعا على نفسها وحضارتها المادية العوراء، وذلك من خلال تطاحنها فى حروب يموج بعضها فى بعض فيدمرها الله تعالى دمارا لا تقوم لها بعده قائمة. وعلى أنقاض هذه الحضارة المادية الدجالة العوراء (التى هى من وجهة نظرنا وفى رأينا تمثل حقيقة المسيخ الدجال كما سيأتى شرحه فيما بعد) سيقيم العلى القدير العليم الحكيم عالما ونظاما جديدين يعم فيهما الأمن والسلام الموعودان من خلال انتشار دينه الحق مصداقا لوعده عز وجل فى كتابه المجيد.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة: ٣٣].

وينتشر عند ذلك دين السلام العالمى (الإسلام) فى الأرض كلها ويأمن الإنسان من كل شر وخطر، وتتوحد الغايات إلى الله وحده الواحد الأحد، وتتعانق القلوب بالإيمان الحق وينزل الغيث من السماء فترد الأرض بركتها، ويعم الناس الخير فى كل مكان، وتعيش البشرية جميعا فى هناء وطمأنينة وسعادة، وذلك هو اليوم الموعود الذى وعد الله به المؤمنين فى كتابه المجيد.

وقد يحق فى هذا الصدد للمسلم وغير المسلم - وأنا أكاد أرى الكثيرين من غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم سيقرأون بإمعان هذا الكتاب لما يتعلق عنوانه وموضوعه ومضمونه من أهمية قصوى لديهم - لمن لم يطلع على هذه النبوءات الموثقة عن رسول الله وخاتم النبيين أن يتساءل كيف لنا أن نصدق بأن الرسول محمدا، قد قال حقا هذه النبوءات المذهلة؟

وردا على ذلك فإن الدليل الدامغ الحاسم والبرهان الواضح على دعوانا هو ما سنورده من أحاديث صحيحة موثقة تذكر نبوءات الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه المتعلقة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدخان المبين ودابة الأرض وبقية آيات الله التى أنذر الله تعالى بها بالوحى إلى رسوله الصادق الأمين البشرية والإنسانية جمعاء بظهورها يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[سبأ: ٢٨].

ومن الأهمية القصوى بمكان التذكر أنه عندما تحدث الرسول الكريم ﷺ عن فتنة الدجال قال: (**إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتفقهوه وتعوه.. فاعملوا عليه**

وحدثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر، فإنه أشد الفتن)- كنز العمال.

هذا ما أكده رسولنا الكريم علينا فى نبوءاته الصادقة وهذا ما سنوضحه ونفصله فى هذا الكتاب بالبرهان المبين - فلرب حقيقة واحدة أغرب من ألف خيال.

ولغير المسلمين الذين سيطلعون هذا الكتاب أرى لزاما أن نتحدث معهم ولو بإيجاز عن جوهر رسالة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه باعتباره الرحمة المهداة من المولى عز وجل للعالمين أى للإنسانية جمعاء إذ قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ: ٢٨].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩].

أى أن الله تعالى أرسل رسوله للإنسانية جمعاء بشيرا ونذيرا بالهدى ودين الحق ليظهره ويعلو به على سواه من العقائد والأديان - مما يترتب عليه ويؤكد أن العلى القدير - سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون - سينشر الإسلام فى العالم كله فيملأ الأرض به عدلا وسلاما. وهذا يعنى أن المولى عز وجل سينشر صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويظهره لعباده فى الأرض كلها، فيوصل البرهان على صدقه وحقيقة دينه إلى أقاصى الأرض، ويتجلى نوره كالشمس فى رائعة النهار ويستنير به العالم كله وتنفتح مغاليق العقول والقلوب ويرفع به الظلم والعذاب عن الناس، وتنتفع وتسمو به البشرية جميعا، فيعم سلام الله وأمانه فى الأرض كلها.

ولا يخفى أنه ما من مسلم سوى فى الدنيا أو عاقل يعمل عقله وضميره إلا ويحب

من كل قلبه أن يرى ذلك النور الإلهى العظيم يسطع مشرقا فى أرجاء الكون ويضم الخلق جميعا برداء الوحدانية الأحدية أى التوحيد الحق والكلمة الطيبة المباركة: لا إله إلا الله محمد رسول الله التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.

ولكن لا ريب فى أن انتشار الإسلام رهن بانتشار صدق المصطفى الأمين الصادق رسول الله إلى الإنسانية جمعاء محمد ﷺ ، فى الأرض كلها، بين جميع الناس والأجناس وبمختلف اللغات.

لقد صدقنا نحن المسلمون الحقيقيون بمحمد ﷺ ، وآمنا أنه رسول الله وخاتم النبيين وأنه أرسل من رب العالمين بالإسلام الدين الكامل والنعمة التامة والخير والسلام للعالمين. وذلك بعد إعمالنا للعقل وتحكيم الضمير - وليس عن طريق الإرث والتوارث - ونعتقد بأن هذا أيضا هو السبب الحقيقى وراء انتشار الإسلام بهذا الاضطراد السريع والمتواصل فى الغرب والولايات المتحدة خاصة بين العلماء والمثقفين وراجحى العقول - ونعتقد أيضا بأن هذا هو السبب الحقيقى وراء حبك المؤامرات والدسائس التى تدبر من الصهيوصليبية فى العالم للدول والشعوب التى تدين بالإسلام وتجنيد أراذلهم من الفصائل والطوائف المتطرفة التى يبرأ منها الإسلام بهدف الإساءة إلى الإسلام وتشويش صورته وإيجاد صراعات ونزاعات متواصلة داخل الدول والشعوب التى تدين بالإسلام خاصة التى تتواجد بالقرب وحول دولة إسرائيل بغية إضعاف هذه الدول وتقسيمها إلى دويلات متناحرة لإعلاء الأمة اليهودية وسيطرتها على من حولها وسواها من هذه الشعوب والأمم التى تدين بالإسلام.

ولكن هيهات.. لأن المولى عز وجل سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون

هو الذى أعلمنا بأنه هو تعالى الذى سيظهر هذا الدين «الإسلام» على الدين كله فى أرجاء المعمورة والكون كله رغم كيد الكائدين وإضلال المتآمرين وهذا هو القول الفصل وإن كان أكثر الناس لا يعلمون.

فقد قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف: ٩].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾[الطارق: ١١-١٧].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ: ٢٨].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء: ٤٥].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف: ٢١].

لذا فإننا نوقن بأن الناس لابد سيعلمون صدق محمد ﷺ ، وسيؤمنون بدينه الإسلام الذى سيدخل كل بيت يسكنه إنسان فى البوادى أو الريف والحضر فى جميع أرجاء المعمورة، وسيبلغ أمر الله تعالى ودينه ما بلغ الليل والنهار، حيث نقرأ فى حديث تميم الدارى رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا دير، إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، يعز بعز الله فى الإسلام، ويذل به فى الكفر) المستدرك جـ٤ ص ٤٣١.

ومن المعلوم أن الإيمان الصادق يأتى نتيجة لبرهان مبين تراه العقول وتطمئن به

القلوب.. ولهذا فإنه لابد من برهان قوى حاسم ساطع يشير إلى صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤكد حقيقة أنه الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى وأنه رسول الله ورحمته للعالمين- ومن هنا نجد الطريق.

فإنساننا المعاصر يفهم ويترجم كل شىء اليوم بلغة العلم والمنطق الخالى من الأساطير والخرافات لذا يلزم - فى دعوته إلى الإيمان - مخاطبته باللغة التى يفهمها، ويهتم بها، ويفضلها على غيرها، لأنه ما من شك فى أن العلم والمنطق السليمين لا يمكن أن يتناقضا مع المفاهيم الدينية الصحيحة لكون الأسس العلمية الصحيحة هى من الله وحده سواء أكانت فى العلوم الدينية أو الطبيعة الكونية.

فالمنطق العلمى السليم إذن هو المطلوب بغية تحقيق النجاح فى نشر صدق محمد صلى الله عليه وآله فى العالمين ومناهج هذا المنطق كثيرة، وطرائقه متعددة، وأساليبه متنوعة. ولقد جعل الله فى اختلاف اهتمامات المؤمنين الداعين خيرًا كثيرًا يوسع دائرة التبشير بصدق الإسلام ويوصله إلى مختلف الناس على تباين أفهامهم واهتماماتهم.

ومن بين البحوث والمواضيع الكثيرة التى تبرهن على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه رسول الله إلى العالمين بحثا خاصا متميزا شغل - ولا زال - بال وعقول الكثيرين من المسلمين وغير المسلمين على مر العصور، وقد طال البحث فيه بين فئات مختلفة من الناس على مستوى العالم جدالا ومناظرة وبيانا.

وقد أرى أن هذا البحث يشكل كنزا علميا زاخرا بالبرهان على صدق رسالة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ويمكن لأصحاب العقول السليمة والمنطق القويم أن يفهموه، ويتبنوا حقيقته بيسر وسهولة بشرط التعامل مع العقل والوجدان بأمانة وصدق وإخلاص.

إنه البحث المتعلق بنبوءة رسول الله وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن خروج المسيح الدجال.. **فمن هو المسيح الدجال؟ وكيف يكون خروجه؟**

وسنعرف أن شاء الله تعالى فى فصول هذا الكتاب كل شىء عن الدجال: أوصافه، خروجه، توجهه، دعوته، ادعاءه، قدراته، خوارقه، أتباعه، أنصاره، سيرته، مسيرته وأخيرا هلاكه.

وصحيح أنه غير خاف اختلاف الباحثين والمفكرين الإسلاميين فى حقيقة مفهوم خروج الدجال ولكن الثابت عند جميع علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم، هو أن أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم المتعلقة بخروج الدجال هى أحاديث صحيحة متواترة لا يمكن إنكارها.

وقد لا يكون جميع القراء على معرفة بجميع أسماء الأعلام التى سترد فى هذا البحث، ولكن لابد من التأكيد على أهمية هذه الأسماء بسبب مكانتها العلمية المعرفية الهامة فى البحوث الدينية الموثقة، لذا لا يمكن بأى حال من الأحوال تجاهلها أو تفادى ذكرها.

قال الحافظ الكنانى فى «نظم المتناثر فى الحديث المتواتر» ص٢٨٨:

(إن أخبار الدجال تحتل مجلدات، وقد أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف).

وقال الكوثرى فى «نظرة عابرة فى نزول عيسى عليه السلام» ص٥٥:

(تواترت أحاديث المهدى والدجال والمسيح، فليس بريبة عند أهل العلم بالحديث).

وورد فى كتاب «عقد الدرر فى أخبار المنتظر» ﷺ ١٥٧ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدى فقد كفر».

وهناك حديث للرسول صلوات الله وسلامه عليه يتعلق بالدجال ولكنه موجه بخصوصية وأهمية قصوى لكل من يفهم ويعى حقيقة الدجال وأنه ليس كما يتصوره الآخرون من أنه شخص أعور حاكوا حوله الخرافات والأساطير بل هو فتنة التقدم الحضارى المادى والتكنولوجى العوراء التى قلبت معايير وقيم ومبادئ وأخلاقيات العالم رأسا على عقب (إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتفقهوه، وتعوه. فاعملوا عليه، وحدثوا به من خلفكم وليحدث الآخر الآخر، فإنه أشد الفتن).

رواه نعيم والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود.

إن هذا الأمر لواضح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته وللإنسانية جمعاء.

- اعملوا عليه.

- وحدثوا به من خلفكم.

- وليحدث الآخر الآخر.

لماذا يا رسول الله؟

- لأنه أشد الفتن!

وغير خاف من الحديث أنه يركز باهتمام بالغ على أن فتنة الدجال هى أشد الفتن. ولكن أية فتن؟ وأيضا ما الفائدة من العمل على هذا البحث (خروج الدجال) وتحديث الناس به جيلا بعد جيل وتحذيرهم من فتنه وعواقبها؟

والإجابة بوضوح تام هى العمل على النجاة من فتنة هى أشد الفتن على الجنس البشرى منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة.. وأيضا لأن فى ذلك - كما قدمنا - حشدا من البراهين والآيات الإعجازية العلمية الحديثة التى يتم من خلالها البرهان على صدق نبوءة محمد صلوات الله وسلامه عليه وأنه رسول الله إلى العالمين، مما سيؤدى إلى تأكيد

الازدياد المضطرد لنشر الإسلام وسلامه وعدله فى الدنيا كلها ودحض كل ما يحاك ضده من مؤامرات ودسائس ومكائد خبيثة.

وسيرى القارئ فى هذا الكتاب أننا لن نتطرق فى هذا الكتاب إلى الحديث عن حقائق الخروج المتوقع للدجال فحسب، **بل سنبرهن له على أنه قد خرج فعلا وبدأ يجتاح العالم بفساده وشره وأنه قد غزا بفتنه - عبر الهواء والماء والنار والغذاء - كل أرجاء هذا العالم الغافل.**

الباب الأول

المسيح الدجال وفتنه فى الأرض

الفصل الأول

اهتمام الرسول ﷺ البالغ بالتحديث عن فتنة المسيح الدجال وظهوره

يرى بعض المثقفين وجلهم من أصحاب الفكر العلماني أنه بتحديث الناس فى موضوع المسيح الدجال وخروجه وفتنه نشغلهم بما لا أهمية له - فى عصرنا هذا - عن التفكر فى البحوث والمواضيع الأهم بكثير من الدين، ولأن خروج الدجال وفتنه أمر لا يزال بعيدًا فى عمق الغيب الغامض، ولا فائدة ترجى من بحثه وشغل الناس به وفى الحقيقة لا أجد ردا على هذا خيرا وأفضل من أحاديث رسول الله ﷺ، لتكون الفصل فى هذا الأمر الذى لابد من بيانه.

والمطلع على أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة يجد أنه أكد بشدة على ضرورة التفكير الجاد والاحتراز الشديد من فتنة الدجال، وبشكل قد لا نجد له مثيلاً من التأكيد والتشديد فى أحاديث أخرى.

ومما ورد فى هذه الأحاديث ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«**عوذوا بالله من فتنة المحيا، عوذوا بالله من فتنة الممات، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال**»، وكان صلوات الله وسلامه عليه يستعيذ فى صلاته من فتنة الدجال، فقد روى عنه أنه كان يقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا وأعوذ بك من فتنة الممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**» مسلم عن أبى هريرة.

وروى مسلم فى صحيحة عن رضي الله عنهما أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن فيقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**».

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمهات، ومن شر فتنة المسيح الدجال» النسائى - عن أبى هريرة وإذا تأملنا فى هذه الأحاديث الشريفة، نجد أن رسول الله ﷺ قد قرن الاستعاذة بالله من فتنة الدجال بالاستعاذة به عز وجل من أخطر القضايا والمصائر وهى:

قضية الحياة - قضية الموت - قضية عذاب القبر - قضية عذاب جهنم. وهل ثمة قضايا أو مصائر تتعلق بحياة الإنسان أخطر من هذه؟ ثم أضاف إليها فتنة المسيح الدجال وقرنها بها.

كما تلاحظ أن رسول الله ﷺ قد ربط ممارسة هذا الدعاء بالصلاة المفروضة على المسلم ويؤديها خمس مرات فى اليوم، كما ربطها بأول وأهم ركن من أركان الإسلام وهو الشهادة كما فى الحديث الأخير الذى مطلعه :«إذا تشهد أحدكم.. .. ..».

إذن.. لا ريب أن هذه الأحاديث الشريفة تؤكد بوضوح تام اهتمام رسولنا الكريم وتأكيده الشديدين على ضرورة تركيز المسلمين على الدعاء لله بأن يحميهم ويعيذهم من شر فتنة المسيح الدجال.

وجاء فى حديث آخر للرسول صلوات الله وسلامه عليه توجيه للمسلمين بأن يسارعوا مبادرين فى تناول أمور معينة بالفهم والعمل الصحيح، وأولها الدجال قال: «بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويصة أحدكم» صحيح مسلم - عن أبى هريرة.

وقد يتبين بوضوح من هذا الحديث الشريف، أن رسول الله ﷺ ، قد نبه المسلمين إلى ضرورة أن يبادروا مسرعين باهتمام بالغ لتفهم أمر الدجال وحقيقته حين يبدو لهم ما ينبأ أنه قد ظهر، وألا يرجئوا تفهمه والبحث فيه انشغالا عنه بغيره.

كما دعانا صلوات الله وسلامه عليه فيما يتعلق بأحاديثه خاصة عن الدجال إلى التفكر والتدبر العميقين فحقيقة الدجال لن تفهم وتنكشف بمجرد الاطلاع السطحى الذى لا تفكر فيه ولا تدبر، بل أكدَ على ضرورة إعمال العقل والفكر بشكل مركز، كى يتمكن المؤمنون من فهم وإدراك حقيقة ظهور الدجال وخطره وفتنه، **فقال محذرا:**

«.. إنما أحدثكم هذا لتعقلوه، وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه.. فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم. وليحدث الآخر الآخر فإنه أشد الفتن».

«رواه نعيم والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود».

وجاء فى كتاب «(التصريح بما تواتر فى نزول المسيح» لمؤلفه محمد أنور شاه الكشميرى بعد أن أورد دعاء رسول الله ﷺ وتوجيهه الآمر بالتعوذ من شر فتنة المسيح الدجال **قال** :«وما هذا الاهتمام العظيم من النبى ﷺ بهذا الدعاء عملا وأمرا وتعليما، إلا لما حواه من التعوذ بالله من عظائم الأمور والأهوال الكائنة وهذا هو الحق ولا ريب. ولهذا جزم الإمام ابن حزم الظاهرى بفرضية قراءة هذا التعوذ بعد الفراغ من التشهد كما فى كتابه «المحلى» أخذا من ظاهر حديث أبى هريرة»).

وبعد أن روى الإمام ابن ماجة فى سننه حديث أبى أمامة الباهلى وفيه أوصاف الدجال وأحواله وأعماله ونزول عيسى بن مريم عليه السلام قال: «(سمعت أبا الحسن الطنافسى يقول: سمعت عبدالرحمن المحاربى يقول: ينبغى أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب»).

وقال العلامة السفارينى فى شرح منظومته فى العقيدة الإسلامية «لوامع الأسرار البهية»: «(ينبغى لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال ولاسيما فى زماننا الذى اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع، والبدعة شرع يتبع»).

وقد تبين لك عزيزى القارئ هذه الطائفة من الأحاديث بكل وضوح وجلاء أن المسلمين مأمورون بالحذر الشديد من فتنة المسيح الدجال وبالاستعاذة بالله عز وجل من شره فى صلواتهم وأدعيتهم أسوة بالرسول ﷺ بأمره وهديه الشريف.

ويجب أن نتذكر دائما أن الرسول ﷺ قد أمرنا أن نبادر ونسعى إلى إعمال الفكر المخلص فى فهم وإدراك كل ما يتعلق بالدجال. وقد أمرنا أيضا أن نحدث الناس جميعا بحقائق الدجال وفتنه، **الواحد للآخر، والجيل لمن يليه**، وذلك تحذيرا لهم من شر فتنة قدر أنها ستكون أشد الفتن على الجنس البشرى منذ خلق آدم إلى قيام الساعة.

قال رسول الله ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال» «صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد».

وثمة حديث آخر ملفت للنظر يتعلق بحقيقة الدجال ورد عن الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم قوله: **«ما بعث الله من نبى إلا أنذر أمته، أنذره نوح عليه السلام أمته والنبيون من بعده وإنه يخرج فيكم»** البخارى ومسلم.

وقد يوضح هذا الحديث أنه قد كان للدجال وجود فى أزمنة الأنبياء السابقين بشكل من الأشكال وإلا ما لفائدة من أن يحذر الأنبياء السابقون أقوامهم من خطر لن يكون له وجود فى زمانهم؟!

وقد تبدو لنا هذه الحقيقة واضحة مقبولة للعقل والمنطق السليمين بعد إتمامنا دراسة هذا البحث وبعد أن نكون قد أطلعنا على كافة البراهين والأدلة على خروج الدجال وظهوره.

وأرجو أن يكون القارئ العزيز قد اطمئن فعلا إلى ما أتينا به من برهان عملى ومن بيان الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه على أهمية إعمال العقل فى البحث

والتفكر والتحديث بفتنة الدجال ليستقر فى اللاوعى الجمعى للإنسانية جمعاء على مر العصور والأجيال لما تمثله هذه الفتنة من خطورة شديدة وأهمية قصوى.. ولقد نقل (معجم أحاديث الإمام المهدى) ص٨١ - الجزء الثانى - حديثا ملفتا عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما أرجو أن يتأمله القارئ جيدا إذ يبين الأثر المتعلق بالدجال الذى أراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يغرسه فى أصحابه وأمته حيث يقول راوى الحديث «**قالت: قلت يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال**».

وهنا نتساءل: هل يمكن لأحد بعد هذا البيان الموثق، الإصرار على الزعم بأن تحديث الناس بفتن الدجال وخروجه إنما صرف والهاء للناس، وإشغالهم بما لا يفيد أويهم!

إذًا ما الأمر الذى كان يهدف إليه الصادق الأمين حين ذكر هذه الأحاديث وأطنب فى ذكر الدجال والتحذير منه؟ ومن هو أحق بالطاعة والتصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أم القائلون بما يخالف هديه وتعاليمه؟

وفى كل الأحوال.. ما الخطأ فى أن يزداد المؤمن علما ومعرفة؟ وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟!

قد يطيب لنا قبل أن ننتهى من هذا الفصل الاستهلالى بأن ننقل للناس كافة بشارة ونبوءة عظيمة للصادق الأمين ﷺ حيث يبشرنا قائلا:

(تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله) صحيح مسلم - عن نافع بن عتبة.

ولا ريب أن فى هذا الحديث الشريف يبشرنا الصادق الأمين رسول الله ورحمته للعالمين بأن الدجال حتما مدحور ومقهور، ولا شك فى أن المؤمنين سيهزمونه بعون

الله تعالى ويقضون على فتنه وأخطاره بها يزودهم الله به من قوة إيهانية معرفية تمكنهم من هزيمته بالأسلوب الأمثل المناسب. وأما الدليل على أن هذه البشارة سوف تتحقق دون ريب فقد تحققت النبوءة الأولى فى هذا الحديث مصداقا لما قال صلى الله عليه واله وسلم وفتح المسلمون جزيرة العرب بعون الله تعالى. ثم تحققت النبوءة الثانية بعون الله تعالى وفتحوا بلاد فارس وتحققت النبوءة الثالثة كذلك بعون الله تعالى وفتح المسلمون بلاد الروم، وهذا يؤكد أنه لابد أن تتحقق نبوءة النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه الأخيرة وهى فتح الدجال، أى قهره والقضاء على فتنه وأخطاره وإنقاذ العالم منه.

وبما أن العالم كله بمثقفيه ومفكريه المنصفين قد علموا بشهادة التاريخ الموثق صدق وتحقق ما تنبأ به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فلا مناص له من أن يؤمن بأن النبوءة المتعلقة بالدجال وفتنه ثم هزيمته والقضاء على شروره وأخطاره سوف تتحقق دون ريب. **وعند ذلك سيتجدد الإثبات للعالمين فى زماننا هذا - المعاصر - أيضا صدق محمد ﷺ وصدق رسالته للعالمين، والكتاب الذى أنزل عليه من رب العالمين.**

الفصل الثانى

ورود ذكر الدجال فى القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[النساء: ٥١].

ويذهب بعض المفسرين وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور فاروق الدسوقى - الحائز على جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية- إلى أن الطاغوت اسم للشيطان الجنى والشيطان الإنسى حال توحدهما فى ذات واحدة، أو هو اسم لإبليس الجنى وإبليس الإنسى حال توحدهما. وإبليس أو الشيطان اسم لكل منهما حال تفرقهما.

وأن الجبت هو الدجال المرسل من قبل الطاغوت وبطانته من كفرة بنى إسرائيل وأتباعهم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب - وأن هذا الجبت الذى يبدو وكأنه كائنا بشريا هو فى حقيقة أمره كائن نصف بشرى للطاغوت حال توحده ونصفه الآخر إبليس جنى وأنه هو المسيح الدجال باسمه الوصفى الأشمل والأدق عند الإشارة إليه بالجبت..».

ونحن نتفق تماما مع كل من فسروا كلمة الجبت الواردة فى القرآن الكريم [النساء:٥١] بأنها تعنى الدجال وإن كنا نختلف معهم فيما عدا ذلك - خاصة أن كلمتى الجبت والدجال تشتركان معا فى معانٍ كثيرة وردت عنهما فى معاجم اللغة العربية.

ونضيف أيضًا أنه قد ورد ذكر الطاغوت فى القرآن الكريم ثمان مرات منها مرة واحدة فقط اقترن فيها ذكر الجبت مع الطاغوت وفى ذات الوقت مرتبطا بالذين كفروا من بنى إسرائيل الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، ومن المعلوم أن اليهود ورد ذكرهم وندائهم فى مواضع من الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ فما المقصود بقوله سبحانه ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وليس الذين أوتوا الكتاب؟

أليس فى ذلك دلالة على وجود صلة وثيقة بين هذا النصيب من الكتاب فى الآية

وبين الجبت والطاغوت؟ وأليس من المنطقى هنا أن المقصود بنصيب من الكتاب هو بعض ما أخذوه من التوراة وحرفوه أو أضافوا إليه بالخلط كتبا أخرى منها التلمود ومنها القبالا والجمارا أو المشناة وبروتوكولات حكماء صهيون.. لتحقيق مخططاتهم فى الهيمنة والإفساد والعلو.

وقد يجدر الذكر هنا أيضا أن الطاغوت قد ورد فى العهد القديم باسم (التنين العظيم - الحية القديمة) وورد أيضا باسم (لوياثان الحية الهاربة، الحية المتحوية).

وأول ذكر للتنين نجده فى المزمور الرابع والسبعين من الزبور حيث يناجى داود عليه السلام ربه بقوله: «أنت شققت البحر بقوتك. كسرت رؤوس التنانين على المياه - أنت رضضت رؤوس لوياثان». بما يفيد أن لوياثان جمع لها رؤوس كما أن التنانين جمع تنين أيضا لها رؤوس وهذا يوافق ورود اسم الطاغوت فى القرآن الكريم بصيغة المفرد وصيغة الجمع أيضا. وهذا يدل على أن الطاغوت والتنين اسمان لكائن واحد أو لحالة واحدة هى حالة جمع بين أفراد ومن ثم يذكر بأكثر من اسم حيث لكل حالة اسم.

وغير خاف أنه لا زال البعض يعتقد خطأ أنه لم يرد صراحة لخروج الدجال وظهور فتنه ذكر بالاسم فى القرآن الكريم رغم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يصف فتنه بأنها أشد الفتن على الإطلاق.. حيث نقرأ فى الكتاب الشهير (كبرى اليقينات الكونية) للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى - أحد أشهر علماء الشام - شرحا هامشيا يبين فيه - برأيه - السبب الكامن وراء عدم ذكر قصة الدجال فى القرآن الكريم فيقول:

(.. قد يتساءل البعض: لماذا لم يك لقصة الدجال وخبره ذكر فى القرآن، وما السر فى أن كل ما جاءنا من أخباره أحاديث عن الرسول فقط.

والجواب: إنه لا يبعد أن تكون الحكمة من ذلك هى أن الدجال أهون على الله من أن يسجل اسمه فى كتابه وكلامه القديم يتلى على ألسنة الناس فى كل زمان

ومكان. وقد درج القرآن فى أسلوبه وإخباراته على عدم ذكر الأسماء - اللهم إلا الرسل والأنبياء - وبعض الطغاة الذين أرسلوا إليهم. أفيخص الدجال وحده بالذكر والتعيين «كبرى اليقينات الكونية» ﷺ ٣٢١-٣٢٢).

ومع تقديرنا لآراء الدكتور البوطى فإننا نختلف معه مؤكدين على أن تفسيره للحكمة الإلهية فى عدم إيراد خبر الدجال فى القرآن الكريم غير مقنع، كما أنه يشير إما إلى عدم إطلاعه على تفسير الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه لآيات القرآن الكريم الكريمة التى أشارت إلى ورود ذكره - كما سنرى - أو أنه بالرغم من إطلاعه على هذا التفسير لم يهتم بلفت النظر إليه.

لذا لا يمكننا أن نوافق الدكتور البوطى وللأسباب التالية:

- أن رسول الله ﷺ قد أكد لنا فى الحديث الصحيح أن الله تعالى قد أورد ذكر الدجال فى القرآن الكريم على أنه إحدى آيات الله التى ينبغى على المؤمنين ألا يكفروا بها حين ظهورها، لأنه سيكون فى التصديق بها وإظهارها تصديق لنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعظمة رسالته.

فإذا كان زعم البعض - وعلى رأسهم الدكتور البوطى - حقًا بأن الله تعالى لم يذكر الدجال فى القرآن الكريم احتقارا لشأنه ولكونه أهون على الله من أن يذكر فيه، فقد يلزم هنا أن نتساءل:

أولاً: ألم يرد فى أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن فتنة الدجال هى أخطر وأشد فتنة على الجنس البشرى منذ خلق آدم إلى قيام الساعة؟

ثانيا: ألم يذكر القرآن الكريم الفتن الأقل شأنا وخطرا من الدجال مثل فتنة الناس واليهود ودابة الأرض وغيرها من الفتن؟

كيف يمكن إذن تفسير ذكر القرآن للفتن الأقل شأنا فى مقابل الزعم أن الدجال

- وهو الفتنة الأخطر شأنا - لم يذكره الله لأنه أهون عليه من أن يذكره فى كتابه وكلامه القديم يتلى على ألسنة الناس؟!

ثم أليست نبوءات الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن الدجال وغيره هى من كلام الله القديم وعلمه بالغيب الذى لا يعلمه إلا هو؟

ثم أليس صحيحًا أننا كمسلمين ننظر إلى كلام رسول الله عليه وآله وسلم ونتعامل معه بالقداسة التى أمرنا المولى عز وجل بها فى قرآنه:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧].

وقد يكون صحيحًا أن الدجال لم يذكر بالاسم الصريح الشائع عنه فى القرآن الكريم، **إلا أن المفسرين الأوائل قد أوردوا فى تفاسيرهم أن الدجال قد ورد ذكره فى آيات معينة فى القرآن الكريم ومنها:**

١ - جاء فى تفسير **البغوي** أن الدجال مذكور فى القرآن الكريم **فى قوله تعالى:**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[غافر: ٥٧]. والمراد بالناس بحسب تفسير البغوى: **الدجال.**

٢ - وجاء فى تفسير (معالم التنزيل ولباب النقول فى أسباب النزول) للسيوطى، ما يلى:

«وقال قوم: أكبر وأعظم خلقًا **من خلق الدجال** ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

- تفسير معالم التنزيل.

٣- كما ورد أيضا المعنى نفسه فى (**فتح القدير**) الجزء الرابع - بسند صحيح.

٤ - وجاء فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد هذه التفاسير التى تقول بأن المقصود بالناس: الدجال حيث جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين **خلق آدم** إلى قيام الساعة **خلق** أكبر من الدجال».

وقد جاء فى قواميس اللغة العربية أن كلمة «الخلق» تعنى: الناس.

٥- ونجد فى «فتح الباري - الجزء ١٣» تفسيرا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد فيه أن ذكر الدجال قد ورد فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: ١٥٨].

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه:

«ثلاثة إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها» أخرجه الترمذى.

وبمقارنة الآية الكريمة بالحديث الشريف، نجد أن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم قد بين أن أول هذه (الآيات) الواردة فى هذه الآية الكريمة هو الدجال، وأن هذه الآيات هى: **الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها.**

والآن، أفلا يوضح هذا ويؤكد أن الدجال مذكور فى هذه الآية من القرآن الكريم على أنه آية من آيات الله تعالى؟ وهل بعد بيان رسول الله الصادق الأمين فى تفسيره للقرآن بيان أو مجال لترجيح رأى آخر.

٦- ومن البراهين على أن ذكر الدجال قد جاء فى القرآن الكريم الحديث الذى جاء فى صحيح مسلم عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حيث قال:

«من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال».

مسلم وأحمد وداود والنسائى عن أبى الدرداء.

إن هذا الحديث يبين بكل وضوح أن سورة الكهف تحتوى على ذكر الدجال بحيث يمكن فهم حقيقته من خلال دراستها، لأن القرآن الكريم إنما هو كتاب علم ومعرفة، وليس كتاب سحر وشعوذة يبغد الشر بأساليب السحرة والمشعوذين.

الفصل الثالث

الأحاديث الشريفة المتعلقة
بظهور المسيح الدجال

من جملة ما تنبأ به القرآن الذى يفيض بالنبوءات المتعلقة بمستقبل الإنسان وأيامه ومصيره - أن الإنسان سيتوقف عن استخدام النوق والعشار وأمثالها كوسائط أساسية للنقل، وسيستخدم وسائل أخرى بدلا منها، مما سييسر العلى القدير له اختراعه، قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤].

ومن المعروف أن العشار هى النوق التى كانت تعد من أهم وسائل النقل التى كان الناس يستخدمونها فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن يدور فى فكر أحد آنذاك إمكانية الاستغناء عنها بأى حال من الأحوال.

كما تنبأ الصادق الأمين ﷺ بترك استخدام القلاص (النوق) كوسائط للنقل فقال: «لتتركن القلاص فلا يسعى عليها» - صحيح مسلم عن أبى هريرة.

ويوضح لنا المولى عز وجل تبارك وتعالى فى القرآن المجيد أن ترك السعى على هذه الدواب كوسائط للنقل، إنما سيكون بسبب ما مكن وأعان الله سبحانه وتعالى للإنسان من اختراع وسائط بديلة تحل محل هذه الدواب من حيث كونها وسائل للنقل أيضا، فقال عز وجل سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس:٤٢].

وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت نبوءات مذهلة تتعلق بواسطة النقل التى سيستخدمها الدجال عند ظهوره، وقد أطلق على هذه الواسطة اسم «حمار الدجال» وبين أن المسيح الدجال يأتى على هذا الحمار الهائل الذى يأكل النار فى أحشائه، وله فتحة يُخرج منها النار والدخان وينطلق فى سرعات هائلة برًا وبحرًا وجوًا،لونه أقمر شديد البياض، أهلب لا شعر له، وطول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا، وعرض ما بين أذنيه سبعون ذراعا، وما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة. تطوى له الأرض منهلا منهلا، يسبق الشمس إلى مغيبها. طوله فى الأرض ستون خطوة ولونه أحمر (إن اللون الأحمر لحمار الدجال هنا هو فقط المتعلق بالحمار

البرى الذى طوله ستون خطوة، كما فى الحديث، وأما الحمار الجوى فلونه أقمر كما فى الحديث أيضًا) طعامه الحجارة وله فتحة يُخرج منها نارا ودخانا، لا يدرى قبله من دُبُره يتقدمه جبل من دخان، يخوض البحر لا يغرق ولا يبلغ الماء حقويه، وسرعته كالغيث إذا استدبرته الريح. له سروج وفروج ودوى يملأ ما بين الخافقين، ويدعو الناس للركوب فيه.

هذا هو حمار الدجال فى النبوءات المذهلة لرسول الله وخاتم النبيين محمد ﷺ، وأما عن نبوءاته المتعلقة بالمسيح الدجال نفسه، فقد قال إن الدجال أجعد الشعر أعور العين اليمنى وعينه اليسرى كأنها عنبة طافئة، وفى رواية: كأنها كوكب درى! وله قدرات خارقة بحيث أنه يسيطر على الأرض والناس برا وبحرا وجوا فيأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت وتخرج كنوزها وتتبعه كيعاسيب النحل. وكذلك يسيطر على مياه الأنهار فيأمر الماء أن يرتد فيرتد، ويأمره أن يجرى فيجرى، ويأمره أن ييبس فييبس. ويسيطر على البحار والمحيطات فيطوف فوق مائها ويجتازها بسرعات كبيرة ويُخرج من كنوزها وحيتانها ما يشاء.

ويُغنى أقواما - إذا انصاعوا له وقبلوا دعوته - فيجعل أراضيهم جنات خضراء مثمرة ومواشيهم مسمنة باللحم وممتلئة الضروع باللبن. ويحاصر الأقوام التى ترفض دعوته والانصياع له فيحاصرهم ويفقرهم ويجعل أراضيهم ممحلة ومواشيهم هزيلة وأيديهم فارغة.

كما يسيطر على طيور السماء فيتناولها من الجو ويشويها فى الشمس شيا. ويمعن فى خوارقه فيحيى الموتى ويشق الإنسان نصفين ثم يعود فيضمه ويحييه من جديد فيأتى يتهلل وجهه ضاحكا!

ويأتى الدجال بمثل الجنة والنار، ويكون معه جبال من لحم وخبز وأنهار من

ثريد تتقدمه النار فى حين يكون من ورائه جنة وجبل أخضر.

أما عن زمان الدجال العجيب، فإنه يختلف اختلافا كبيرا عما هو مألوف حيث يجعل الدجال الزمن يتقارب فتصير السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كضرمة النار. كما أن المدن فى زمانه تتوسع وتكبر.

وتختلف أحوال الغذاء بالنسبة إلى المؤمنين فيصير التهليل والتسبيح والتكبير بمثابة الغذاء لهم، وأما بعد القضاء على الدجال وانتشار العدل فى الأرض، فتختلف الغرائز والنفوس الحيوانية، إذ يصير الذئب فى الغنم ككلبها، وتمشى الناس بين الوحوش الضارية فلا تؤذيهم، ويدخل الأولاد أيديهم فى أفواه الأفاعى فلا تلدغهم، وتمر الغنم بالحقول فلا تمس السنابل ولا تأكلها ولا تكسر أعواد الزروع.

وهكذا تطرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المتعلقة بظهور الدجال الكثير من الغرائب والعجائب التى يصر المشايخ على الأخذ بحرفيتها، باعتبار أنها أحاديث صحيحة مسندة متواترة ثبتت وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا شك فى أن هذه الأحاديث صحيحة متواترة، ولكن الأخذ بحرفيتها يتنافى ويتناقض مع العقل والعلم والمنطق الإنسانى الصحيح، والأهم من ذلك أنه يتنافى ويتناقض مع المنطق الإيمانى السليم فى القرآن المجيد وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما سنبرهن إن شاء الله تعالى فيما هو آت من فصول.

ولكن فهم هذه الأحاديث فى ضوء البيان والتعليم القرآنى الكريم سوف يبدى أنها آيات إعجازية مذهلة تشهد على صدق نبوءة محمد صلى الله عليه وآلم وسلم ورسالته للعالمين كما نوهنا آنفا.

وبما أن الأحاديث الشريفة التى ذكرت الدجال وفتنه كثيرة جدا، كان لابد من

ذكر بعضها فقط مما يساعد على بيان حقيقة الدجال دون اسهاب أو اطناب.

لذا فإننا سنعرض الأحاديث التالية ثم نعمد إلى مناقشة كل واحد منها فى محله بعد أن يتبين الهدى القرآنى المتعلق بفهم النبوءات التى يظهر الله عليها أنبياءه، وكيف يجب على العلماء والفاهمين أن يؤولوها:

- عن على ﷺ ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«تحت الدجال حمار أقمر طول كل أذن من أذنيه ثلاثيون ذراعا.. تطوى له الأرض منهلا منهلا يتناول السحاب بيمينه.. ويسبق الشمس إلى مغيبها يخوض البحر إلى كعبيه..» «(كنز العمال» وأورده صاحب عقد الدرر فى أخبار المنتظر).

- وأوردالإمـام المقدسى فى كتابه (عقد الدرر فى أخبار المنتظر) ﷺ ٢٧٦ - الحديث التالى:

«يخرج - الدجال - على حمار مطموس العين، مكسور الطرف، يخرج منه الحيات، محدودب الظهر، قد صور كل السلاح فى يديه، حتى الرمح والقوس، يخوض البحار إلى كعبيه» ذكره الإمام أبوالحسن محمد بن عبيد الله الكسائى فى قصص الأنبياء.

- وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ ، فى قصة الدجال: (.. حمار طوله ستون خطوة.. ..) «عقد الدرر فى أخبار المنتظر» ص٢٧٤.

وجاء فى رواية أخرى أن حمار الدجال طوله ستون ذراعا لا يدرى قبله من دبره يتقدمه جبل من دخان. كما ورد أن طعامه الحجارة وله فتحة يخرج منها النار وله دوى يملأ ما بين الخافقين.

- وعن حذيفة ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«يركب - الدجال - حمارًا أبتر بين أذنيه أربعون ذراعًا، يستظل تحت أذنيه سبعون ألفا من اليهود».

- وروى أبونعيم عن حذيفة ﷺ فى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن حمار الدجال:

(يخوض البحر لا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يشاء).

وفى رواية (فيمد يده الطويلة فيخرج.. ما يشاء).

- وفى حديث رواه المنادى عن الإمام على ﷺ أن الدجال:

(.. يتناول السحاب بيمينه ويسبق الشمس إلى مغيبها، يخوض البحر إلى كعبيه، أمامه جبل من دخان وخلفه جبل أخضر، ينادى بصوت يسمع له ما بين الخافقين: إلى أوليائى، إلى أوليائى، إلى أحبائى، إلى أحبائى، فأنا الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، وأنا ربكم الأعلى، كذب عدو الله..).

- وورد فى حديث رواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر أن الدجال:

(يسيح الأرض كلها فى أربعين يوما، وما من بلد إلا وسيطئوها إلا مكة والمدينة، ويتناول الطير من الجو، ويشويه فى الشمس شيًّا).

- وجاء فى كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة للإمام البرزنجى) من حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال:

(.. يأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس) رواه نعيم بن حماد ص: ١٢٥، ١٢٩.

- وروى الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال فى الدجال:

(.. يسير معه جبلان، أحدهما فيه أشجار وثمار وماء، والآخر فيه دخان ونار،

فيقول هذه الجنة وهذه النار).

- وروى نعيم وحذيفة عن ابن عمر فى حديث لرسول الله ﷺ عن الدجال أن معه (جبل من ثريد ونهر ماء).

- وعن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

(يخرج الدجال فى خفة من الدين، وإدبار من العلم.. وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا فيقول للناس: أنا ربكم وهو أعور وربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه «كافر» مهجاة: ك ا ف ر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب.. ومعه جبال من خبز) رواه أحمد فى مسنده، وصححه الحاكم فى المستدرك ورجاله ثقاة.

- وجاء فى صحيح مسلم عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الدجال يخرج، وإن معه ماءًا ونارًا، فأما الذى يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارًا فماء عذب بارد، فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارا فإنه ماء عذب بارد».

- وفى رواية ابن أبى شيبة (معجم أحاديث الإمام المهدى ج٢ ص٦):

(.. معه من كل لسان ومعه صورة الجنة خضراء يجرى فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن).

- كما جاء فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان فى حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«غير الدجال أخوفنى عليكم. إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم.. فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف.. قلنا يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟

قال: كالغيث استدبرته الريح. فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت.. ثم يأتى القوم فيدعوهم فيرودن عليه قوله فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم.. ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك.

فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين.. فلا يحل للكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله. ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلى عيسى: إنى أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون..) إلى آخر الحديث.

- وجاء فى كنز العمال - الجزء ١٤، حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال:

«لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر».

- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال:

«إنما إحدثكم هذا لتعقلوه، وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه. فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر، إنه أشد الفتن».

نعيم بن حماد (والإشاعة لأشراط الساعة) للإمام البرزنجى ﷺ ١٢٨.

لقد عرضنا فيما تقدم باقة من الأحاديث الشريفة - والتى للأسف يصر بعض أصحاب المنطق الحرفى على الأخذ بحرفيتها، الأمر الذى يبدو مجافاته للمنطق واضحا من الوهلة الأولى.

لذا لا مناص لنا إلا أن نمعن النظر والتأمل وإعمال العقل فى الأساس القرآنى الذى يلزمنا بأن نبنى عليه أسلوب الفهم والأخذ، كى لا نحيل إعجاز نبوءات الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى أساطير أو خرافات لقلة تفهمنا وتدبرنا.

الفصل الرابع

الصراع بين التمسك بالحرفية فى النصوص وضرورة التأويل

لا جدال أن هناك ثمة صراع تاريخى قديم بين التمسك بحرفية النصوص الدينية المقدسة وبين الضرورة التى فى كثير من الأحيان تحتم تأويلها بشكل عقلانى ومنطقى يقبلهما العقل والضمير الإيمانى دون أن يكون ذلك على حساب النص الموثق.

وقد يبدو هذا الصراع حادًا أكثر حول النصوص المتعلقة بالنبوءات المستقبلية التى وردت فى الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم) لدى أصحاب الرسالات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام).

وأما بشأن دراستنا حول (خروج المسيح الدجال) فإن هذا الصراع بين الإصرار على التمسك بحرفية النص وضرورة الأخذ بالتأويل يكاد يبلغ ذروته القصوى، كما أنه يقسم الباحثين والمهتمين - من حيث الفهم والاعتقاد - إلى فريقين متباينين، وقد يصل الخلاف بينهما إلى حد يدفع القائلين بالحرفية يتهمون مخالفيهم بافساد العقيدة والناس، وقد يصل أحيانا إلى حد تكفيرهم.

ولما كان يلزم الوصول إلى حقيقة فى الأمر تكون هى الأصل والمرجع الصحيح الذى يجب أن يؤخذ به، كى ندرك - من خلاله - الحقائق ذات الصلة، لذا فإن من الضرورى لكلا الفريقين، أن يعاودا النظر وبإمعان فى موقفهما الاعتقادى من غيرتعصب أو تصلب، وذلك بغية الوصول إلى الفهم والاعتقاد السليمين الخاليين من شوائب التقليد الأعمى المتوارث دونما دراسة أو تفكر أو تمحيص لتبين الهدى الصحيح للنصوص المقدسة، والتى لا جدال فى أنها لم ترد عبثا، بل جاءت تحمل رسالة للهداية إلى فهم أو ممارسة معينة، وبذلك يستنير الفرد والمجتمع بالهدى الصحيح للنبوءة المقدسة، ويصير أقرب إلى الإيمان الحق الذى يعتقد المؤمنون أن فيه الخير، ولا شك فى أن الإيمان الحق يهدى إلى العمل الحق الذى فيه كل الخير سواء للإنسان الفرد أو للبشرية جمعاء.

ولا جدال فى الأحاديث الشريفة المتعلقة بظهور الدجال ومجىء المسيح الموعود قد بلغت حد التواتر ولا يمكن إنكارها، وقد بين ذلك العلماء المحققون ومن بينهم القاضى العلامة محمد بن على الشوكانى فى (التوضيح فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظر والدجال والمسيح). ولكن المسلم المصدق بها يجد نفسه مضطرا إلى عدم الاقتناع بحرفيتها لأن من يدرس هذه الأحاديث بمجملها - على ضوء الأسس الإيمانية المبينة فى القرآن الكريم والحديث الصحيح - يجد أن التمسك بفهم هذه الأحاديث الشريفة بالحرفية التى جاءت فيها دون أى توفيق أو تأويل منطقى مدروس على أساس الهدى القرآنى الصحيح **يضع الفأس على رأس التوحيد ويؤدى إلى:**

١ - وجود التناقض بين بعض هذه الأحاديث الشريفة وبعضها الآخر.

٢- التناقض بين بعض هذه الأحاديث الشريفة والقرآن الكريم.

٣- التناقض بين هذه الأحاديث والمنطق العلمى والعقلى السليمين.

وبما أنه يستحيل وجود أية تناقضات فى الأحاديث الصحيحة، فلابد إذن من محاولة فهمها على أسس التأويل التى أقرها وبينها القرآن الكريم ولبيان التناقض المترتب على الأخذ بالحرفية **نورد الأمثلة التالية:**

أولا : طواف الدجال بالبيت الحرام :

اطلعنا على عدد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال لا يمكنه دخول مكة المكرمة والمدينة، لأن الله عز وجل قد حرم عليه دخولهما، ولكننا نقرأ فى أحاديث أخرى أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة، فقد جاء فى صحيح مسلم ومسند بن حنبل فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحديث التالى **إذ يقول الدجال عن نفسه:**

(.. وإنى أوشك أن يؤذن لى بالخروج فأخرج، فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، هما محرمتان علي كلتاهما).

وكذلك روى بن ماجة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الحديث التالى:

(.. لا يبقى شىء من الأرض إلا وطئه - أى الدجال - وظهر عليه إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته..).

ويتضح من هذين الحديثين أن الله عز وجل قد حرم عليه دخول مكة والمدينة بالرغم من أنه سيظهر على الأرض كلها، فى حين أننا نقرأ فى الحديث التالى أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة أيضا فقد جاء فى صحيح البخارى فى الحديث الذى رواه عبدالله بن عمر **عن رسول الله ﷺ قال :**

«.. وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه. رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم. ثم رأيت رجلا وراءه، جعدا قططا أعور العين اليمنى، كأشبه ما رأيت بابن قطن، واضعا يديه على منكبى رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال).

صحيح البخارى وصحيح مسلم.

وقد أجمع العلماء على أن رؤى الأنبياء حق لأنها من الله، ونجد فى هذا الحديث أن الدجال يدخل مكة ويطوف بالكعبة، فى حين جاء فى الحديث الآخر أن مكة والمدينة محرمتان على الدجال ولا يستطيع دخولها، فكيف يمكن فهم هذا التناقض؟! ثم كيف يمكن لعملاق قدر على الأرض جميعها أن يعجز عن دخول مدينتين صغيرتين منها؟ وما القوى التى ستمنعه فى حين أنه قد ملك القوى كلها، كما تبين الروايات

التى تتحدث عنه؟

ومن الأمثلة الإشكالية التى قد تثيرها هذه الأحاديث أيضا - فى نظر بعضهم - كيف يدخل الدجال مكة ويلتقى بالمسيح الموعود فى حين أن الدجال لا يستطيع مواجهته؟ إذ ورد فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى المسيح الموعود ذاب كما يذوب الملح أو كما يذوب الرصاص، أو أغاث كما تغاث الشحمة فى الشمس، أو أنه يموت بنفسه لأنه كافر، فقد ورد فى الحديث أنه لا يحل لكافر يجد ريح نفس المسيح الموعود إلا مات.

وجاء أن القاضى عياض أجاب عن هذا الإشكال فقال:

(إن رؤيا الأنبياء وإن كانت وحيا، إلا منها ما يقبل التعبير).

ويؤكد العلامة على القارئ هذا المذهب فى الفهم (المرقاة - شر المشكاة جـ٥ - باب بين يدى الساعة) **فيقول:**

(قال التوريشى: إن طواف الدجال عند الكعبة مع أنه كافر، مؤول بأنه رؤيا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أنه من مكاشفاته، إذ كوشف بأن عيسى فى صورته الحسنة التى ينزل عليها يطوف حول الدين لإقامة أموره وإصلاح فساده، وأن الدجال فى صورته الكريهة التى يظهر عليها يدور حول الدين يبغى العوج والفساد).

ثانيا: عين الدجال العوراء

ورد فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدجال «أعور العين اليمنى» - صحيح البخارى وجاء فى حديث آخر:

«الدجال أعور العين اليسرى» - صحيح مسلم.

وقد اختلفت الروايات حول شكل عينه العمياء، إذ جاء فى الحديث:

«كأن عينه عنبة طافئة» وفى حديث :«إنه مطموس العين» - مشكاة المصابيح.

وجاء فى رواية أبى سعيد عند أحمد أن الدجال:

«جاحظ العين اليمنى كأنها كوكب درى».

فكيف يمكن الأخذ بهذه الأحاديث بحرفيتها مع وضوح التناقض فيها؟ إذن لابد هنا من برهان مقنع.

ثالثا : قدرات الدجال

يتبين من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتصف بقدرات نورد فيما يلى أبرزها:

١ - يأتى معه بجنة ونار وجبال من خبز ولحم وطعام:

قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إن :«الدجال أعور العين اليسرى.. معه جنة ونار» مسلم.. وجاء فى رواية أن الدجال «معه جبل خبز ونهر ماء» صحيح البخارى.

وفى رواية أن «الدجال يخرج وإن معه ماءًا ونارًا، فأما الذى يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارًا فماء عذب بارد. فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه نارًا فإنه ماء عذب» صحيح مسلم.

وهل من المنطقى أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس وأمته أن يلقوا بأنفسهم فى نار الدجال، باعتبار أنها هى الجنة، لو كانت هذه النار حقيقية؟

وماذا لو أوقد الدجال نارا حقيقية هائلة ثم أمر المسلمين أن يلقوا بأنفسهم فيها طاعة لرسول الله ﷺ ؟!

وجاء فى حديث «**أن معه الطعام والأنهار**» صحيح مسلم.

وفى حديث «معه نهران يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر نار تؤجج» صحيح مسلم، كما جاء فى حديث «معه واديان أحدهما جنة والآخر نار» أبو داود.

وفى حديث «يأتى معه بمثلى الجنة والنار» متفق عليه.

وفى حديث ذكره الإمام أبو الحسن بن عبيد الله الكسائى فى قصص الأنبياء، وأورده المقدسى فى «فى عقد الدرر فى أخبار المنتظر ص٢٧٥»:

«ويكون له جنة ونار، فيقول هذه جنة لمن سجد لى».

وروى الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر أنه: (يسير مع الدجال جبلان، أحدهما فيه أشجار وثمار وماء، وأحدهما فيه دخان ونار فيقول هذه الجنة وهذه النار) «الإشاعة لأشراط الساعة ﷺ ١٢٤».

وفى رواية نعيم عن أبى مسعود «الإشاعة لأشراط الساعة ﷺ ١٢٦»:

(ومعه جبل من مرق وعراق اللحم حار لا يبرد، ونهر جار، وجبل من جنان وخضرة وجبل من نار ودخان، يقول هذه جنتى وهذه نارى، وهذا طعامى وهذا شرابى».

وهذه الأحاديث الشريفة المتعلقة بحيازة الدجال للجنة والنار وجبال الطعام من الخبز واللحم والمرق والماء والأنهار قد ترتب عليها إثارة دهشة واستغراب العلماء المفكرين الذين يرفضون أن يكون هناك ثمة تناقض بين المنطق الدينى والمنطق العقلى والعلمى.

ولما كان الإصرار على الأخذ بالحرفية يؤدى حتما إلى ظهور مثل هذا التناقض والتعارض المرفوضين، فقد ذكرت الكتب اختلاف العلماء فى هذا الشأن، حيث نقرأ :«اختلف العلماء فى هذه الجنة والنار، هل هى حقيقة أم تخيل».

وقد مال ابن حبّان فى صحيحه إلى أنه تخيل، واستدل بحديث المغيرة بن شعبة فى الصحيحين أنه قال :(كنت أكثر من سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال،

فقال لى: وما يضيرك منه؟ قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز. قال: هو أهون من ذلك: ومعناه أنه أهون من أن يكون معه ذلك حقيقة، بل يُرى كذلك وليس بحقيقة) «الإشاعة لأشرطة الساعة ص١٢٦».

وجاء فى (المرقاة شرح المشكاة) باب «العلامات بين يدى الساعة» فى معرض شرحه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هو أهون على الله من ذلك أى أن الدجال أحقر على الله تعالى من أن يحقق له ذلك وإنما هو تخيل وتمويه للابتلاء فيثبت المؤمن ويزل الكافر).

«القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح» لمؤلفه: نذير أحمد

ثانيا : ما يتعلق بإحياء الدجال للموتى وإنزاله للمطر

جاء فى صحيح البخارى - باب ذكر الدجال - الحديث الشريف التالى:

«يأتى الدجال.. فيخرج إليه رجل.. فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر، فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه».

وهنا يتبين بكل وضوح - من خلال الروايات التى تذكر قدرة الدجال على إحياء الموتى - أن الإصرار على الأخذ بالمعنى الحرفى لهذه الروايات لا يتناقض وبشكل مؤكد مع القرآن الكريم فحسب، بل مع الأسس الإيمانية والتوحيدية فى حق الله سبحانه وتعالى. فالمؤكد والمعلوم يقينا أنه لا يحيى ولا يميت إلا الله وحده، إذ يؤكد القرآن ذلك فى أكثر من موضع، حيث نقرأ قوله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٥٦﴾ [يونس: ٥٦].

فكيف يمكن لكم أن تضيفوا إيمانا جديدا فتزعمون أنه :«هو يحيى ويميت وكذلك الدجال!»؟! ويتحدى القرآن الكريم المشركين أن يثبتوا شيئا من ذلك فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠]. فهل تجيبون على سؤال الله هذا بقولكم: نعم الدجال يفعل ذلك أيضا؟!

وحتى لو قلتم ذلك، فإن الله تعالى يختتم الآية منزها نفسه عن هذا الشرك القبيح فيقول: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١﴾ [النحل: ١].

ثم إذا انتبهنا إلى كلمة ﴿مِن﴾ فى قوله تعالى: ﴿يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠] نجدها هنا للتبعيض الذى ينفى إمكانية القدرة على إحياء الأموات بأى شكل كان،

لأن هذا الأمر إنما هو من صفات الله وحده فكيف يمكن أن نشرك به المسيح الأعور الدجال أو غيره كائنا من كان؟!

ونقرأ في سورة البقرة رد رسول الله إبراهيم ﷺ على النمرود بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾[البقرة: ٢٥٨] .

فهل تضيفون إلى هذه الصفة - التي تخص الله بها نفسه على لسان إبراهيم عليه السلام - صفة أخرى فتقولون «ربي والدجال يُحييان ويُميتان» نعوذ بالله العلي القدير المحيي المميت من ذلك.

ومن الأمور التي خص الله تعالى بها ذاته كذلك إنزال الغيث من السماء فقال تعالى عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾[لقمان: ٣٤] .

فكيف يمكن الإيمان بأن الدجال يقدر أن يأمر السماء فتنزل الغيث فيكون بذلك مساويا لله في قدرته تلك؟!

وبالرغم من أننا سنبين بجلاء حقيقة نبوءات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بحث الدجال وقدراته، إلا أنني أرى أن ألفت هنا نظر القائلين بقدرة الدجال على إنزال الغيث من السماء أن أحاديث رسول الله ﷺ لم تذكر قدرة الدجال على إنزال الغيث بل جاء فيها أنه يأمر السماء فتمطر، فقال:

«وإن من فتنته أنه يأمر السماء أن تمطر». صحيح ابن ماجه والمستدرك للحاكم.

كما جاء في معرض ذكر رسول الله ﷺ للدجال: «فيأمر السماء فتمطر» صحيح مسلم.

وثمة فرق هائل بين أن تمطر السماء أو ينزل منها الغيث، كما سنبين فيما بعد فلا تشركوا بالله أحدا.

ثالثا : الدجال وعلم الغيب

ورد فى بعض الأحاديث المتعلقة بالدجال أنه يتنبأ بأحداث غيبية تتعلق بالمستقبل، كما فى الحديث التالى الذى جعل الآخذين بالحرفية يعتقدون أنه يمكن للدجال أن يتنبأ بالغيب، وأنه مخلوق حى باق منذ وجد فى الأرض! إذ تروى كتب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع يوما صحابته ليحدثهم حديثا - وإليكم الحديث:

(يا أيها الناس.. أتدرون لم جمعتكم؟.. لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال.

حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجزام، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر، ثم أرفأوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالت :«يا أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه.

قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى فأخبرونى أنتم، قالوا: نحن ناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة.. فقال أخبرونى عن نخل بيسان، قلنا عن أى شأنها تستخبر؟ قال أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له نعم. قال:

أما إنها يوشك ألا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبريا، قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر، قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن بني الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتَلَهُ العرب؟ قلنا نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإني مُخبركم عني، إني أنا المسيح الدجال وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع أرضا إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي..) صحيح مسلم.

وقد نرى من هذا الحديث أن الدجال قد تنبأ بأنباء غيبية كثيرة وقد تحقق أكثرها حتى الآن فكيف يصح لدجال كافر ملعون يضل الناس ويدعو إلى تأليه نفسه أن يعلم الغيب بهذا الشكل وكيف استطاع ذلك؟!

إن المسلمين يؤمنون يقينا أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله، وذلك بتأكيد وتعليم القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وقد أمر الله عز وجل رسوله أن يحذر أمته من أن يظنوا يوما أن أحدا سوى الله يمكن أن يعلم الغيب فقال له ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[يونس: ٢٠].

كما أمره أن يؤكد بأنه هو نفسه - وهو رسول الله ﷺ - لا يعلم الغيب فقال له:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[الأنعام: ٥٠].

فكيف يصح بعد هذا البيان القرآنى أن يعتقد المؤمنون بإمكانية أو استطاعة قدرة الأعور الدجال على التنبوء بالغيب حقا مناقضا بذلك البيان القرآنى المبين؟!

ثم كيف يمكن لرجل كافر ملعون أن يظل حيا باقيا منذ نوح والنبيين فى الزمان السابق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يظل حيا باقيا إلى زماننا هذا.

إن الأخذ بحرفية هذا الكلام يضع الفأس على رأس التوحيد، ويحتم الوصول إلى هذه النتائج المتناقضة.

رابعًا: حمار الدجال الخارق

جاءت فى الأحاديث الشريفة المتعلقة بالدجال أوصاف خارقة لحمار الدجال والتى لا يمكن لأصحاب العقول المنطقية السليمة أن يأخذوا بحرفيتها بأى شكل من الأشكال، إذ أن أول ما يتبادر إلى الذهن هذه الاستفسارات والتساؤلات المحيرة:

- ما هذا الحمار النارى الذى مسافة ما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة؟!

- وما هذا الحمار الذى طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا وعرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا، ورغم أن طول أذن الحمار الدجال ثلاثون ذراعا فقط، فإن سبعين ألفا من اليهود يستظلون تحتها؟!

- ما هذا الحمار الذى يأكل الحجارة، ويخرج من مؤخرته نارًا، ويطير فى السماء فتطوى له الأرض منهلا منهلا، ويسبق الشمس إلى مغيبها؟!

- وما هذا الحمار الذى معه من كل السلاح تخرج منه الحيات، ويخوض البحر ولا يغرق؟!

- ما هذا الحمار الذى يسير فى الأرض، وطوله ستون خطوة لونه أحمر، يتقدمه جبل من دخان ولا يُدرى قُبله من دُبره، وينادى الناس إليه بدوى يملأ ما بين الخافقين.. وغير ذلك من الأوصاف العجيبة؟!

-ثم وأية حمارة (أتان) يمكن أن تلد مثل هذا الحمار الهائل؟! أم أن أمّه ستكون حمارة عادية ولدت حمارا كونيا هائلا؟! وإن لم يكن سيولد من حمارة عادية، فمن أين سيأتى إذن؟

وقد يجدر الذكر هنا أن بعض المفكرين المسلمين رفضوا أن تنسب هذه الخرافات - على حد قولهم - إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فأنكروا الأحاديث ذاتها واعتبروها موضوعة لم تصدر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه. وهذا خطأ لا نقرهم ولا نوافقهم عليه، إذ كان ينبغى أن يفهموا ويتأملوا حقيقة النبوءات العظيمة الكامنة فيها من خلال فهم بيان اللغة العربية المتعلق بالرمز والاستعارة والمجاز وغيرها.

وقد يكون من الأهمية بمكان هنا الاطلاع على رأيهم فى هذا المقام. فمن هؤلاء العلامة محمد فريد وجدى رئيس تحرير مجلة (نور الإسلام) لسان الأزهر سابقا وصاحب الموسوعة العربية (دائرة معارف القرن العشرين) الذى ذكر أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه المتعلقة بخروج الدجال ثم قال: (.. رأينا فى هذا الكلام أن الذى يلقى نظرة على هذه الأحاديث يدرك لأول وهلة أنها من الكلام الملفق الذى يضعه الوضاعون وينسبونه للنبى ﷺ لمقاصد شتى. إما لافساد عقائد الناس، أو لتصغير شأن النبى ﷺ فى نظر أهل النقد، فإنّ هذا الكلام لو نسب إلى أحد الناس حط من شأنه، فما بالك لو نسب لخاتم النبيين وإمام المرسلين.

إن في توهين هذا الكلام عدة وجوه لا تقبل المناقشة:

أولها: إنه أشبه بالأساطير الباطلة، فإن رجلا يمشى على رجلين يطوف البلاد يدعو الناس لعبادته، ويكون معه جنة ونار يلقى فيهما من يشاء، كل هذا من الأمور التى لا يسيغها العقل.. والنبى أجل من يأتى بشىء تنقضه بداهة النظر، وإلا فما هى جنته وما هى ناره اللتين تتبعانه حيث سار؟ هل هما مرئيتان أو خياليتان؟ إن كانتا مرئيتين فهل جنته قصور منفية وحدائق غناء كما يفهمه الناس من مدلول هذه اللفظة؟ إن كانت كذلك فكيف تسير معه هذه القصور والحدائق إلى حيث توجه؟ وهل ناره تنور عظيم متأجج بالناس والحجارة على ما يفهمه الناس من معنى هذه

الكلمة؟ وهل مثل هذا الأمر مما يصح أن يسيغه عقل بشرى ناط الله به تمييز الممكن من المستحيل، وجعله الفارق بين الحق والباطل؟

وإن قيل بأن جنته وناره خياليتان، فهل كان يقتل متبعه ليرسل بروحه إلى الجنة أو يعده بها وعدا بعد مماته الذى ورد أنه يلقى بمتبعه فى جنته فيجدها نارًا، وناره جنة وارفة الظلال، وأنهما يسيران معه حيث سار، **وهذا ممتنع عقلا كما نرى.**

وثانيها: كيف يعقل أن رجلا أعور مكتوب على جبهته (كافر) يقرؤها الكاتب والأمى على السواء إذ ورد فى الحديث الشريف (يقرأه) وليس (يقرأها) والفرق بينهما مهم جدًا، والحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الدجال :«مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه - أى يتبينه - كل مؤمن كاتب وغير كاتب» البخارى ومسلم- ومعنى يقرؤه يتبينه وليس يقرأ أحرف الكلمة المذكورة. يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته، فتروج له دعوة أن تسمع له كلمة؟ أى إنسان بلغ به الانحطاط العقلى إلى درجة يعتقد فيها بألوهية رجل مشوه الخلقة مكتوب فى وجهه كافر بالأحرف العريضة؟ وأى جيل من أجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة؟

إن العرب كانوا يشكون فى المرسلين ويستكبرون أن يتبعوا رجلا يمشى على رجلين، ويودون لو أرسل الله إليهم ملائكة من السماء، كما نص عليه القرآن، وأما غيرهم من الأمم، وحتى فى أقدم أزمنة التاريخ، فقد كانوا يظهرون الأنفة من اتباع أمثالهم فى البشرية ويودون لو أن الرسول كان من عالم آخر، كما نص عليه القرآن أيضا، فمن هى تلك الأمم التى كتب عليها أن تفتن برجل أعور مكتوب على وجهه كافر فتعتقد فيه الألوهية؟

وثالثها: لماذا لم يذكر القرآن عن هذا المسيح الدجال شيئا مع خطورة أمره وعظم فتنته كما تدل عليه تلك الأحاديث الموضوعة، فهل يُعقل أن القرآن قد ذكر ظهور دابة

الأرض، ولا يذكر ظهور الدجال الذى معه جنة ونار يفتن بهما الناس؟!

ورابعها: أن كون هذه الأحاديث موضوعة يُعرف بالحس من الحديث الطويل الذى نسب إلى نواس بن سمعان ورفعه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ينبئ بأن الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق ويعمل الأعاجيب، ثم يدركه عيسى.. إلخ.

إن ننظر إلى تركيب هذه القصة نظر منتقد لا يخطر ببالك شك فى أنها موضوعة وقد وضعها واضع لا يفرق بين الممكن والمستحيل، وبين سنن الله فى خلقه وما تولده الخيالات من الأباطيل، ولكن الدليل الحسى على بطلان هذا الحديث هو أن واضعه - لقصر نظره - خيل له أن أسلحة الناس لن تزال القسى والسهام والنشاب والجعاب حتى تقوم الساعة، ولم يُدرك أنه لن يمر على وضع هذه الأحاديث نحو سبعة قرون حتى وجدوا البارود والبندق ولم تمر ستة قرون أخرى حتى لم يكن للقوس والنشاب ذكر، وقامت مدافع الماكسيم وقنابل اليد والشرانبل والأدخنة السامة والغازات الملتهبة والديناميت الذى يتساقط من الطيارات.. إلخ.. لم يدرك ذلك كله فصور الأسلحة فى آخر الزمان ليست على الحال الذى عهده فى زمانه، وليس بعد هذا دليل محسوس على أن هذا الحديث مختلق، فإن الذى يوحى إليه أكبر من أن يقع فى هذا الخطأ العظيم.

ويرى القارئ مما مر من هذه الأحاديث كلها أنها خالية من روح النبوة ولا يؤيدها شيء من القرآن ولا من طريق الإشارة، فلا يصح لها قبل أن يعول على أمثال هذه الموضوعات فإن للأخذ بها حطة فى العقل وذهاب بالدين مذهب الخرافات والأضاليل، والمسلمون أُمروا أن يتحروا الحقيقة فى كل شيء، وأن لا يأخذوا بكل ما يقال وإن هدم العقل والدين » دائرة معارف القرن العشرين -مادة الدجال.

هذا ما جاء به العلامة محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين - مادة الدجال - وقد نرى أنه ليس مَن بين المصرين على الأخذ بحرفية هذه الأحاديث من

يأتينا بأكثر مما آتانا به العلامة فريد وجدى وقد نرى أيضا أنه لو أردنا أن نبين جميع الغرائب والعجائب المرفوضة بجميع المقاييس العقلية والعلمية وغيرها والتى تتأتى جميعها عن الإصرار بالأخذ بحرفية هذه الأحاديث الصحيحة، للزمنا الكثير من الكتب، لنوفى هذه الدراسة حقها، ولكننا نكتفى بما عرضناه من أمثلة مبينة واضحة تفى بذات الغرض للذين لا مانع لديهم من أن يعوا ويفهموا.

وبادئ ذى بدء نحن لا نوافق على رأى العلامة محمد فريد وجدى ومن يحذو حذوه من المصرين على الأخذ بحرفية هذه الأحاديث الصحيحة - بل نؤكد على صحة هذه الأحاديث الشريفة المتواترة - رافضين الفهم الحرفى لها - ونؤكد على أنه لابد من فهمها من خلال أسس التأويل التى وضعها القرآن الكريم لتبين لنا روعة البيان فى هذه الأحاديث.

- تأويل النبوءات فى القرآن الكريم.

- الإعجاز فى الأحاديث الشريفة عن ظهور الدجال.

أولا : تأويل النبوءات فى القرآن الكريم

لقد أطلع المولى عز وجل عالم الغيب والشهادة رسوله ﷺ على الأحداث المستقبلية المتعلقة بفتنة الدجال وخروجه من خلال الرؤى الصادقة، كما روى هو ﷺ ذلك، حيث نقرأ ألفاظه التى تشير إلى رؤياه فى أحاديثه تلك إذ يقول :(وأرانى الليلة عند الكعبة فى المنام.. ثم رأيت وراءه رجلا جعدا فقلت من هذا قالوا المسيح الدجال) صحيح البخارى، كتاب الرؤيا.

وتصنيف هذا الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الرؤيا، يلفت النظر إلى أن إخبار الله تعالى للرسول الكريم عن الدجال وخروجه قد كان عن طريق الرؤى

الصادقة التى يطلع الله من خلالها رسله على ما يشاء من الغيب.

كما يتبين من قصة تميم الدارى فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنها لا يمكن أن تكون إلا رؤيا، وذلك ما سنكشف النقاب عن حقيقة مفهوم الدجال.

وهناك المزيد من الأحاديث الصحيحة التى تؤكد على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد علم خروج الدجال وفتنه من خلال الرؤى الصادقة، ولكن يكفينا هذا الحديث الصحيح - تجنبا للإطالة - للبرهان على أن الرسول الكريم قد حدثنا عن المسيح الدجال وفتنه من خلال ما أوحى الله إليه فى الروئ الصادقة لينذر أمته ويحذرهم من شرور أشد الفتن.

وليس من المستغرب عند اطلاعنا على سير الأنبياء أن نوقن بأن الله تعالى يطلعهم على البعض من أنباء من الغيب عن طريق الرؤى الصادقة، إذ أننا نقرأ فى القرآن الكريم ما أخبرنا به الله عز وجل عن يوسف النبى عليه السلام والذى أراد العلى القدير أن يبشره بالنبوة وتمام النعمة، وأن أباه وأمه وأخوته سيتبعون هديه ويصدقون بدعوته، وأن شأنه سيعلو فى البلاد والعباد، فيوضح لنا الله تعالى فى القرآن المجيد أنه عندما أراد أن يخبر يوسف بتلك الأنباء الغيبية العظيمة، أطلعه على ذلك من خلال الرؤيا، ولكن ماذا كانت تلك الرؤيا وكيف تحققت؟ ولنقرأ معا فى سورة يوسف فى القرآن الكريم إخبار يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام عن رؤياه حيث يقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾[يوسف: ٤].

ولكون أبوه يعقوب نبيا يُوحى إليه أيضا برؤى صادقة فقد أدرك خطورة وأهمية النبوءة المستقبلية فى رؤياه فنصحه بكتمانها:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: ٥].

ومن خلال علم يعقوب كنبى بتفسير الرؤى الصادقة فقد قال تعالى على لسان يعقوب مبشرًا يوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٦].

وهكذا يعلمنا القرآن الكريم أن إحدى طرق الوحى للأنبياء هى الرؤيا الصادقة التى لابد من التصديق بها. ولكن السؤال الأكثر أهمية والذى يعنينا هنا فى هذا البحث هو:

هل يلزمنا التعليم القرآني بالأخذ بحرفية هذه الرؤي، أم أنه ينبغي علينا الأخذ بالتأويل الصحيح لها إذا كانت هذه الحرفية تتناقض مع الأسس العقلية والعلمية للمنطق البشري السليم؟

القرآن الكريم مؤسس علم التأويل:

حين نتأمل فى القرآن الكريم من خلال تلاوتنا للآيات الكريمة فى سورة يوسف نجد أنه، بكل بساطة ووضوح يرفض الحرفية رفضًا باتًا، ويؤيد منطق التأويل الصحيح الذى يوضحه العالمون بتأويل الرؤى الصادقة، التى أطلق عليها القرآن الكريم مصطلح :«تأويل الأحاديث».

وبذلك يكون القرآن المجيد ذاته هو المؤسس العظيم لعلم تأويل الرؤى الصادقة، باعتبارها مصدرًا من مصادر الوحى للأنبياء، والتى لابد ن تُدرك على ضوء الأساس القرآنى فى تأويل الرؤى، فيستطيع الناس عندئذ أن يهتدوا بهداياتها الحقة التى لا

خرافة فيها ولا منافاة للعقل والمنطق السليم.

وللمزيد من الايضاح، فلندرس رؤيا يوسف عليه السلام وكذلك تأويلها على ضوء ما ورد فى القرآن الكريم: يقول المولى تبارك وتعالى عن تلك الرؤيا:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾[يوسف: ٤].

ولا ريب أن هذه الرؤيا تشير إلى مشهد واضح أراد الله عز وجل من خلاله أن يطلع نبيه يوسف على بشارة مستقبلية تتعلق به وبأهله وبدعوته.

وإذا افترضنا أن الحرفية هى الأساس الذى يجب أن نبنى عليه فهمنا لهذه الرؤيا، فهذا يعنى أن كل كلمة أو صورة فيها ينبغى أن تتحقق بشكل حرفى مادى، وهذا يعنى أنا ما سيحدث فى المستقبل هو: أن يرى يوسف النبى عليه السلام نفسه قد كبر وكبر فى الحجم حتى صار عملاقا كونيا يفوق فى حجمه المجموعة الشمسية بكاملها، ثم يجد أنه يستطيع - بالإضافة إلى ذلك - أن يقف فى فضاء الكون بشكل ما حتى تتمكن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا من السجود عند قدميه، وبذلك تكون الرؤيا الصادقة اتى أوحى الله بها إليه قد تحققت كاملة وبحرفيتها.

فهل يوجد عاقل واحد فى الكون يستطيع أن يوافق على إمكانية هذا التحقق الحرفى لرؤيا يوسف النبى عليه السلام لمجرد الاعتقاد بأن رؤى الأنبياء وحى صادق من الله؟!

ثم لماذا لا نأخذ بتعليم القرآن الكريم ذاته فى هذا الشأن، ولماذا لا نسأل أنفسنا: هل أراد الله بتعليمه لنا فى هذه السورة أن نصر - مع المصرين - على حتمية الأخذ بحرفية رؤى الأنبياء مهما خالف ذلك العقل والمنطق السليم؟ والجواب هو: حتما لا فلقد بين لنا ربنا عز وجل تأويل الرؤيا فى كتابه المجيد ذاته،

وأكد أنه كان لابد من فهم تلك الرؤيا الصادقة بتأويلها السليم، وإلا فإنها تصبح مجرد خرافة باطلة لا بشارة فيها ولا هدى ولا تعليم، ولنرى معا التأويل القرآنى لتلك الرؤيا:

يقول الله جل وعلا: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾[يوسف: ١٠٠].

وقبل أن نشرع فى بيان التفسير القرآنى لهذه الرؤيا فقد نلفت النظر إلى رموز مادية معينة استخدمها القرآن الكريم ليشير بها إلى حقائق روحية هامة. ومن هذه الرموز:

الشمس:

ورد فى القرآن الكريم أن الله عز وجل قد جعل فى سمائنا المادية شمسا وهاجة تضىء لنا نهارنا بشكل مباشر، وتنير لنا ليلنا بانعكاس أنوارها من خلال القمر - قال جل وعلا عن الشمس فى سورة (النبأ): بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)﴾ [النبأ:١٣]. فالشمس هى سراج الدنيا. ووصف الله تعالى رسوله الكريم فى القرآن الكريم ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) ﴾[الأحزاب: ٤٦]. فنجد أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كما وصفه مرسله عز وجل هو الشمس فى سماء الدين، وأن علماء الدين من أصحابه هم النجوم الذين يدورون فى فلكه، لذا فقد وصفهم رسول الله ذاته فى حديثه الشريف بالنجوم، حيث قال:

«إن مثل العلماء فى الأرض، كمثل النجوم فى السماء».

«عن أنس فى مسند الإمام أحمد».

وقد ورد عن رسول الله قوله «أصحابى كالنجوم» - البيهقى.

وهكذا يكون النبى شمسا فى سماء الدين، وأصحابه الذين يدورون فى فلكه نجوما.

وبهذه المفاتيح القرآنية يمكننا فهم بيان النبوءة فى رؤيا يوسف النبى عليه السلام. ولكى نفهمها بسهولة أكثر، فإنه ينبغى لنا أن نلاحظ وجود عناصر معينة فى الرؤيا يجب أن يقابلها عناصر فى التأويل. والعناصر فى رؤيا يوسف هى:

١ - الشمس ٢ - القمر ٣ - أحد عشر كوكبًا ٤ - سجود الكواكب ليوسف عليه السلام.

والآن ما هى العناصر المقابلة فى التأويل بحسب ما جاء فى القرآن الكريم؟

يقول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾[يوسف: ١٠٠].

فما هى العناصر المقابلة للرؤيا هنا؟

١ - مقابل الشمس نجد النبى يعقوب عليه السلام.

٢- ومقابل القمر نجد أم يوسف التى هى زوج النبى يعقوب عليه السلام وهى التى تدور فى فلك زوجها كالقمر وتعكس أنواره.

٣- ومقابل الأحد عشر كوكبا نجد أخوة يوسف الأحد عشر الذين يدورون فى فلك والديهم.

وأما السجود فيعنى الطاعة والاتباع كما فى قوله ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) ﴾ [الرحمن: ٦] وهذا يعنى الخضوع التام لهذه المخلوقات وغيرها لأمر الله عز وجل.

ولا جدال فى أننا لا نرى سجودا للشمس أو القمر أو النجوم عند قدمى يوسف، فقد كانت الشمس فى الرؤيا ترمز إلى يعقوب النبى والد يوسف باعتباره نور الله فى قومه، والقمر يرمز إلى أمه التى تستمد نور إيمانها من زوجها النبى، وأما النجوم الأحد عشر فقد كانت ترمز فى الرؤيا إلى أخوة يوسف الأحد عشر الذين

كانوا يدورون فى فلك أبيهم النبى، وذلك مصداقا لحديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه - كما قدمنا - أورده الإمام أحمد فى مسنده يقول «مثل العلماء فى الأرض، كمثل النجوم فى السماء».

لقد كانت الرؤيا إذن تشير إلى وصول يوسف إلى مرتبة النبوة بفضل العلى القدير الذى اجتباه وأتم نعمته عليه، كما تشير إلى قبول والدى يوسف وأخوته لدعوته واتباعهم إياه مصدقين مؤمنين بعد أن جعله الله نبيا يدعو إلى عبادته وحده.

وفى الآيات التالية نقرأ توبة أخوة يوسف وقولهم لأبيهم:

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[يوسف: ٩٧-١٠٠].

إن هذا الشرح القرآني الواضح يبين بكل تأكيد أن الله جل وعلا قد استخدم الرمز في الرؤيا لاطلاع نبيه علي غيب المستقبل، كما يبين الخطأ الكبير في الإصرار علي أخذ جميع النصوص الدينية بالحرفية فتجعل منها خرافة تدعو إلي النفور من الدين بدلا من قبوله والتصديق به.

وكذلك أيضا أفهمنا البيان القرآنى رؤيا عزيز مصر حول البقرات والسنابل، فقد كانت تشير إلى نبوءة تتعلق بسنوات الخصب والجفاف التى كانت تنتظر مصر، ولم يكن التأويل القرآنى حرفيا كما هو معلوم. ولقد جاء فى رؤياه أنه قال:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[يوسف: ٤٣].

ويوضح التأويل القرآنى أن هذه الرؤيا الصادقة لم يكن لها علاقة بالبقر من

قريب أو بعيد.

وهكذا فإنه غير خاف أن الذين يصرون على الأخذ بحرفية النص مهما كان مؤداها، وأن عدم الأخذ بها هو تحريف للدين وخروج عنه واعتداء عليه وعلى المؤمنين به، فإنهم بإصرارهم هذا يحيلون الكثير من الكنوز المعرفية فى النصوص الدينية إلى خرافات باطلة يرفضها العقل البشرى السليم بجميع صورها وأشكالها، ويجمدون الفكر والحضارة العربية والإسلامية فى أسمنت الأفهام الذاتية المغلقة على ما سلف ويكبحون التفكر والإبداع البانى للحضارة الفكرية والتقدم العلمى والحضارى الواعى الذى يجب أن يبنى على يقين **أن القرآن هو كلام الله، والكون هو فعله، ولا يمكن مطلقا، أن نجد أى تناقض بين كلام الله وفعله.**

ثانيا: الإعجاز في نبوءات الرسول ﷺ

عن خروج المسيح الدجال

لقد تبين لنا - فيما تقدم - إشارة القرآن الكريم إلى خروج الدجال باعتباره آية من آيات الله عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد فسر الرسول صلوات الله وسلامه عليه معنى: ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فى هذه الآية الكريمة بأن منها الدجال فقال:

«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض» صحيح مسلم.

فإذا كان من آيات الله تعالى ظهور وخروج الدجال، فلابد أن يكون فيه دلالات إيمانية إعجازية تؤكد صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وتؤيده، لذا فإنه ينبغى علينا أن نمعن الفكر فى هذا البحث ونعمل على أن نفهمه ونعقله ونعيه بالشكل المنطقى السليم ففى ذلك ما يؤيد صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه ونصرة دعوته ودينه، خاصة أنه هو ذاته قد أمرنا قائلا:

«.. إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه، وتفقهوه، وتعوه. فاعملوا عليه، وحدثوا به من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر، فإنه أشد الفتن».

أخرجه نعيم بن حماد فى كتاب الفتن / كنز العمال.

ولسوف يعجب القارئ العزيز خاصة غير المسلم حين يدرك عظمة الحقائق الإعجازية في أحاديث الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه عن خروج الدجال، وسيجد فيها ما يثبت صدقه في رسالته ودعوته وأنه خاتم النبيين الذي جاء بدين الله الإسلام رحمة من الله إلي العالمين، مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالي:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

وتبيانا لهذه الحقائق الإعجازية العظيمة، لابد من تناول الأحاديث الشريفة عن ظهور الدجال بالشرح والتفصيل على ضوء التعليم القرآنى العظيم المتعلق بإدراك وفهم النبوءات المستقبلية التى يطلع العلى القدير عليها أنبياءه لينذروا الناس أو يبشروهم بأحداث مستقبلية هامة، فيتأكد بها صدقهم وصدق من يأتى بعدهم.

وقبل كل شيء فإنه ينبغي علينا أن نبدأ بتحقيق الألفاظ الرئيسية الهامة في هذا البحث فقد جاء في معاجم اللغة العربية المعاني التالية لكلمة ((الدجال)) في:

* لسان العرب

«الدجال»: المموه الكذاب وبه سمى الدجال.

الدجال يخرج فى آخر هذه الأمة، سمى بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل، وقيل بل لأنه يغطى الأرض بكثرة جموعه. وقيل لأنه يغطى كل الناس بكفره.. ويُقال دجلت السيف أى موهته وطليته بماء الذهب.

و«الدجال»: الذهب، ويقال لماء الذهب أيضا دجال وبه شبه الدجال لأنه يظهر خلاف ما يضمر.

و«الدجال»: المموه فعال من أبنية المبالغة - أى يكثر منه الكذب والتلبيس وقيل سمى بذلك لأنه يستر الحق بكَذبه.

والدجال والدجالة: **الرفقة العظيمة تغطي الأرض بكثرة أهلها، وقيل هي: الرفقة تحمل المتاع للتجارة.**

قال أبو العباس: «سمى الدجال دجالا لضربه فى الأرض وقطعه أكثر نواحيها، وقال: سمى دجالا لتمويهه وتلبيسه وتزيينه الباطل.

ودجل البعير: طلاه بالقطران. ودجل الشىء غطاه.

وجاء في قاموس: * (المنجد)

الدجال: أيضا الكذاب الذى سيظهر فى آخر الزمان.

الدجال - الدجالة: الرفقة العظيمة تغطى الأرض.

وجاء في: * (أقرب الموارد)

الدجال:.. الرفقة العظيمة.

وغير خاف أننا نجد من هذه المعانى اللغوية أن كلمة الدجال تنطبق على العدد العظيم من الناس كما تنطبق على الفرد، وسنجد فيما يلى من بحثنا هذا أحاديث للرسول صلوات الله وسلامه عليه تشير إلى هذا المعنى وتؤيده فى مواضع كثيرة. كما تؤيد ذلك أيضا تفاسير القرآن الكريم التى تشير إلى أن المقصود بكلمة الناس فى بعض الآيات القرآنية هو الدجال كما جاء فى تفسير (معالم التنزيل) و(لباب العقول فى أسباب النزول) لجلال الدين السيوطى وذلك فى قوله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[غافر: ٥٧].

ومما يؤكد بوضوح أن كلمة (الدجال) فى هذه النبوءات إنما تشير إلى أمة من الناس، **هو حديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول فيه:**

(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) - صحيح

مسلم. لذا فإنه من المنطقى يمكن معرفة الدجال وحقيقته من خلال قراءة هذه الآيات العشر من أول سورة الكهف - فإلى ماذا تشير هذه الآيات؟ **يقول تعالى:**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾[الكهف: ١-٤].

وتبين هذه الآيات الكريمة أن بأس الله الشديد (أشد الفتن) يتعلق بالذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وأنهم بحسب إشارة حديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هم (الدجال) المبين فى أوائل سورة الكهف. فمن هم الذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾؟

يقول الله تعالى عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ﴾[التوبة: ٣٠]. ومن هذا الحديث الشريف ومن هذه الآية الكريمة يتبين لنا أن لفظة (الدجال) الواردة فى الأحاديث الشريفة إنما تشير أساسا إلى أمة اليهود والنصارى حيث زعم كلاهما أن الله اتخذ ولد.

رغم العلاقة الوثيقة بين اليهود والدجال وكونهم يتبعونه ويدخلون فى كيانه وأساسه.. إلا أنه لابد من الانتباه إلى أن ظهور وانتشار الدجال كأمة أو أمم طاغية تسيطر على البلاد والعباد بقواها المادية المختلفة ودجلها بأشكاله وأنواعه الكثيرة لا يكون من اليهود ذاتهم، لأن اليهود بحسب القرآن الكريم قد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، فهم بأعدادهم القليلة المحصورة (١٦ مليون نسمة) وحياتهم التى يسودها التوجس والقلق والريبة لن يكون لهم عز دنيوى، بل إن ذلك سيتمثل بالأمم المسيحية الطاغية بقواها المادية الهائلة، وبدجلها الكهنوتى والسياسى الذى لا علاقة له بالمسيحية الحقة..).

وهذا الزعم الباطل بأن الله اتخذ ولدا وصفه العلى القدير سبحانه وتعالى وصفا

لم يصف به زعما وافتراءً أشد خطورة منه فقال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾[مريم: ٨٨-٩١].

فأى فتنة أعظم من أن تنفطر السماوات منها، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًّا؟!

وبالإضافة إلى هذا البيان الواضح نجد أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أشار بوضوح إلى أن المقصود بالدجال فى أحاديثه أمة أو أمم وليس فردا واحدا إذ يقول: «لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه» أورده الطبرانى فى المعجم الكبير وخرجه السيوطى.

ونلاحظ أن استعمال الرسول الكريم للضمير (هم) دلالة على الدجال ليشير بكل وضوح إلى أنه يتحدث عن أمة (جمع غفير) من الناس، وغير خاف أنه من الواضح أن المقصود هنا هم اليهود أيضا المتواجدين الآن فعلا فى الجانب الغربى من نهر الأردن. وبذلك يكون قد تحقق فى تواجدهم الحالى غربى نهر الأردن نبأ رسول الله العظيم الذى أخبر به أمته قبل ما يزيد على أربعة عشر قرنا.

كما نجد كذلك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يستخدم لفظة (الدجال) للإشارة بذلك إلى أمة وبلاد، وذلك فى حديثه الشريف الذى يذكر فيه عددا من النبوءات تحققت جميعها وبقى آخرها، فيقول:

«تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله) صحيح مسلم.

وقد يلاحظ هنا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد استخدم فعل «يفتحها» عن الدجال - وفى رواية أخرى «يفتحه» - وفى هذا إشارة واضحة إلى أن المقصود بالدجال هنا هو بلاد وأمم.

وهكذا تؤكد لنا قواميس اللغة والحديث والقرآن الكريم أن لفظة الدجال تُشير إلى الأمة أو الأمم العظيمة العدد التى تغطى الأرض بكثرة أهلها وتحمل المتاع للتجارة، وأنها تلبس الحق بالباطل، وتزينه للناس، وتنشر دجلها بينهم، وتغطى به الأرض، كما أنها تنشر باطلا ودجلا فى الأرض عقائد فاسدة أخطرها أن الله تعالى قد (اتخذ ولدا)، سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون.

وعلى ضوء ذلك فقد يكون من الأهمية بمكان الآن العودة إلى أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه لنفهم فتن الدجال وشروره وأخطاره، فنعقلها ونفهمها ونفقهها ونعيها، لكى يمكننا العمل عليها والتحديث بها لمن خلفنا تحذيرا من أشد الفتن، كما أمرنا ووصانا أن نفعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ولقد علمنا من خلال تعليم القرآن الكريم - كما علمنا من سورة يوسف - أنه لابد من تأويل رؤى الأنبياء المتعلقة بالمستقبل - لذا فإنه قد ينبغى علينا أن نبحث فى علم التأويل لنفهم رؤى رسول الله ﷺ المتعلقة بخروج الدجال.

ولقد جاء فى أحاديث رسول الله ﷺ أنه رأى الدجال فى منامه شابا قططا (جعد الشعر) أعور العين اليمنى، فماذا يعنى ذلك فى علم التعبير؟

جاء فى كتاب تأويل الرؤى الشهير (تعطير الأنام):

«**الشاب فى المنام عدو الرجل.** والشاب مكر وخديعة، أو عدو مكروه.

وأما عن شعر الرأس فقد جاء:

«شعر الرأس: هو فى المنام مال وطول عمر، وإن رأى أن شعره جعد فإنه يُشَّرف ويُعزَّ وينال سيادة وعزًا».

* عين الدجال العوراء

وأما عن عمى العين اليمنى، فإن الجانب الأيمن فى علم التأويل يرمز إلى الدين، فى حين يرمز الجانب الأيسر إلى الدنيا، قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠)﴾[المدثر: ٣٩-٤٠].

وقال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ (٤٢) وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ (٤٣) لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)﴾[الواقعة: ٤١-٤٤].

وأما عن أصحاب الشمال فيقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا (٩)﴾[الانشقاق: ٧-٩].

ويقول تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ (٢٥) وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ (٢٦) يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ (٢٧)﴾[الحاقة: ٢٥-٢٧].

وهكذا يتبين لنا أن لليمين والشمال دلالتين قرآنيتين واضحتين تساعداننا فى فهم معنى أن عين الدجال اليمنى عوراء أو أنه أعمى العين اليمنى.

وجاء فى علم التعبير عن عين الإنسان ما يلى:

«عين الإنسان فى المنام دين الرجل وبصيرته التى يبصر بها الهدى والضلال»، وجاء أيضا: «عين الآدمى دينه ومن رأى أنه يداوى عينه فإنه يصلح دينه».

وأما عن العور فقد جاء ما يلى: «عور» من رأى فى المنام ضلالة فى الدين. والعمى

أيضا غنى مادى. فمن رأى أنه أعمى استغنى»- كتاب: تعطير الأنام.

مما تقدم نري أن أوصاف الدجال في الأحاديث الشريفة تُشير إلي عدد ذي ثراء كبير وعز دنيوي وعينه اليسري (التى ترمز إلى الدنيا) **قوية وكبيرة كأنها كوكب دري** (ذكره الإمام أبوالحسن الكسائى فى قصص الأنبياء والمقدسى فى كتابه «عقد الدرر فى أخبار المنتظر كما أورده البرزنجى فى الإشاعة» **وهذا يشير إلي تقدمه المادي الهائل، في حين أنه أعمي من الناحية الروحية الدينية، إذ أن عينه عوراء طافئة كما جاء في الأحاديث.**

وأما الحديث الذى يذكر أن عينه اليسرى أيضا عوراء فهذا يشير أيضا إلى أن وسائل كسبه الدنيوى أيضا تكون حراما ومخالفة لدين الله وشرعه. وهكذا فبدلا من أن ينشأ تناقض بسبب الحرفية. فإن التأويل يضيف لنا معارف أعمق وأوسع.

فالدجال إذن عدو، وهو أمة دجالة ضالة غفيرة العدد تلبس الحق بالباطل متسترة بشعارات أخلاقية زائفة وتزعم أن الله قد اتخذ ولدا، وهي أمة كثيرة المال ذات تقدم مادي دنيوي هائل تفتن به الناس في حين أنها عمياء البصيرة من الناحية الدينية الروحية وهي علي ضلال مبين.

وفيما يتعلق بالتقدم المادى الهائل لهذه الأمة الدجالة، فقد جاء فى الأحاديث الشريفة بيان إعجاز شامل يحدوبعقلاء العالم وعلمائه ومفكريه ومثقفيه إلى الإيمان بصدق دعوة الأمين الصادق محمد صلوات الله وسلامه عليه ودينه الإسلام - وبيان ذلك بشيء من السرد التفصيلي:

***١- حمار الدجال:**

جاء فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الناس سيتركون ركوب الجمال فلا يسعون عليها فى حين كانت فى زمنه صلوات الله وسلامه عليه من أهم

وسائط النقل التى لا يمكن الاستغناء عنها إذ قال :(ولتركن القلاص فلا يسعى عليها) صحيح مسلم.

ويؤيد القرآن الكريم هذه النبوءة حيث يقول الله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤].

ويقول عز وجل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨].

وهذا يعنى أنه سيأتى يوم يتوقف فيه الإنسان عن استخدام الجمال ذات الأشهر العشر من العمر، وذلك بسبب وسائط النقل الحديثة المتطورة، التى يكون العلى القدير الخالق العظيم البديع قد مكنه من اختراعها واستخدامها فى المستقبل، بحيث يستغنى بها عن ركوب الحيوانات كوسائط للنقل.

لذا عندما حدثنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن (حمار الدجال) العجيب فقد كان ينقل إلينا عبر أمته، نبوءته المتعلقة باستخدام وسائل النقل السريعة التى تخترعها وتستخدمها أمة الدجال ذات التقدم المادى الهائل، ولكنه عبر عن ذلك حينذاك باستخدامه لفظ (الحمار) ولكن أى حمار!

لقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا (الحمار) يسير بالطاقة النارية وذلك فى حديثه:

(يوشك أن يخرج من جس سيل نار تسير سيرا بمطية الإبل) كنز العمال- الجزء السابع.

وتتضح لنا أوصاف وملامح هذا الحمار العجيب أكثر حين نقرأ عن شكله وحجمه وسرعته وأوصافه كما مر معنا، فهو حمار ضخم هائل، يوصف فى رواية صاحب (عقد الدرر فى أخبار المنتظر) أن طوله ستون خطوة لونه أحمر طعامه الحجارة، لا يُدرى قبله من دبره يتقدمه جبل من دخان، له صوت يدوى ما بين

الخافقين، يدعو الناس إليه!.

وغير خاف أن هذه الأوصاف تنطبق - بعد قليل من التأمل - على القطار البخارى الذى كان من أول وسائل النقل الحديثة لأمة الدجال فى العصر الحديث، ومن المعروف أنه كان يُطلق عليه اسم (الحصان النارى) وأول من أطلق عليه ذلك الاسم هم: «الهنود الحمر» لأنه وسيلة نقل تعمل بالطاقة النارية التى تولد البخار وتستخدم قوته.

هذا وقد تنبأت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ظهور شكل آخر لوسيلة نقل الدجال (حمار الدجال) فتصفه بأن ما بين حافره إلى حافره مسيرة يوم وليلة (كنز العمال)، وكذلك طول كل خطوة من خطاه ثلاثة أيام ويضع خطوة عند منتهى طرفه (الإشاعة ص٤)، كما وُصفت دابة الدجال هذه بأنها «ذات السروج والفروج» (بحار الأنوار - ج٣)، كما أنه أقمر أبيض لا شعر له، طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا (كنز العمال - عن الإمام على رضي الله عنه)، وما بين أذنيه أربعون ذراعا (البخارى، ومشكاة المصابيح)، كما جاء فى الدرر المنثور أن أذن حمار الدجال تُظل سبعون ألفا من اليهود، وهو ذو سرعة خارقة بحيث أن الأرض تطوى له منهلا منهلا ويسبق الشمس إلى مغيبها.

ونحن إذا تفكرنا بهذه الأمر، وأمعنا النظر فى هذه الأوصاف وجدنا أنها تنطبق على الطائرة الحديثة التى هى من اخترع أمة الدجال، وهى من أهم وسائل نقلها، فهى كما جاء فى الحديث قمراء بيضاء لا شعر لها، وأجنحتها التى هى بمثابة أذنيها تقارب فى بعضها تماما الأطوال المذكورة، وهى سريعة جدا تطوى لها الأرض منهلا منهلا، وتسبق الشمس إلى مغيبها فعلا، فعلى سبيل المثال إذا كنت فى باريس الساعة الخامسة - بعد الظهر - عند الغروب، وانطلقت بالطائرة إلى لندن فى الوقت ذاته، فإن سفرك سيستغرق أقل من ساعة وتصل إلى لندن قبل الغروب وقبيل الساعة

الخامسة، وذلك بسبب سرعة الطائرة وفرق التوقيت. وإذا انطلقت طبعا هذه الطائرة «بحافرها» الأول من مدينة ما فذات الطائرة لا تضع حافرها الآخر إلى عند وصولها إلى مدينة أو بلد آخر بعد مسيرة طويلة.

وهكذا تنطبق النبوءة العظيمة لرسول الله ﷺ فى أحاديثه الشريفة على ما نراه ونعايشه الآن - بعد مضى ما يجاوز أربعة عشر قرنا من قولها والتحدث بها جيلا بعد جيل.

وهناك أيضا وصف عجيب آخر لحمار الدجال فى أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه يصف فيه الطائرة المقاتلة فيقول عن الدجال فى حديث أورده المقدسى صاحب «عقد الدرر فى أخبار المنتظر» من حديث ذكره الإمام أبو الحسن بن عبيدالله الكسائى:

(يخرج على حمار مطموس العين، مكسور الطرف، يخرج منه الحيات، محدودب الظهر قد صور كل السلاح فى يديه، حتى الرمح والقوس).

وقد يلاحظ هنا أنه ليس هناك أطراف، كما أن ظهره محدوب وليس مقعرا - خلافا لشكل الحمار المعروف، ثم نلاحظ أيضا ن بقية أوصافه أيضا تنطبق على الطائرة المقاتلة التى تنطلق منها القذائف والصواريخ بأشكال مختلفة، فهى مطموسة العين، محدودبة الظهر، لا أطراف لها ومعها من كل السلاح وتخرج منها القذائف.

وقد جاء فى رواية أن اليهود يستظلون بحماية أذنى هذا الحمار الهائل، وهذا كناية عن احتمائهم بالمظلة الجوية لطائراتهم المقاتلة، إذ ورد فى الحديث أن سبعين ألفا من اليهود يحتمون بظل أذنى هذا الحمار، فكيف يجب أن يكون حجم أذنيه حتى يحتمى بظلهما سبعون ألفا من اليهود!

(يركب - الدجال - حمارًا أبتر بين أذنيه أربعون ذراعا يستظل تحت أذنيه سبعون ألفا من اليهود) سنن الدانى وقد يجدد الذكر هنا أن العدد سبعين أو مضاعفاته فى

اللغة العربية يمكن أن يستخدم للكثرة لا للحصر، قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة: ٨٠].

وبالطبع هذا لا يعنى أن الرسول لو استغفر ٧١ مرة فإن الله سيغفر لهؤلاء المنافقين المذكورين فى الآية.

كما قد يلاحظ أيضا أن كلمة «أبتر» فى هذا الحديث تلقى الضوء على أن هذا الحمار ليس من النوع الذى يتناسل ويكون له ذرية من الحمير كما هى الحال فى الحمر العادية، وذلك **لأن هذا الحمار ما هو إلا شكل من أشكال الآلة البتراء** التى بالقطع ليس لها نسل كوسائط النقل الأخرى من الحيوانات.

كما أن استظلال اليهود بحمار الدجال يمكن أن يعنى هنا أيضا المراقبة الرادارية التى تلتقط الأصوات والصور ويحتمى فى ظلها اليهود وغيرهم (وخاصة اليهود الذين يعولون أساسا على هذا التفوق العلمى لحمايتهم) وإلا فكيف يكون حجم هذه الأذن التى يستظل بها سبعون ألفا من اليهود؟!

ثم إذا أخذنا حجم أذن الحمار بعين الاعتبار، فكم وكيف يكون حجم هذا الحمار الخارق؟! وكذلك نجد فى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الحمار الهائل أنه يخوض البحر ولكنه لا يغرق، إذ لا يبلغ الماء أكثر من حقوية: (يخوض البحر لا يبلغ حقويه) - كنز العمال.

ولا جدال أن هذا الوصف ينطبق تماما على السفينة التى تخوض البحر ولا يُغمر منها سوى جزء صغير جدا من سطحها السفلى الملامس للماء. ومن الملفت للنظر أنه ورد أيضا أن هذا الحمار المائى يعمل بطاقة ويطلق جبل من دخان يتقدمه وهذا ينطبق على السفن البخارية فى بداية عهدها.

هذا وقد جاء فى الجامع الصغير عن أبى هريرة ﷺ حديث لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه عن **واسطة نقل عجيبة أطلق عليها اسم (بعير) يحشر الناس عليه أو يجتمعون فيه:**

(يحشر الناس على ثلاثة طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير.. وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تُقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتُصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا).

ولا شك فى أن هذا البعير هو كناية عن السيارات والباصات وحافلات النقل.. إلخ التى كان يركبها فى البدء عدد قليل من الناس ثم تطورت فى الشكل والحجم فصار يركبها عدد أكثر من الناس حتى وصلت إلى شكلها الحالى، بحيث يمكن أن تحمل عشرة أو أكثر، ينحشر الناس فيها فى عربة واحدة.

ومما تقدم فإننا نجد من خلال نبوءات الصادق الأمين عن حمار الدخان بعد التفكر والتأمل فيها بأنها نبوءات إعجازية مدهشة تصف بدقة جميع وسائط النقل الحديثة المعاصرة كالقطارات والطائرات المدنية والمقاتلة والسفن والبواخر والسيارات.. إلخ وبشكل رائع شامل، وليس بمقدور أحد أن يأتى به إلا إذا كان العلى القدير سبحانه وتعالى قد أطلعه عليه وأظهره على غيبه فجعله يرى هذه الصور والأشكال والأحداث المستقبلية منذ ما يربو على أربعة عشر قرنا.

***- تقارب الزمان:**

لقد أنبأنا رسول الله صلى الله وسلامه عليه وآله وسلم أيضا فى أحاديثه الشريفة عن تقارب الزمان بسبب تمكن أمة الدجال من اختراع وسائط النقل الهائلة السرعة والتى استطاع الإنسان المعاصر بواسطتها اختصار الزمن، فيقطع على سبيل المثال

فى شهر ما كان يقطعه فى سنة، ويقطع فى أسبوع ما كان يقطعه فى شهر، ويقطع فى ساعة ما كان يقطعه فى يوم، ثم يقطع فى لمح البصر ما كان يقطعه فى ساعة، وهذا من خلال سرعة الصواريخ الفضائية التى وصلت إلى هذه السرعات المذهلة والتى تفوق أضعاف سرعة الصوت، إذ ورد عن الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم فى **حديث أنس عند أحمد والترمذى:**

(.. فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار).

وورد كذلك عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى حديث رواه نعيم **والحاكم عن ابن مسعود أن الدجال يحبس الشمس فيقول:**

أنا رب العالمين وهذه الشمس تجرى بإذنى، أفتريدوننى أن أحبسها لكم، فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر، والجمعة كالسنة، ويقول أتريدون أن أسيرها، فيجعل اليوم كالساعة). ومما هو متعارف عليه أن أطوال اليوم والشهر والسنة تعتمد على حركة النجوم والكواكب فى الأفلاك السماوية، فهى تعتمد فى الأساس على سرعة دوران الأرض حول نفسها وسرعتها حول الشمس وهكذا. وقد أكد لنا القرآن الكريم أن دوران وسرعات هذه الأجسام السماوية فى أفلاكها مرتبطة بقوانين محكمة تجعلها تسير فى مسارات وحبك مرسومة محسوبة ومقدرة بتقدير العزيز العليم، وأن الله قد سخر هذه القوانين لصالح حياة الإنسان وبقائه فلا يمكن أن تختل أو تتغير، لأنه لو حدث ذلك فإنه سيؤدى حتما إلى فساد نظام السماوات والأرض وبالتالى دمار الحياة والجنس البشرى بأكمله، لمخالفته لقوانين الطبيعة التى بثها الله وأحكمها فى الكون بيديه، **يقول تعالى:**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[إبراهيم: ٣٣] مما يتضح جليا لنا أن الله عز وجل قد ضبط الشمس والقمر والليل والنهار بقوانين محكمة لا يمكن لها أن تخالفها لأى سبب من الأسباب - إلا بإذن الله تعالى - لأن الخروج على هذه القوانين سوف يؤدى إلى فساد نظام الكون وبالتالى هلاك الجنس البشرى برمته، ولذلك فقد جعل الله لكل كوكب فلكا ومسارا خاصا لا يخرج عنه إذ قال لنا العلى القدير جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس: ٤٠].

وهذا ما يؤكد لنا يقينا أن الوقت والزمان اللذان سخرهما الله للإنسان - من خلال ضبط انصياع حركة الأرض والشمس والقمر لقوانين خاصة قدرها عليها - لا يمكن أن يخالفا القوانين التى ضبطهما بها الله تعالى عز وجل، وبالتالى فإنه لا يمكن أن يطول الزمان أو يقصر بشكل مخالف لهذه القوانين الإلهية المحكمة.

قال المولى عز وجل سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٦]ومعنى هذا أنهما ينصاعان بالطاعة التامة للتقدير الذى قدره الله عليهما ولا يستطيعا أن يخالفاه أبدا ولا يستطيع أي مخلوق أيا كانت قدراته أن يجعلهما يخالفانه.

كما يبين لنا العلى القدير والخالق العظيم البديع أيضا أن جميع الكواكب والنجوم إنما تسير فى السماء فى الطرق المحسوبة المحبوكة التى رسمها وحبكها الله جل وعلا لها، فوصف السماء بأنها ذات الحبك أى ذات الطرق المحددة للأفلاك التى تسبح فيها فقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾[الذاريات: ٧].

وهذا ما أقره واعترف به وأيده العلم الذى ثبت له أن لكل نجم وكوكب مسارا خاصا لا يمكن أن يخرج عنه. فكيف يتسنى إذن للدجال الأعور الكافر أن يُفسد نظام الكون ومدارات الشمس والقمر والأرض والأفلاك حتى يغير الوقت والزمان

فيجعله يقصر أو يطول، أو يوقفه بحبس الشمس؟!

ومنطقيا إنَّ هذا لا يمكن الأخذ به أو يكون إلا بمعنى تمكنه من اختراع وسائط متطورة للنقل تجعله يجتاز المسافات بسرعات هائلة. فما كان يقطع فى شهر يمكنه بوسائط نقله أن يقطعه فى أسبوع ثم مع زيادة السرعات يمكن اختصار الزمن لمسافات أكبر وأكبر وبذلك يصير الأسبوع كاليوم واليوم كالساعة، والساعة كضرمة النار، تماما كما أخبرنا الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة فى أحاديثه ونبوءاته المعجزة عن الدجال وأيامه.

ومن الملاحظ والمعروف لنا جميعا - خاصة مستخدمى الطائرات فى أسفارهم - أنه يمكن للإنسان المعاصر أن يظل فى وقت الشمس والنهار من خلال السفر من منطقة ذات توقيت سابق فى الشرق، إلى منطقة أخرى ذات توقيت لاحق فى الغرب، فبدلا من أن تغرب الشمس فى موعدها المحدد تتأخر لساعة أو ساعات على من يطير فى طائرة باتجاه معاكس، وكذلك يكسب فارقا فى التوقيت وكأن الشمس قد حُبست والنهار قد طال.

ومن ضمن ما يعنى تمكن الإنسان المعاصر من حبس الشمس هو تمكنه من حبس الطاقة الشمسية لاستخدامها لأغراض حرارية وتوليد الكهرباء وغير ذلك مما هو شائع ومعروف حتى بات مصطلح (حبس الشمس) اليوم من الأمور الشائعة المألوفة التى يستخدمها الكتاب فى مؤلفاتهم ويحدثون الناس بها وقد يكون خير مثال على ذلك ما جاء فى كتاب «حفارو القبور» لمؤلفه العلامة الشهير «روجيه جارودى» إذ يتحدث فيه عن أهمية الطاقة الشمسية لأفريقيا فيقول:

«إن أفريقيا السوداء لا تحتاج إلى البنطال الضيق أو إلى مزيل الرائحة بل إنها بحاجة إلى الكثير من الآلات التى تحبس الشمس لتتحكم بمصدر الطاقة الأهم إليها وهى الشمس».

ولا ريب ولا جدال أن ما تقدم ببرهان ساطع يثبت بأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قد نبأ العالم بتوصل الإنسان إلى إمكانية حبس الشمس، قبل تمكنه من ذلك.

٭ - استخدام الطاقة الشمسية:

جاء فى حديث لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله وسلم يصف الدجال فقال:

(.. ويتناول الطير من الجو ويشويه فى الشمس شيا).

الاشاعة لأشراط الساعة ص١٢٧، ورواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمرو.

ومن الملاحظ بشىء من إعمال العقل والتأمل، أننا نجد فى هذا الحديث نبوءة عن تمكن الإنسان من اختراع بنادق الصيد المتطورة التى يستطيع مستخدمها من اصطياد الطير أثناء طيرانه فى السماء.

كما نجد أيضا فى هذا الحديث نبوءة عن تمكن الإنسان استخدام الطاقة الشمسية لأغراض حرارية، مما هو معروف اليوم إذ قد تم اختراع مواقد حرارية تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة حرارية تمكن مستخدمها من طهى الطعام والإنارة والتدفئة.. بل إن بعض المنشآت الصناعية والطبية وغيرها تعتمد على الطاقة الشمسية فى تشغيل آلاتها وأجهزتها كما هو معلوم.

وإذا كان حبس الشمس كما قدمنا قد ترتب عليه استخدام الطاقة الشمسية فى المجالات المختلفة كما نوهنا آنفا فإن حبسها يعنى أيضا ترتيبا على ما تقدم القدرة على مواجهتها بشكل مستمر ودون غياب عنها ويتجلى ذلك - كما رددته وسائل الإعلام الغربية مؤخرا - من خلال السفر بسفن فضائية تطير بسرعة خاصة بحيث تبقى فى مواجهة مستمرة مع الشمس التى لا تغيب عن مثل هذه المركبة السريعة ومن فيها، فتبدو كأنها قد حبست ولم تغرب أبدا.

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: ١-٦].

بعض معانى ذرى فى «معجم المعانى الجامع - معجم عربى - عربى».

ذرت: طيرت وأذهبت - فلان يذرى فلانا: أى يرفع من أمره - غر الذرى: بيض.

ذرت الريح شيئًا: أى حملته وأطارته وجرت به - أو أقلعت به. استذريت بالشجرة: استظللت وصرت فى دفئها.

الذاريات ذروا: كل ما تحمله الريح ويطير فى الفضاء بسرعة كبيرة (وينطبق ذلك أيضا فى عصرنا الحالى على الطائرات بأنواعها والصواريخ وسفن الفضاء.. إلخ).

الجاريات يسرا: السفن بأنواعها التى تستطيع الجرى فى الماء بسرعة كبيرة وسهولة (وينطبق ذلك منطقيا أيضا على البواخر والسفن الحربية والغواصات وحاملات الطائرات.. إلخ).

المقسمات أمرا: الملائكة التى تقسم أمر الله فى خلقه ينزلها الله تعالى بأمره على من يشاء.

*** - سيطرة الدجال في السماء والأرض:**

جاء فى بعض أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه - كما مر معنا من قبل - أن السماء والأرض تأتمران بأمر الدجال فقال:

(يأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت) صحيح مسلم عن النواس بن سمعان.

وهذا لا يعنى على الإطلاق - كما قد يتصور البعض - أن الدجال يصرخ آمرا السماء بأن تنزل المطر، فتنصاع لأمره وتنزل المطر فى المكان الذى يحدده، أو أن يأمر

الأرض قائلا: أنبتي فتخرج زروعها وثمارها، منصاعة لكلمته الآمرة من غير حرث ولا زرع!.

إن هذا الفهم المنحرف المعوج يستحيل أن يكون مقبولا بأى شكل من الأشكال، فالكون كله لا يأمر إلا بكلمة العلى القدير الواحد الأحد لا شريك له سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون - ولا قدرة للدجال أو لغيره أيا كان على أن يأمر السماء فتطيعه، ولا أن يأمر الأرض فتنصاع طائعة له كما يريد. بل لا ريب ودون أدنى شك فإن هذه النبوءة إنما تشير إلى تقدم أمة أو أمم - الدجال فى ميادين علوم البيئة والزراعة والرى واستثمار الأراضى والمياه.. فيتمكنون على سبيل المثال من نقل المياه عبر الأنابيب المرتفعة المثبتة التى ترش المياه من علو، أو رش المياه والمبيدات بواسطة الطائرات الزراعية (وقد يجدر الذكر هنا ما جاء فى معجم اللغة العربية بأن كل ما علاك فهو سماك. وهذا يعنى أن أى ارتفاع فوق الأرض مهما كان علوه يمكن أن يسمى السماء، وبهذا يكون الرى بالأنابيب الضخمة المرتفعة فوق الحقول بمثابة إنزال المطر من السماء. ومن المعلوم حاليا أن هناك ثمة بعض الوسائل لإنزال من الغيم المعقود فى السماء بواسطة قذائف خاصة وغير ذلك كثير مما ذكر عن هذه الأنباء العلمية الحديثة).

وهكذا فإن رى الأراضى بواسطة الأنابيب المرفوعة الضخمة الدوارة التى تروى الحقول المزروعة بواسطة الأنابيب المرفوعة الضخمة الدوراة التى تروى الحقول المزروعةِ عن طريق الرش يمكن أن يعد بمثابة إنزال المطر من السماء، ولا شك فى أن أسلوب الرى هذا لا يمكن أن يتم إلا بأمر ورغبة مسئولى الزراعة أو المزارعين الذين يستخدمون هذه الطريقة وقتما يشاءون.

وبهذا تتأكد نبوءة رسول الله ﷺ التى تتعلق بتقدم الدجال وتابعيه فى مجال

رى الأراضى واستخراج الزروع والثمار بوسائل حديثة متطورة باضطراد، تحيل الصحارى والأراضى البور إلى حدائق وجنات وارفة الظلال، وهو ما قد تحقق ونراه الآن فعلا وواقعا.

وإضافة إلى ما تقدم فيما يتعلق بالنبوءة حول أن الدجال يأمر السماء أن تمطر فتمطر، فقد ترى معنا عزيزى القارئ أن ألفاظ هذا الحديث لا تتحدث عن قدرة إنزال الدجال للماء حصرا من السماء، بل هى نبوءة خطيرة تتحدث عن إنزاله أيضا الهلاك على الناس من السماء. وقد يفسر ذلك بجلاء أن نبوءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تتحدث عن «المطر» وليس «الغيث» - والمطر فى اللغة العربية ومصطلح القرآن الكريم غير الغيث، وإذا ما انتبهنا إلى القرآن الكريم، فإننا نجد أن كلمة «المطر» لم ترد إلا فى حالة السوء والأذى، فى حين أن كلمة الغيث فقط هى التى ترد وتستعمل للخير. ومما يؤكد ذلك أن كلمة «مطر» وردت فى القرآن الكريم أربع مرات، وقد استخدمت جميعها فى مجال السوء والأذى - يقول المولى جل وعلا سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾[النساء: ١٠٢].

ومن الواضح هنا وجود الأذى بسبب المطر واقتران كلمتى السوء والأذى به.

وفى سورة الفرقان: الآية ٤١ يقول العلى القدير عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾[الفرقان: ٤٠].

ويلاحظ هنا أيضا اقتران كلمة السوء بكلمة المطر.

وفى سورة الشعراء: الآية ١٧٤ يقول العزيز الحكيم جل وعلا سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾[الشعراء: ١٧٣].

وهكذا نرى أن كلمتى السوء والأذى أحداهما أو كلاهما يقترنا بكلمة المطر.

وأما الغيث فهو الذى يأتى بالأمل والرحمة من بعد اليأس - يقول العليم الحكيم

سبحانه وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[الشورى: ٢٨].

وفى سورة لقمان: الآية ٣٥ يبين لنا خالق الكون العظيم الكبير المتعال القوى المتين سبحانه وتعالى أنه جل وعلا الواحد الأحد قد خص ذاته بالقدرة على إنزاله الغيث، فلا يجوز أن نشرك بذلك أحدا آخر كالدجال أوغيره إذ يقول عن نفسه عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[لقمان: ٣٤] .

وبذا يمكننا الآن أن نفهم ونعى فتنة الدجال فيما يتعلق بأنه يأمر السماء فتمطر وأنها ليست فقط بمعنى أنه ينزل الماء من أعلى لرى النبات.. إلخ بل أيضا بمعنى أدق وأشمل بمعنى أنه ينزل السوء والأذى من السماء.. كالقنابل والقذائف والصواريخ والمتفجرات بمختلف أنواعها. ومن المعروف والشائع أن التعبير المألوف الذى يقول فيه الواصفون للغارات الحربية بأن الطائرات قد أمطرت مدينة ما أو موقع ما.. بوابل من القنابل والصواريخ، أو فى قولهم: «أمطر العدو بوابل من الرصاص..».

وقد تشترك معى عزيزى القارئ فى أن هذا هو المعنى الأعم والأشمل لنبوءة الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

وقد يكون مثيلا وشبيها أيضا لنبوءة التقدم فى مجالات الرى والزراعة واستصلاح الأراضى نبوءة رسول الله ﷺ عن الدجال والأنهار إذ تحدث عن الدجال فى حديث رواه نعيم بن حماد فى حديث أورده الإمام البرزنجى فى كتابه «الإشاعة لأشراط الساعة ﷺ ١٢٥ - كما أورده المقدسى فى كتابه «عقد الدرر فى أخبار المنتظر» فقال:

(يأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس) وبالطبع هذا لا يعنى على الإطلاق أن الدجال يقف على ضفة نهر فيصرخ

آمرا الماء قائلا: أيها الماء ارجع، فيرجع إلى مصادره ومنابعه، ثم إذا قال له :«أيها الماء إجرِ، فينصاع له الماء طائعا لأمره فيجرى، ثم إذا قال له: إيبس، يتوقف عن الجريان ويجمد يابسا فى أرضه! ولا جدال فى أن هذا القول لا يمكن أن يقبله عقل عاقل أو حتى أى إنسان يعمل عقله ولو قليلا، بل إنما هى نبوءة عظيمة من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، قد نبأنا فيها عن تمكن الإنسان فى المستقبل من السيطرة على مياه الأنهار بالسدود الضخمة وبواباتها الكبيرة بحيث يستطيع المهندس المسئول أن يستخدم أزرارا يتمكن بها من غلق بوابات السد فى مسير ماء النهر فيرتد بأمره، ثم إذا أراد فتح هذه البوابات فيجرى الماء وينساب بأمره.

وفيما يتعلق بتيبس الماء فما هى إلا النبوءة المتعلقة بتمكن الإنسان من تجميد الماء وتحويله إلى جليد فى المنازل والمعامل والمستشفيات.. حسب الرغبة والحاجة إليها.

وهكذا نرى أكثر وأكثر أن هذه النبوءات تتعلق بتقدم الإنسان المضطرد فى عصرنا الحالى فى مجالات الرى والسدود واستصلاح الأراضى واستخراج الكنوز وثرواتها النباتية بأحدث الأساليب العلمية التى تخترعها وتصنعها الحضارة المعاصرة بوسائلها واختراعاتها العلمية الحديثة.

* النار التي تصاحب الناس:

فى حديث للرسول صلوات الله وسلامه عليه - عن أبى هريرة فى الجامع الصغير - نبوءة عن نار عجيبة تصحب الناس وجمعهم فى كل مكان ينامون ويبيتون معها مطمئنين، إذ قال: (يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تُقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتُصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا).

وتتضح جليا - عند التأمل فى هذا الحديث وتفسيره المعاصر بشىء من إعمال

العقل - النبوءة عن المناسبات التى يجتمع فيها الناس ويحشرون، فهم يجتمعون فى وسائل النقل (البعير) التى يمكن أن تحمل أعدادا من الناس أحادا أو عشرات أو أكثر: كالقطارات أو الباصات أو السيارات.. إلخ.

كما أن الناس يجتمعون ويحشرون فى الريف والحضر التى تكون فيها الكهرباء متوفرة لضرورتها فى الإنارة والتدفئة والتبريد وضخ الماء وتشغيل الأجهزة والمصانع والمستشفيات وغير ذلك من الاستعمالات المتعددة الكثيرة. والكهرباء كطاقة يمكن اعتبارها شكلا من أشكال النار. وإن كانت النار التى يمكن للناس أن يقيموا معها ويصبحوا معها ويمسوا معها - كما نبأنا به الرسول صلوات الله وسلامه عليه تماما. إذ من غير المقبول أن نقبل فكرة أن ينام الناس أو يبيتون مع النار بالمعنى الحرفى.. بل هى نبوءة عظيمة عن استخدام الكهرباء التى تجمع الناس فى البيوت والقرى والمدن والتى هى شكل من أشكال النار.

* إخراج كنوز الأرض:

فى حديث للرسول صلوات الله وسلامه عليه يصف الدجال رواه مسلم والترمذى - جاء فيه:

(.. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجى كنوزك، فتتبعه كيعاسيب النحل) مسلم والترمذى.

ليس من المنطقى أو لمن يعمل عقله أن يكون المقصود من هذا الحديث أن الدجال يقف فى الخرائب ويصرخ آمرا إياها: أخرجى كنوزك، فترتعد فرائص الأرض، وتدفع بكنوزها من الذهب والفضة والجواهر وغيرها بين يدى الدجال، ثم تطير هذه الكنوز وراءه فى خط مستقيم إلى حيث يشاء.

ولكن من المنطقى لمن يعمل عقله ويمعن النظر بشىء من التأمل والتدبر يجد أن

المقصود هنا فى هذا الحيث هو وصول أمة الدجال إلى اختراع وسائل حديثة متطورة تمكنهم من استخراج كنوز الأرض مثل: النفط والذهب والماس والفضة والحديد والنحاس.. وغيرها كثير من كنوز الأرض، بحيث لا يعجزون عن استخراج أية كنوز فى عمق الأرض وفى أى بلاد تكون.

وبشىء من إمعان النظر والتأمل يلاحظ أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد بين لنا بجلاء فى هذه النبوءة العظيمة أن هذه الكنوز لن تبقى فى أراضيها التى تستخرج منها، وإنما تشحن خارج بلادها وأراضيها وراء أمم الدجال الذين يسرقونها إما بالهيمنة الاستعمارية أو بالتجارة، فيحملونها فى سفنهم وطائراتهم فتتبعهم إلى بلادهم لتضاعف من قوتهم وثرواتهم على حساب البلاد الخربة الفقيرة التى ينهبون ثرواتها وكنوزها بالقوة.

وأما ما يتعلق بتشبيه الصادق الأمين بنقل هذه الثروات (والكنوز) بالشحن (برا وبحرا وجوا) بيعاسيب النحل فهذا إعجاز آخر إذ أن من المعروف علميا أن يعاسيب النحل تطير بأساليب ثابتة محددة كما تطير الطائرات وتجرى السفن فى البحار وعربات وسيارات الشحن فى الطرق البرية.

*** التقدم الطبي:**

وفى حديث شريف للرسول صلوات الله وسلامه عليه رواه مسلم والترمذى وأحمد فى مسنده جاء: (**ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك**).

ومع إيماننا الكامل بأن أحدا لا يقدر أن يحيى الميت أو يبعثه من الموت إلا الله المحيى المميت خالق الكون العظيم الواحد الأحد، إلا أننا إذا ما أولنا هذا الحديث بشىء من إعمال المنطق والعقل وإمعان النظر، نجد أنه يبتغى الإشارة إلى تقدم

الإنسان فى مجالات العلوم الطبية والعمليات الجراحية تقدما هائلا ومضطردا، حيث يمكن فى عصرنا هذا - وبعد ١٤٠٠ سنة من هذه النبوءة - للأطباء المتخصصين فى العالم - خاصة فى العالم الغربى ومن تعلم عندهم - أن يجروا عمليات جراحية خطيرة على مستوى استبدال قلب الإنسان المعطوب بقلب صناعى أو قلب إنسان آخر كما هو معلوم، حيث يقوم الأطباء بعد تخدير المريض الذى يصير كالميت تماما لا يحس ولا يشعر بشق صدر المريض نصفين يكون الطبيب قد شق صدر المريض شقين رمية الغرض المقصود، ثم يستبدل القلب القديم السقيم بآخر سليم، ثم يعود فيغلق صدره المشقوق ويلم جرحه، ثم ينعشه من التخدير وكأنما يبعثه من الموت، فيصحو المريض متهللا، ويضحك فرحا بنجاح العملية ونجاته من الموت تماما على الصورة التى بينها الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى نبوءته العظيمة.

*** بقاء الدجال حيا في الأرض وعلمه للغيب:**

فى قصة تميم الدارى المروية فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صحيح مسلم أن الدجال قد تنبأ بالغيب نبوءات صادقة، وأنه كان حيا مقيدا فى دير منذ الزمن السابق لرسول الله ﷺ .

ولا شك فى أن هذا - عدا مخالفته للعقل والمنطق السليم - يخالف أيضا القرآن وأسس الإيمان والتوحيد فى الإسلام كما هو معلوم للعارفين بالإسلام إذا ما أخذت القصة بحرفيتها. ونظرا لما قد يترتب على المفهوم الخاطئ لهذا الحديث من معتقدات خاطئة، **لذا فإننا نجد أنه من الأهمية بمكان البرهان على أنه لم يكن إلا رؤيا تتعلق بنبوءة غيبية قد ينبغى فهمها بالتأويل المبنى على التعليم القرآنى الحكيم**، إذ أن الأخذ بحرفيتها يضل من يصر على ذلك فيصبح أسير عقائد خاطئة ليست من الإسلام فى شىء.

لذا فإنه يجدر بنا التعرض لبيان ذلك بشىء من السرد التفصيلى كالتالى:

- جمع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذات يوم وهو متهلل الوجه فقال :«يا أيها الناس.. أتدرون لم جمعتكم؟.. لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال.

حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفأوا إلي جزيرة في البحر حتي مغرب الشمس، فجلسوا فى أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالت: يا أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير (يلاحظ هنا علاقة الدير بالمسيح الدجال فى هذا الحديث فهو مكان قيده ومنطلقه) فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا (الدير) فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلي عنقه، ما بين ركبتيه إلي كعبيه بالحديد. قلنا ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم علي خبري فأخبروني أنتم، قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادقنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلي جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة.. فقال أخبروني عن نخل بيسان، قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له نعم. قال: أما إنها توشك ألا تُثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبريا. قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر، قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من

مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر علي من يليه من العرب وأطاعوه، قال: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح الدجال وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع أرضا إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على) صحيح مسلم.

وقد يبدو بكل وضوح لمن يمعن النظر والتأمل فى هذا الحديث مع إعمال لعقله أن هذا الحديث إنما يصف ويتحدث عن رؤيا قد وافقت رؤى صادقة أخرى، وليس عن قصة واقعية، وقد يبرهن على ذلك ويؤكده ما يلى:

١ - البرهان اللغوي:

يتضح لنا من البيان اللغوى لبعض مفردات هذا الحديث، أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، إنما كان يحدث أصحابه عن رؤيا قصها عليه تميم الدارى، وقد جاءت موافقة لرؤى صادقة تتعلق بالدجال، كان رأها ﷺ ، ففرح بتأكيد هذه النبوءة من أحد أصحابه فقال: «**أتدرون لم جمعتكم.. لأن الداري.. حدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال**».

وفى هذا المقطع من الحديث الشريف كلمة «حديث» وكلمة «وافق» وهما كلتاهما تستخدمان فى اللغة العربية عن الرؤيا، فكلمة «حديث» هى المفرد من «أحاديث» التي تعني أيضا الرؤي، كما فى قوله سبحانه وتعالى فى سورة يوسف:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[يوسف: ٦].

ونجد أيضا لفظة «وافق» التى تعنى هنا بكل وضوح إلى أن لفظة «حديثا» فى هذا

الحديث الشريف تعنى «رؤيا» أى أن تميما الدارى قد حدث رسول الله صلوات الله عليه عن رؤيا صادقة رأها وجاءت موافقة لرؤى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن الدجال التى كان يحدث بها قومه.

٢- الدلائل من عناصر القصة ذاتها:

بإمعان النظر فى قصة تميم الدارى للرسول ﷺ نلحظ بوضوح أنها تحتوى على مجموعة عناصر **يستحيل أن تكون مقبولة إلا إذا كانت رؤيا تستلزم التأويل ومنها:**

أ- تحتوى قصة الدارى عن أنباء غيبية تتعلق بالرسول وقومه وحروب وبلاد ومواقف سردها الدجال وهى نبوءات ثبت صدقها، وبما أنه يستحيل أن يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى أو من ارتضى من رسول، بوحى منه عز وجل، فإنه لا يصح الاعتقاد بأن كافرا كذابا دجالا يعلم الغيب كالله أو بوحى من الله كنبى صادق.

ب- وفى رواية الدارى نلاحظ أن الجساسة (حيوان) تكلم الناس بكلام فصيح مبين يفهمه الناس، ومن المتعارف عليه أن هذا أمر محال فى الواقع واليقظة كما هو معلوم.

وقد تجدر الملاحظة هنا أن لفظة الجساسة تشير إلى التجسس الذى هو سمة بارزة لدى أمم الحضارة الغربية الاستعمارية ترتيبا على تركيبتها العدوانية.

جـ- وفى هذه الرواية يحكى لنا تميم الدارى أنه قد ركب السفينة مع ثلاثين رجل من لخم وجذام، ولم يرد لنا فى السيرة أو التاريخ أن أحدا من الرجال من القبيلتين المذكورتين قد ذكر شيئا عن هذه الحكاية أو أيدها - مما يشير لنا بوضوح أن المعاصرين لعصر النبوة كانوا يدركون أن رواية الدارى كانت بمثابة رؤيا توافق رؤى صادقة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

د- وفى رواية تميم الدارى ورد أيضا أنه قد كان على ظهر السفينة المذكورة ثلاثون

رجلا - كما تقدم ذكره - وأن الموج قد لعب بها فضلوا عليها فى البحر ثلاثون يوما دون قصد السفر هذه المدة الطويلة ودون استعداد مسبق. فكيف كان يمكن لهؤلاء الثلاثين أن يعيشوا على متنها مدة ثلاثين يوما دون ماء أو طعام كاف طوال هذه المدة الطويلة ودون استعداد مسبق؟ ثم ما هو حجم هذه السفينة فى ذلك العصر التى تتسع لتخزين مؤونة من الماء والطعام وغير ذلك لتكفى ثلاثين رجلا مدة ثلاثين يوما وهل كانت قبيلتا لخم وجذام تمتلكان مثل هذه السفن الكبيرة وهل ذكرت الكتب والروايات المعينة أسماء هؤلاء الثلاثين أو حتى أحدا منهم؟

ثم ما هى هذه الجزيرة التى فيها وحوش أو دواب هُلب متكلمة «كالجساسة»، وأين تقع وأين هذا الدير الذى يوجد فيه هذا الإنسان الخارق المقيد بالحديد حتى يومنا هذا؟

إن هذه الرواية لا يمكن أن تقع إلا فى رؤيا منامية ولا يمكن أن تؤخذ بحرفيتها - لأنها رؤية - يتبين من تأويلها بجلاء بأن الوحش (المسيح الدجال) الذى كان مقيدا بالحديد فى دير فى جزيرة فى زمن رسول الله **إنما هو الكهنوت المتمثل بالتعاليم المخالفة لهدى المسيح الناصرى وتعاليمه الصحيحه.**

وغير خاف أن رجال الكهنوت الذين انطلقوا فى الزمن الحديث للتبشير بتعاليمهم المخالفة لتعاليم المسيح قد انطلقوا على متن حمار الدجال النارى (السفينة البخارية) ثم القطار البخارى ثم الطائرات بأنواعها إلى الهند وإفريقيا وآسيا وأمريكا من بقاع استعمارهم.

أما فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا مقيدين فى الجزيرة البريطانية حامية الكنيسة المسيحية آنئذ، ولم يكونوا قادرين على الانتشار فى الآفاق التى وصلوا إليها فى زمننا الحديث رلا بعد اختراع وسائط النقل الخارقة التى رمز إليها الصادق الأمين

صلوات الله وسلامه عليه باسم (حمار الدجال) كما قدمنا من قبل - فسفكوا الدماء، واحتلوا البلاد، وأذلوا العباد واستحوذوا قسرا على الخيرات ونهبوا عمدا الثروات.

وقد يجدر بنا هنا الإقرار بأن إيراد تفصيل كل بيان فى نبوءات الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه المتعلقة بخروج الدجال لوجدنا أن دقائق وتفاصيل أو تأويل هذه النبوءات تفوق قدرتنا على الإحاطة بجميع ما جاء فيها، وسيتضح لنا جليا أن ثمة نبوءات وآيات لا تزال بانتظار المستقبل ليوضحها ويكشفها للناس فى حقائق إعجازية جديدة تشهد على صدق رسول الله ﷺ ورسالة الإسلام العظيمة، وتدفع المفكرين والمثقفين المخلصين الذين يأبون خداع أنفسهم إلى التصديق برسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه والدخول فى دين الله العظيم الإسلام مستدلين بما ورد من إعجازات مبهرة ساطعة فى كافة المجالات، وما جاء فى أحاديث الصادق الأمين من نبوءات إعجازية وقد سطعت جميعا فى القرآن الكريم والسنة الشريفة لتكون برهانا عظيما للعالمين.

ولا ريب أن بحث الدجال أوسع بكثير من أن يغطيه باحث أو مفكر، لما له من صلة بمواضيع كثيرة وهامة جدا.. لذا فإن القصد الذى نبغيه ليس الإسهاب، أو الإحاطة بهذا البحث فهو - وكما نقر - أمرا أكبر بكثير من أى باحث بمفرده، ولكن القصد الأساسى هو الاجتهاد فى البرهان من كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه والمكتشفات والحقائق العلمية الثابتة على أن المسيح الدجال قد ظهر، بحسب نبوءات خاتم النبيين ﷺ ، وأنه يعبث الآن فى العالم فسادا.

وغير خاف أنه إتماما للقصد، فإنه ينبغى التعرض بشىء من البحث والسرد التفصيلى لمواضيع أخرى تتعلق بخروج الدجال **قد تزيد البحث وضوحا ومنها:**

*** خروج يأجوج ومأجوج المفسدين فى الأرض وشخصية ذى القرنين الذى**

مكنه الله عز وجل قديما من وقف افسادهم فى الأرض ردحا من الزمان كما ورد فى القرآن الكريم.

*** طلوع الشمس من مغربها.**

*** دابة الأرض التى تكلم الناس.**

وهى جميعا قد جاء ذكرها فى القرآن الكريم والحديث الشريف - وقد يجدر التذكير هنا إلى ضرورة الانتباه إلى حقيقة صلة هذه الأمور بسورة الكهف التى تتحدث ببيان رائع عن حقيقة الدجال ويأجوج ومأجوج وصلة ذلك بالإسلام ودعوة الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه، كما أنها تبين المصير المحتوم لأمم الدجال (يأجوج ومأجوج العصر الحديث) وظهور الإسلام كدين عالمى واحد فى نهاية المطاف يجمع الناس على قمة القضية الإيمانية وهى الوحدانية الأحدية للعلى القدير أى يوحدهم على دين محمد مصداقا لوعد الله الحق فى القرآن المجيد:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[التوبة: ٣٣].

وفيما يتعلق ببحث الدجال ويأجوج ومأجوج وشخصية ذى القرنين فإنه يمكن تلخيص مضمون سورة الكهف فى هذا الخصوص **لمن أراد أن يتمعن فى معانيها بما يلى:**

أ- تبدأ هذه السورة ببيان العلى القدير عز وجل أنه قد أنزل القرآن الكريم ليزيل ويمحو به الأخطاء والتحريفات التى تسربت إلى الكتب السماوية السابقة، ولينذر الذين يعتقدون باطلا أن الله سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون قد اتخذ ولدًا، وينشرون هذه العقيدة الباطلة فى الأرض ويضطهدون مخالفيها. وتبين السورة أنهم بفعلهم هذا إنما يجلبون على أنفسهم غضب الله الذى سيحل

بهم وينهى ظلمهم واستبدادهم وعقيدتهم الباطلة، إلا أن نهايتهم، بالرغم من كرههم للإسلام لن تكون كبدايتهم. فقد كانوا فى بداية عهدهم ضعفاء وعرضة للاضطهاد الشديد فرحمهم الله وأنقذهم من تلك المصائب والشدائد ووضعهم على طريق الازدهار والتقدم. ولكنهم عندما أنعم الله عليهم بالغنى والرخاء، انغمسوا فى أعمال وثنية وانكبوا على الدنيا وماديانها وتاهوا فيها ووقفوا من التوحيد الحق والإيمان الحق موقف الظلم والعداء بدلا من أن يخلصوا دينهم وإيمانهم وأعمالهم لله وحده.

ب- وتحذر السورة المسلمين، وتحثهم على أن يعوا أنفسهم ويتعلموا الدرس من هذه الأقوام الضالة ويحذروا - وهم لا يزالون فى مرحلة القوة والمجد - **من أخطار ثلاثة شرور هى**:

- تقاعسهم فى عبادة الله الواحد الأحد الحقة.
- التهافت على متاع الدنيا وزينتها والطمع والحب الشديد للمال.
- الاستغراق فى الرفاهية.

ونجد فى مثال «الرجلين» صورة واضحة لقوة وغنى الشعوب غير الإسلامية التى لا تؤمن بالوحدانية الأحدية ومجدها وضعف وفقر وانحدار المسلمين، حيث نجد الرجل الغنى صاحب الجنتين يتباهى بغناه ويتفاخر على الرجل الفقير بازدراء واحتقار. ويبين المثل أن تفاخر الرجل الغنى (الأمم الغربية) بثروته وماله وكثرة عدده سوف ينتهى فى نهاية المطاف بكارثة هائلة تنزل عليه من السماء فتجلب له الحزن والأسى وتؤدى إلى انحطاطه وزوال مجده وعظمته ودمار حضارته المادية الظالمة.

ج - وتبين السورة بحثها فى انحدار الشعوب المسيحية الأول وانهيارها، وقيام

الإسلام وانتصاره، ثم توضح الأوضاع التى ستتبع انتصار الإسلام فتنبأنا بأنه سيأتى وقت على المسلمين يبتعدون فيه عن الدين الحق، ويليهم حب الدنيا ومتاعها وسعيهم وراء الثروات. وعقابا لهم على ذنوبهم وضلالهم سيهب الله التقدم والقوة مرة أخرى لخصومهم من الشعوب غير الإسلامية.

د- كما يتبين من السورة الأحداث التى تتبع ذلك ببيان أن دمارا عظيما سيصيب الأرض، وتنقسم شعوب الأرض إلى قوتين يموج بعضهما فى بعض، ويدمر بعضهما بعضا بعد أن يكونا قد تسببا فى تفشى الظلم والاستبداد والفساد إلى أقصى درجة. ولكن عندما تصل الأمور إلى هذا الحد الأقصى فإن العلى القدير سوف يخلق ظروفا من عنده ويهىء الأسباب لصد هذا الطوفان المدمر الذى بات يهدد بفناء العالم وبدا وكأنه لا قدرة لأحد بالتصدى له.

هـ- كما تشير السورة مؤكدة على أن المؤمنين فى العالم سيقفون سدا منيعا فى وجه ضلال وطغيان المفسدين فى الأرض (يأجوج ومأجوج) ويكسرون بعون الله شوكتهم، تحت قيادة قائد عظيم صالح عادل من عباد الله المتقين مكنه الله عز وجل وهىء له الأسباب (ذو القرنين) فينصر الله دينه ويعلى كلمته.

وقد يجدر الذكر أن ما قدمناه ليس تفسيرا لسورة الكهف، وإنما هو فحسب إشارة مختصرة إلى ما ذكر فيها ويتعلق ببحث الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وشخصية ذو القرنين.. ويمكن للمهتم بالتفسير التفصيلى القيام بدراسة السورة بنفسه ومراجعتها فى التفاسير لإدراك ما فيها من بيان ونبوءات.

الباب الثانى

«شخصية ذى القرنين»

المذكور فى القرآن الكريم

فصل تمهيدى

حول شخصية ذى القرنين

جاء فى سورة الكهف ذكر شخص من التاريخ القديم، لقبوه بذى القرنين» والآيات كما يلى:

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[الكهف: ٨٣-٩٨].

بعض الروايات فى سبب نزول هذه الآيات:

يبدو جليا من أسلوب هذه الآيات وسياقها أن النبى صلوات الله وسلامه عليه سئل عن ذى القرنين، فجاءت الآيات جوابًا للسؤال. فقد روى الترمذى والنسائى والإمام أحمد فى مسنده أن قريشا - بإيعاذ من شيوخ وعلماء اليهود - سألت النبى عن أمور، منها ذو القرنين فقالت: «من هذا الرجل وما هى أعماله؟» - وروى القرطبى عن السدى :«قالت اليهود أخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التوراة إلا فى مكان واحد. قال ومن؟ قالوا «ذو القرنين».

وقد أحصى ابن جرير وابن كثير والسيوطى الروايات بهذا الصدد فى تفاسيرهم

خصائص ذى القرنين فى القرآن الكريم - وأن ما ذكر فى الآيات من خصائص «ذى القرنين» يتلخص فى الآتى:

١- أن الرجل الذى سألوا النبى عنه، كانوا يسمونه بـ«ذى القرنين». أى أن هذا الاسم أو اللقب لم يضعه القرآن من عنده، بل الذين سألوا عنه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.

٢- أن الله عز وجل قد أعطاه الملك وهيأ له أسباب الحكم والغلبة.

٣- كانت مهماته الحربية الكبرى ثلاثا:

الأولى غربية: فقد زحف من بلاده متوجها إلى الغرب حتى وصل مكانا كان له حد المغرب، فوجد الشمس هناك كأنها تغرب فى عين.

والثانية شرقية: فما زال يتقدم حتى بلغ أرضا لا عمران فيها، تقطنها القبائل البدوية.

والمهمة الثالثة: وصلت به إلى مكان به مضيق جبلى، يشن من ورائه قوم الغارات على الأهالى وقد سماهم هؤلاء الأهالى باسم «يأجوج ومأجوج». وكان هؤلاء همجا، حرموا من المدنية والعقل.

٤- أقام «ذو القرنين» سدا فى المضيق الجبلى لمنع غارات القوم.

٥- لم يستخدم فى هذا السد الحجر والآجر فقط، بل استخدم فيه الحديد وأفرغ عليه النحاس كذلك، فأصبح سدا منيعا تعجز دونه همم المغيرين.

٦- كان الملك «ذو القرنين» مؤمنا بالله الواحد الأحد والآخرة.

٧- كان ملكا عادلا رحيما برعيته، ولا يبيح الفتك أو الظلم أو القسوة بالمفتوحين، فإنه لما تغلب على قوم فى الغرب، ظنوا أنه سيرهقهم كغيره من الملوك الفاتحين. فلم

يفعل ذلك بل قال لهم، لا خوف على الأبرياء منه، فإنه من يعمل خيرا يجزيه، كان القوم فى قبضة يده لا ناصر لهم إلا أنه أشفق عليهم وكسب قلوبهم بعدله وإحسانه.

٨- لم يكن حريصا على المال. فإنه لما أراد المفتوحون أن يجمعوا له المال لإقامة السد، أبى أخذه منهم قائلا إن ما أعطانى الله يغنينى عن أموالكم ولكن أعينونى بقوة أيديكم، أشيد لكم سدا حديديا.

الفصل الأول

حيرة المفسرين وتصور اليهود القومى
حول شخصية ((ذى القرنين))

إن الشخصية التاريخية التى هذه أعمالها وصفاتها - كما قدمنا - هى لا ريب شخصية «ذى القرنين» ولكن من هو هذا الرجل ومتى وأين وجد وماذا كانت عقيدته؟

ومن المنطقى أن تكون أول مسألة شغلت بال المفسرين فى هذا الصدد، هو اسم الرجل أو لقبه، إذ لم يعرف أن يكون لإنسان قرن أو قرون ولم يعرف فى التاريخ ملك لقب بهذا اللقب، فتحيروا وتخبطوا فى تفسيره خبط عشواء. فقال بعضهم أن «القرن» لم يستعمل فى معناه الظاهر بل أريد به الزمن. ولما كان هذا الملك امتد حكمه واتسع نطاق فتوحه إلى عهدين كبيرين، لقب بذى القرنين، ثم اختلفوا فى تحديد مدة القرن، فقيل ثلاثون سنة، وقيل خمس وعشرون سنة وقيل عشر سنين - وكلها أقوال لا طائل تحتها.

وقد جمع ابن جرير الطبرى فى تفسيره آثار الصدر الأول فى الباب، إلا أنها لم تلقى ضوءًا على شخصية خاصة، بل تبحث فيما إذا كان ذو القرنين نبيا أو غير نبى، بشرًا أو ملكًا؟

ولكن الآثار أجمعت على أن هذه الشخصية قديمة غارقة فى القدم. فقد قيل فى بعض الروايات أنه عاصر إبراهيم عليه السلام وأنه كان من الأنبياء فذكره البخارى مع الأنبياء القدماء وقدم ذكره على إبراهيم عليه السلام فقد كان يرى أن ذا القرنين قد وجد قبل إبراهيم بزمن قليل أو فى عصره.

وعندما بدأ عهد جديد للبحث والنقد، اتجهت أذهان بعض المؤرخين إلى اليمن، فظنوا أنه كما ذكرت الروايات أسماء الملوك الحميريين مثل «ذى الآذار».. فلا يبعد أنه وجد ملك يمنى سمى بـ«ذى القرنين» كذلك. وهو ما ذكره أبو الريحان البيرونى فى «الآثار الباقية» ووافقه عليه بن خلدون. فقد نلحظ أولا: أن الآثار أجمعت على أن الذين سألوا النبى صلوات الله وسلامه عليه عن ذى القرنين، هم اليهود، أو قريش بإيعاز من اليهود، وليس هنالك سبب يدعو اليهود لمعرفة ملك يمنى والاهتمام به إلى

حد السؤال عنه أو الإيعاذ لقريش بالسؤال عنه.

وثانيا: لو فرضنا أن قريش مكة هم الذين تقدموا بالسؤال عنه من تلقاء أنفسهم، فبما أن أحوال الملوك الحميريين كانت معروفة لديهم فإن هذا الافتراض كذلك لا يغنينا شيئا، إذ لو كان هكذا لوجدنا له أثرا وذكرا فى روايات العرب وأساطيرهم، أو فى أحاديث الصحابة والتابعين. وهذا لا وجود له البتة، ثم لا يغرب عن البال أن السائلين كانوا يبغون تعجيز النبى، فكانوا على يقين أنه لم يصله خبر عن ذى القرنين من أنباء قومه، فيعجزعن الجواب، ولو كان ذو القرنين رجلا من العرب وكان أهل الحجاز على علم به، لشاركهم النبى فيما يعلمونه ولما كان ثمة وجه للسؤال عن شىء معروف لديه.

والتساؤل الحقيقى اذى نحن بصدده هو: هل تنطبق الخصائص والأعمال التى ذكرها القرآن لذى القرنين على ملك حميرى؟

يذكر القرآن فتوحا له فى الغرب وفتوحا له فى الشرق، وإقامة سد حديدى يمنع هجمات يأجوج ومأجوج ولم توجد إلى الآن شهادة تاريخية على وجود ملك حميرى، أمعن فى الشرق والغرب مغيرا فاتحا، وبنى سدا حديديا كما ذكره القرآن. أما كون بعض ملوك اليمن لقبوا بـ«ذى» فلا أهمية له. وكذلك التشبث بسد مأرب لا يجدى نفعا، إذ لم يذكر أن هذا السد بنى لصد هجمات قوم واستخدمت فى بنائه ألواح من الحديد، ثم إن القرآن أشار إلى سد مأرب فى مكان آخر ولا شبه بينه وبين سد ذى القرنين بوجه من الوجوه.

ثم جاءت طبقة المفكرين والمثقفين فذهبوا إلى أن الإسكندر المقدونى قد اشتهر بملكه وانتصاراته فى الشرق والغرب، فيكون هو ذا القرنين. ويبدو أن ابن سينا أول من قال بهذا فى كتابه «الشفاء» فإنه عند ذكر بيان مناقب أرسطا ليس قال إنه كان معلما للإسكندر الذى ذكره القرآن باسم ذى القرنين وأثنى على إيمانه

وسلوكه القويم. ووافق الإمام فخر الدين الرازى ابن سينا فى رأيه. وسرد فى تفسيره الشهير - على عادته، كل ما قيل خلاف هذا الرأى. ولكنه اقتنع بالأجوبة الواهية، فى حين أن الإسكندر المقدونى لا يمكن أن يكون ذا القرنين الذى ذكره القرآن بحال من الأحوال، ولا يقال عن فتوحه أنها فتوح فى الشرق والغرب، كما أنه لم يبن سدا فى حياته كلها، ثم أننا نستطيع أن نجزم بأنه لم يكن مؤمنا بالله ولا رحيما عادلا مع الشعوب المغلوبة. فإن ذلك المقدونى قد دون تاريخ حياته ولا يوجد شبه بين أحواله وأحوال ذى القرنين. وفوق هذا ليس ثمة سبب يسوغ تلقيبه بذى القرنين حتى أن الإمام فخر الدين الرازى بنفسه قد عجز عن إثبات ذلك.

تاريخ اليهود القومى وتصور شخصية ذى القرنين:

والحاصل أن المفسرين لم يصلوا إلى نتيجة مقنعة فى بحثهم عن ذى القرنين. فالقدماء منهم لم يحاولوا التحقيق، ومن تلاهم حاولوه ولكن كان نصيبهم الفشل.

ولا غرابة فى ذلك، فالطريق الذى سلكه المفسرون كان خاطئا. فالسؤال كان من قبل اليهود، فكان الأجدر بالباحثين أن يرجعوا إلى أسفار اليهود للبحث عن شىء يلقى الضوء على شخصية ذى القرنين. إنهم لو فعلوا ذلك لتلمسوا الحقيقة.

سفر دانيال ورؤياه:

يوجد بين دفتى «العهد القديم» سفر منسوب إلى دانيال النبى، مذكور فيه بعض أعماله، وما كشف له عنه فى رؤياه أيام أسر اليهود ببابل. فلقد كان عهد الأسر هذا، عهد ابتلاء عظيم لليهود فقد ديست قوميتهم وخرب هيكلهم المقدس، فكانوا فى حزن ويأس عظيمين، ولا يدرون كيف ومتى يتبدل هذا الحزن وهذا اليأس.

يقول لنا سفر دانيال إنه ظهر فى تلك الأيام السود دانيال النبى، فتقرب بنبوءاته العجيبة وحكمته البالغة إلى ملوك بابل الذين تقبلوه بقبول حسن، فأنسوا به وأكرموه ورفعوه فوق السحرة والعرافين، وأن دانيال رأى رؤيا فى السنة الثالثة لجلوس الملك بيلش فر، كشفت له ما هو واقع من الأحداث، فجاء فى سفر دانيال (١:٨):

«فى السنة الثالثة لجلوس بيلش فر الملك كنت بمدينة سوس هيرا من أعمال عيلام على شاطئ النهر أولائى، فرأيت الرؤيا للمرة الثانية. رأيت كبشا واقفا على شاطئ النهر له قرنان عاليان. وكان الواحد منهما منحرفا إلى ظهره، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه غربا وشرقا وجنوبا لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه. فهو يفعل ما يشاء وصار هو كبيرا جدا وبينما أنا أفكر فى هذه الظاهرة إذ رأيت تيسا أقبل من جهة الغرب وغشى وجه الأرض كلها، وكان بارزا بين عينى التيس قرن عجيب. ثم إن التيس اقترب من الكبش ذى القرنين ونفر منه مغضبا ثم عمد إليه فكسر قرنيه وصرعه وداسه فأصبح الكبش ذو القرنين عاجزا عن مقاومته، محروما من ناصر ينصره عليه» «سفر دانيال ١:٨».

ثم ذكر السفر على لسان دانيال أن الملك جبريل ظهر له وشرح رؤياه قائلا: «أن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد المملكتين، مادا وفارس، فيملكهما ملك قوى لا تقدر دولة على مواجهته.

أما التيس دون القرن الواحد الذى رأه بعد الكبش، فالمراد منه ملك اليونان، والقرن البارز بين عينى التيس، يدل على أول ملك من اليونان (١٥:٨).

فهذه النبوءة مثلت فيها المملكتان «مادا» (ميديا) وفارس، بقرنين. ولما كانت المملكتان ستتحدان وتصبحان مملكة واحدة، مثلت شخصية ملكهما بكبش ذى قرنين.

ثم الذى يقضى على هذا الكبش ذى القرنين ويسيطر على الأرض كلها، هو قرن تيس اليونان، أى الإسكندر المقدونى، فقد حمل الإسكندر على «دارايوش»، امبراطور مادا وفارس، وانهارت به سيادة أسرة هنما منشى أو المملكة الكيانية إلى آخر الدهر.

ومما ينبغى الإشارة إليه وبيانه هنا أن كلمة «القرن» عامة فى اللغتين العربية والعبرية. فقد وصف الكبش فى سفر دانيال العبرى بـ(لو قرانائيم) ومعناه بالعربية «له قرنان» - أى أنه ذو القرنين.

كانت لليهود فى رؤيا دانيال بشارة بأن نهاية أسرهم وبدء نشأتهم الجديدة، منوط بقيام هذه المملكة ذات القرنين. أى أن ملك مادا وفارس يغير على ملك بابل ويتغلب عليه ويحرر اليهود من أسرهم. وأن هذا هو الملك الذى اختاره الله لإعانة اليهود ورعايتهم، فيأمر بتعمير بيت المقدس من جديد ويجتمع الشعب الإسرائيلى الممزق مرة أخرى تحت رعايته.

وقد ظهر بعد هذه النبوءة بسنوات الملك غورش (قورش بالعربية) الذى سماه اليونان بـ«سائرس» واليهود بـ«خورس» فوحد مملكتى «مادا» و«فارس» وأنشأ منهما سلطنة عظيمة، ثم هاجم بابل واستولى عليها دون عناء. رأى دانيال فى رؤياه أن الكبش ذا القرنين ينطح بقرنيه فى الغرب والشرق والجنوب أى يحوز انتصارات باهرة فى الجهات الثلاث. هكذا كان أمر غورش فقد كان انتصاره الأول فى الغرب والثانى فى الشرق والثالث فى الجنوب أى فى بابل.

وكذلك صدقت النبوءة بخلاص اليهود وازدهارهم. فقد أطلقهم قورش بعد فتحه بابل من الأسر وأذن لهم بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل من جديد، وحذا حذو غورش خلفاؤه من ملوك مادا وفارس فى الرفق باليهود وحمايتهم.

وكذلك صدقت النبوءة بخلاص اليهود وازدهارهم. فقد أطلقهم قورش بعد فتحه بابل من الأسر وأذن لهم بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل من جديد، وحذا حذو غورش خلفاؤه من ملوك مادا وفارس فى الرفق باليهود وحمايتهم.

نبوءات إشعيا وإرميا:

وفيما نحن بصدده نجد فى التوراة نبوءات فى سفرين غير سفر دانيال، هما سفر النبى إشعيا وسفر النبى إرميا. ونجد فى الأول منهما اسم قورش بعينه وإن كان النطق به فى العبرية «خورش». ويعتقد اليهود أن كتاب إشعيا ألف قبل غورش بمائة وستين سنة وكتاب إرميا بستين سنة. ونجد فى سفر عزرا تفصيلا كاملا للأمر، فقد ذكر أن نبوءات دانيال هذه وصلت إلى مسامع الملك خورس بعد فتحه بابل، فتأثر بها أى تأثر، وكانت النتيجة أن قام بحماية اليهود، فأطلق سراحهم وأمر بتجديد بناية الهيكل.

وسفر إشعيا يخبر أولا بخراب أورشليم على أيدى البابليين، ثم يبشر بتجديد عمرانها. ويذكر فى هذا الشأن «خورس» أى الملك قورش فيقول:

«يقول الرب المنقذ.. تعمر يروشلم من جديد، وتقوم مدن يهوذا مرة أخرى. أنا أبنى بيوتها المخربة كرة أخرى» (٤٤:٣٤).

وإنى أقول فى حق خورس (قورش) بأنه راع لى وهو يتم مرضاتى كلها.. يقول الرب فى شأن مسيحه خورس، أنا أخذت بيده اليمنى لأجعل الأمم فى حوزته، وأنزع القوة من سواعد الملوك وأفتح له الأبواب تلو الأبواب. أجل، إنى أمشى بين يديك، وأقوم ما أعوج من سبلك، وأكسر الأبواب النحاسية، وأمنحك الخزائن المدفونة والكنوز التى فى البيوت المغيبة. أفعل كل ذلك لتعلم أننى أنا الرب، إله إسرائيل الذى ناداك باسمك صراحة لأجل إسرائيل شعبه المختار» (إشعيا: ٤٥: ١).

وشبه قورش بعقاب الشرق فى مكان آخر من السفر فقال:

«ها! انظروا إنى أدعو عقابا من الشرق، ادعو ذلك الرجل الذى يأتى من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتى» (اشعيا ٤٦ : ١١).

وهكذا نقرأ فى سفر إرميا:

«نادوا فى الأمم ولا تخفوا. قولوا أخذت بابل، خزى البعل (صنم بابل الشهير)، بهت مردوك (صنم بابلى آخر)، لحق العار بجميع أصنامها، جعلت أوثانها شذر مذر، لأن شعبا من الجنوب مقبل زاحفا نحو بابل. يخرب أرضها، حتى لا ترى بها بشرا» (إرميا ٥٠ : ١).

وهذا السفر (إرميا) يتنبأ بأسر اليهود ودمارهم ثم يبشر بتجديد إعمار أورشليم فقد جاء فيه: «يقول الرب لما تكمل سبعون سنة على أسر بابل، آتى إليكم. إذ ذاك تدعوننى فأجيبكم، تنشدوننى فتجدوننى. أفك القيد عنكم وأعود بكم إلى أوطانكم» (إرميا ٣٩ : ١).

فمن الملاحظ أن أسفار العهد القديم هذه يتبين أن تصور «ذى القرنين» للملك قورش كان قد كان قد بدأ، لأنه مثل فى رؤيا دانيال النبى بكبش ذى قرنين، وأن شخصية الملك قورش كانت قد احتلت مكانا هاما فى عقيدة اليهود.

*- سلف قورش وخلفه:

إن شجرة نسب قورش التى ذكرها المؤرخين هيرودوتس وزينوفن، قد صدقتها لوحة دارايوش، فكان والد جد قورش هو هخامنشى الذى دعاه اليونانيون بـ«أيكى مينس» Achaemenes - وقد أجمع المؤرخون ولوحة دارايوش على أن ملوك مادا وفارس كانوا ينتسبون إليه، وقد جعلوا اسمه، اسما لأسرتهم، أى سموا أسرتهم «هخامنشى».

وولد لهخامنشى ابنه شائش بيز، الذى حرف اليونانيون اسمه فقالوا «تائزبيز» وولد لهذا كمبوشيه الذى أصبح فى اليونانية «كم بى سز»Cambyses وفى العربية

كمبوشيا، وولد لكمبوشيا قورش. وقد سمى قورش أيضاً ولده البكر على اسم أبيه كمبوشيا وأضيف إليه اللقب الملكى «أهشورش» وظل يستعمل للملوك بعده إلا أن اليونانيين حرفوه فقالوا «أهاسورس» والعرب «أخشورش».

وارتقى كمبوشيا العرش بعد أبيه قورش، وهاجم مصر سنة ٥٢٥ ق.م. واستولى عليها، ووصلت الأنباء وهو فى مصر بأن أهل مادا شقوا عصا الطاعة وأن رجلا يدعى «جوماتا» زعم بأنه أخ لكمبوشية وأن اسمه «بردية» ولذلك يستحق الملك. وقد سمى أهل اليونان، بردية هذا بسمرديز. ولما علم كمبوشية بالثورة، غادر مصر قاصدا بلاده، ولكنه توفى بالشام، وقيل مات غيلة. ولما لم يبق من ولد قورش بعد هلاك كمبوشية أحد، توج أمراء البلاد ابن عم له وهو دارايوش. فهزم دارايوش الثوار وقتل المدعى «جوماتا» ووصل بملكه إلى الذروة من العز والمجد.

أما دارايوش فكان والده، غشتاسب أوهستاس بيز على نطق اليونان ولكنه ذكر فى أوستا باسم «وشتاسب». وخلف «دارايوش» أرتخشست الذى سماه أهل اليونان «أرتازركس» والعرب «زردشير». وهؤلاء الملوك الأربعة هم الذين نجد أسماؤهم فى أسفار اليهود، أى قورش وأخشورش ودارايوش وأردشير. **وقد بدأ اليهود بإعادة بناء هيكل أورشليم فى عهد قورش وأتموه فى أيام أردشير.**

***- المنهج الحديث لنقد العهد القديم وزمن تأليف أسفار إشعيا وإرميا ودانيال:**

بدأ اسلوب نقد العهد القديم فى القرن التاسع عشر باسم «النقد الأعلى» والذى ساهم فيه بالقسط الأوفر العلماء الألمان، وقد دونت نتائجه، وانضمت إليها بحوث علماء القرن العشرين، ونجد أن أبحاثهم فى نبوءات الأسفار الثلاثة وزمن تدوينها قد انتهت إلى ما يلى:

١- أن الكتاب الذى نسب إلى أشعيا النبى، تنطق مواضيعه ولغته وكل ما احتوى عليه بأنه تأليف ثلاثة من المؤلفين، وجدوا فى أزمان ثلاثة مختلفة. فهو من الإصحاح الأول إلى الإصحاح التاسع والثلاثين تأليف مؤلف. ومن الإصحاح الأربعين إلى الآية الثالثة عشرة من الإصحاح الخامس والخمسين تأليف مؤلف ثان، والذى بعده من الإصحاح ألفه مؤلف ثالث.

ولتسهيل المراجعة اصطلحوا فى المباحث النقدية على أن يقولوا: إشعيا الأول وإشعيا الثانى وإشعيا الثالث. فهم يرجحون أن إشعيا الأول كان فى العهد الذى يرويه اليهود، أى قبل الملك قورش بمائة وستين سنة. أما إشعيا الثانى الذى تنبأ بظهور قورش، فكان موجودا أيام أسر بابل كما هو ظاهر من أقواله التى تشعر بظروف غير ظروف صاحبه الأول.

٢- وأما إشعيا الثالث فعهده بعد الثانى. وهو يقدم لنا ظروفا وحالات تختلف عن سميه الذى تقدمه. فالنبوءات بغارة نبوخذ نصر وأسر اليهود ببابل وظهور قورش، نجدها فى كلام إشعيا الثانى، وهو كما قدمنا كان موجودا فى ذلك العهد، ولا يمكن نسبة كلامه إلى إشعيا الأول.

لقد صبغ الرجل حوادث زمنه والتى قبل زمنه بصبغة القدم. ونسب كلامه إلى إشعيا الأول، ليوهم الناس بأنه كلام قديم مضت عليه مائة وستون سنة. وقال الباحثون إن أكبر دليل على اختلاف شخصيات المؤلفين، هو الاختلاف الفكرى وتباين

المزاج التصورى الذى يوجد فى السفر. فاليهود من أول يومهم تخيلوا الله كإله قبائلى، وافترضوا معبده معبدا قبائليا. فكان يهوا - إله إسرائيل الشعبى والقبائلى - لا يمت بصلة مع شعوب أخرى. وكلنا نجد فى سفر إشعيا لأول مرة تصورا إلهيا جديدا - تصور إله عام للبشر كله، ونجد الهيكل الإسرائيلى بأورشليم يتحول من معبد قبائلى إلى معبد عام لسائر الأمم الإنسانية. هذا التصور الجديد هو تصور رشعيا الثالث خاصة، لأن الظروف التى كانت لازمة لخلق هذا التصور، لم توجد فى زمن إشعياء الأول.

٣- وهكذا ما نجده فى سفر إرميا من النبوءة بانتهاء أسر بابل وتجديد عمارة الهيكل، **لا يراه الباحثون سابقا للحوادث بستين سنة، بل يقولون إنه كتب وألحق بالسفر بعد أن تحرر اليهود من أسر بابل وباشروا تعمير الهيكل من جديد.**

٤- أما السفر المنسوب إلى دانيال فقد ذكرت فيه رؤيا أخرى، رآها ملك بابل وأولها دانيال وفى تعبيره نجد نبأ صريحا بظهور الإسكندر المقدونى، وسقوط الامبراطورية الفارسية، وقيام الامبراطورية الرومانية.

ويرى الباحثون الحديثون أن السفر مزور، ألف بعد تحرر اليهود من بابل بقرون عندما بلغت الامبراطورية الرومانية أوج مجدها ليس هذا فحسب، بل ارتاب الباحثون فى وجود دانيال النبى نفسه. فرأى بعضهم أنه لم يوجد قط وإنما اختلقوه لنسج هذه القصة.

واعترف البعض الآخر بوجوده أيام أسر بابل دون أن يسلموا بالأقوال التى نسبت إليه، قائلين إنها اخترعت فيما بعد لتقوية آمال اليهود بمستقبلهم بنبوءات وخوارق ماضية.

والذى رجحه أكثر الباحثين أن زمن تأليف هذا السفر لا يتعدى القرن الأول قبل الميلاد، فالبروفيسور ميكس لوئر Maxoehr وضع سفر دانيال فى قائمته التى كتبها للعهد عن سنة ١٦٤ ق.م.

تخيل اليهود القومى وانتظارهم لمنقذ:

إن ما قدمناه من سفر إشعيا النبى، ظهرت فيه شخصية الملك خورس (قورش) كمنقذ موعود به أرسله الله لتحرير اليهود من أسر بابل وتجديد إعمار أورشليم، فقال الله «إن خورس راع لى وهو يتم مرضاتى كلها» وقال «أنا أخذت بيده اليمنى لأجعل الأمم فى حوزته» ثم يخاطب الله خورس (قورش) نفسه قائلا «أفعل كل ذلك لتعلم أننى أنا الرب إله إسرائيل الذى ناداك باسمك صراحة لأجل إسرائيل، شعبه المختار».

فنرى بجلاء، والحالة هذه، تلك العقلية اليهودية التى مازالت تؤملهم عند كل كارثة نزلت بهم فى ظهور منقذ ينقذهم منها، والتى اتخذت نهائيا شكل العقيدة القومية بمجىء مسيح موعود به.

فسفر إشعيا يصورخورس (قورش) كذلك بصورة مسيح، فيض فى شأنه بصراحة تامة قائلا :«إن الله يقول فى حق خورس مسيحه».

لقد بدأت حياة اليهود القومية بموسى الذى ظهر فى عصر كان اليهود يعيشون عيشة الذل والأسر فى مصر، لا أمل لهم فى حياة قومية عزيزة، ولكن موسى عليه السلام بعث فيهم روحا جديدة وصور لهم المستقبل بصورة رائعة أخاذة وجعلهم يؤمنون بأن رب إسرائيل بعثة لإنقاذ بنى إسرائيل وانهاضهم وأن مشيئة الرب قضت بأن يفضل الشعب المختار على سائر الشعوب.

وقد نشأ من هذا الإيمان فى عقلية اليهود القومية تخيلان أساسيان: فاعتقدوا بأنهم شعب الله المختار، وبأن الله أرسل إليهم منقذا عندما كانوا فى الذل والأسر. فتولدت من التخيل الأول فيهم نظرية الترفع القومى ومن الثانى نظرية ظهور منقذ عندما تنزل بهم المصائب، فاعتقدوا بأنهم كلما يعمهم البلاء والدمار، تتحرك رحمة الله فيرسل

منقذا موعودا به يخرج بهم إلى السلامة والرفاهية.

وقد ظهر ساؤل (طالوت) والنبى داود فى ظروف كهذه، خلقت فى الشعب آمالا جديدة، ولذلك نجد داود أيضا لقب بـ(المسيح) وكان هذا أول استعمال للقب. فكان لزاما، والتقاليد القومية هذه، أن نبثق نور جديد للأمل فى ذلك الظلام القاتم الذى وجد فيه اليهود أنفسهم ببابل ويتهيأ الذهن اليهودى فى ضوئه لانتظار منقذ لهم. فآمال النجاة والتحرر هى التى تجلت فى كلام إشعيا الثانى فى حلل النبوءات.

إشعيا الثانى ودعوة قورش لفتح بابل:

أجمعت روايات العهد القديم وروايات المؤرخين اليونانيين على أن أهل بابل كانوا قد ضجوا من تعسف واستبداد وطغيان ملكهم بيل شازار، فتآمروا على دعوة امبراطور فارس (قورش) للاستيلاء على بابل بعدما علموا المعاملة الحسنة التى عامل بها هذا الملك أهل ليديا بعد أن فتحها، فرجوا مثل ذلك منه لأنفسهم.

ويقول مؤرخو اليونان أن واليا من ولاة بابل، هو غوب رياس، كان قد هرب إلى بلاط قورش وصحبه أثناء زحفه على بابل. وفى ذلك قال هيرودوتس أن فتح بابل إنما كان بتدبير هذا الوالى فلما دقق الباحثون النظر فى نبوءات إشعيا الثانى بعد درسهم هذه الحوادث التاريخية، وصلوا إلى نتيجة منطقية حاسمة للوقائع هى:

إن كلام إشعيا الثانى لا يخلو من أن يكون قبيل فتح بابل أو بعده. فإن فرضنا الفرض الأول فلا مناص من الاعتراف بأن إشعيا الثانى كان مطلعا على ظروف الزمن السياسية إطلاعا تاما. فصاغ تلك الظروف والآمال على نهج مؤلفى أسفار اليهود فى صيغة النبوءات وألحقها بكلام إشعيا الأول.

وإن فرضنا أن ما قاله أشعيا الثانى كان بعد الفتح سهل الأمر، باعتبار أن المصالح القومية حملت الرجل على أن صور الحوادث التى وقعت فعلا بنبوءات وأنباء بالمستقبل ناسيا كلامه إلى أشعيا الأول.

النبوءات اليهودية والملك قورش:

وفى سفر آخر من التوراة منسوب إلى النبى عزير (عزرا) نجد ما وقع بعد فتح بابل. إذ يخبرنا هذا السفر أن رؤساء اليهود عرضوا النبوءات التى تقدم ذكرها على الملك قورش، قائلين له إن الرب سماه فى كلامه وجعله المنقذ لشعبه المختار، وأن الملك قد تأثر بما سمع، فكان أن أصدر أمره بتجديد بناية الهيكل. ومما لا ريب فيه أن قورش بعد فتح بابل وخلفاءه من بعده قد خصوا اليهود بعطفهم ورعايتهم، وأن بعض اليهود نالوا الحظوة فى بلاطهم، هذه وقائع تاريخية لا يمكن تكذيبها.

وقد يكون بعض ما جاء فى سفر عزير خلوا من الصحة، إلا أن الحوادث الأساسية يجب التسليم بها. فمن المعلوم المتعارف عليه أن أسر اليهود ببابل قد انتهى باستيلاء قورش عليها، وأن عددا كبيرا منهم رحل إلى فلسطين ليتوطن بها، وأن الملك قورش هو الذى أذن لهم بذلك ومن المعلوم كذلك أن الهيكل بنى بأورشليم، وذلك بمنشورات ملكية خاصة. ومن المعلوم أيضا أن إعادة بناء الهيكل قد صدرت فى شأنه أوامر ملكية مرة بعد أخرى. وقد نقلت أحكام قورش ودارايوش وأردشير (أرتخششت) فى سفر عزير. تؤيدها بعض كتابات مؤرخى اليونان. هذا بالإضافة إلى أن بعض روايات اليهود القومية تقول إن عزرا ونحميا وحجى الأنبياء قد وصلوا إلى مقام كريم فى بلاط الإمبراطور أردشير (أرتخششت) وأنهم هم الذين حملوا الملك على إصدار أوامره الخاصة باليهود وليس هنا سبب ظاهر يدفع لإنكار كل هذا.

ولو صحت هذه الحوادث فينبغى علينا أن نبحث عن العوامل التى حملت قورش على الرفق باليهود، ونتساءل: ألم تكن هذه النبوءات من تلك العوامل؟

إن أهم ما فى النبوءات اليهودية نبوءة دانيال التى مثلت فيها المملكة المتحدة من مادا وفارس، فى شكل كبش ذى قرنين. ليكن ما فى هذه النبوة من الكلام الدال على الإسكندر المقدونى الحاقيا، ولكن الجزء الأول منها الذى يتعلق بظهور قورش كان من شأنه أن يشهر فى ذلك الزمن، ومن المحتمل جدا أنه اشتهر فعلا، فيكون قورش قد تلقاه بحسن القبول.

هذا وقد حل التمثال الحجرى لقورش الذى تم العثور عليه فى حفريات إيران المسألة إلى حد بعيد أما ارتياب الباحثين الحديثين فى وجود دانيال، فالقرائن والأخبار لا تدعمه.. فالكلام الذى احتوى عليه لابد له من أصل حقيقى، فإن كان يجوز عدم التسليم بقصة دانيال كلها، إلا أنه ينبغى أن نسلم بأن شخصا وجد بهذا الاسم وأنه نال الحظوة فى بلاط بابل بعلمه وحكمته.

***- علاقات اليهود والزرادشتيين:**

لا ينبغى أن ننسى - ونحن بصدد هذا البحث وعلاقة قورش باليهود فى زمنه - أن قورش والملقب بالمسيح فى التوراة، كان من اتباع مذهب مزديسنا (زرادشت) أى الدين الزرادشتى. وهذا أمر له أهمية خاصة فى العلاقة التى كانت بين الفارسيين والإسرائيليين. فمن المعلوم أن الوثنية - فى زمن قورش - كانت عامة شاملة العالم كله، ولم يشذ عنها إلا فئتان اثنتان: اليهود والزرادشتيون. فقد اجتنب الدينان الوثنية وأشكالها. وليس فى تاريخ أهلهما مجال للاعتراف بالوثنية أو ما قد يشير صراحة إلى ذلك. وما دام الأمر هكذا فمن المنطقى والمعقول أن نفرض أن قورش بعد فتحه لبابل، وعندما بلغته عقائد اليهود والأحكام الأخلاقية التى جاء بها دينهم، يكون قد وجد تصوراتهم الدينية والعقائدية قريبة جدا لتصوراته، فاندفع بطبيعة الحال إلى حمايتهم وتحريرهم وتلقى نبوءاتهم برغبة خالصة.

وقد يجدر الذكر هنا أن مؤرخى العرب عندما أقبلوا على تدوين التاريخ قبل الإسلام، وجدوا فى الروايات الإسرائيلية ما يربط زرادشت وأتباعه بأنبياء بنى إسرائيل. وقد ذكر الطبرى هذه الروايات واستشهد بها المؤرخون بعده. ولا ريب أن أكثر هذه الروايات تلبس الحق بالباطل الواهى الذى لا أصل له، إلا أن وجودها يدل على الفكرة اليهودية التى كانت ترمى إلى التقرب من الدين الزرادشتى، وأن هذه الفكرة على مر الأيام اتخذت أشكال الروايات الخرافية ومازالت تروج وتتطور مع محاولة اليهود إثبات أن الدين الزرادشتى إنما اقتبس من دينهم وأن زرادشت وخلفاءه كانوا تلاميذ لأنبيائهم.

***- عقيدة اليهود فى شأن قورش:**

لقد تعرضنا فيما تقدم لآراء الناقدين الحديثين فى الأسفار اليهودية ولكن هذا الجانب من البحث لا يعنينا كثيرا، فسواء جاءت النبوءات قبل وقوع الأحداث أو اخترعت بعدها، فلا تأثير لذلك فيما نحن بصدده. إنما الأمر الذى يعنينا ونريد لفت الأنظار إليه، هو عقيدة اليهود القومية فى المسألة. فمن المعلوم أن أسفار إشعيا وإرميا ودانيال، من كتب اليهود الإلهامية بلا نزاع، فهم يعتقدون بأن كل ما جاء فيها من النبوءات قد تنبأ به الأنبياء قبل حدوث الأحداث بزمن طويل وصدقتها الأيام حرفا بحرف. وهكذا يعتقد اليهود عقيدة راسخة أن ظهور قورش كان من عند الله، بعثه لإنقاذ بنى إسرائيل مما كانوا فيه من البلاء العظيم ولتجديد إعمار أورشليم. فقورش لقب فى كلام إشعيا النبى براعى الله ومسيحه. وأنه ينفذ إرادة الله، وأن الله ناداه باسمه وأرسله لإنهاض بنى إسرائيل وحمايتهم.

وفى رؤيا دانيال مُثل قورش صورة كبش ذى قرنين، ورآه إشعيا فى شكل «عقاب

الشرق». فعقيدة اليهود القومية فى السفر واضحة جلية. وهى تثبت أنهم مستندون إلى أسفارهم المقدسة، لذا كانوا يعتقدون بأن قورش هو ذو القرنين، ويرون ظهوره مصدقا لبشارات أنبيائهم الإلهامية.

لذا فيكون بطبيعة الحال يكون المقصود فى سؤال اليهود عن «ذى القرنين» هو شخص قورش لا غير. أى أن ذلك الملك الذى رأه دانيال فى شكل كبش «لوقرانئيم» وترجمته بالعربية «ذون القرنين» إذ لفظ «القرن» اشتركت فيه على حد سواء العربية والعبرية.

ومن المؤكد أن يهود العرب كانوا يسمون قورش (خورس بالعبرية) بـ«ذى القرنين». ورواية السدى التى ذكرناها من قبل تؤيد هذا التفسير، إذ جاء فيها أن اليهود قالوا: ذا القرنين ذكر فى التوراة مرة واحدة فقط. وفعلا هذا هو الواقع بعينه، فالكبش ذو القرنين لم يرد ذكره فى التوراة إلا مرة واحدة. وذلك فى سفر دانيال وحده. وبهذا فقد ارتفعت سائر الإشكالات دفعة واحدة، فلا حاجة بنا الآن لصرف كلمة «القرن» عن معناها اللغوى العام. فشخصية «ذى القرنين» التاريخية قد برزت للأعين. أما ما ذكر فى القرآن المجيد من أحوال ذى القرنين فسنراها تطابق سوانح قورش مطابقة تامة دون إجهاد لأنفسنا فى هذا الخصوص.

*- **العثور على تمثال قورش**

قد يخطر فى البال لأول مرة هذا التفسير لـ«ذى القرنين» المذكور فى القرآن عند مطالعة ما جاء فى سفر دانيال، ويرجح هذا الرازى إذا ما تم الإطلاع على ما كتبه مؤرخو اليونان. ولكن هناك شهادة أخرى حاسمة خارج أسفار التوراة لم تكن قد قامت بعد، خاصة أنه لم يوجد فى كلام مؤرخى اليونان ما يلقى الضوء على هذا اللقب - وهذه الشهادة هى ظهور كشف أثرى هام وخطير يتمثل فى تمثال حجرى لقورش بعينه. وجدوه منصوبا فى مكان يبعد عن عاصمة إيران القديمة ساستفر» نحو خمسين ميلا على شاطئ النهر «مرغاب».

تمثال قورش الذى عثر عليه فى حفريات استخر بإيران

وقد سبق جيمس مورير Morier فأخبر بوجوده، ثم جاء بعد سنوات السير روبرت بورتر Sir Robert porter فقاس المكان وفحصه فحصا دقيقا ونشر رسما للتمثال بالقلم الرصاص وذلك فى كتاب رحلته إلى إيران وجورجيا. وتحدث عنه القس فورستر فى كتابه On Primevel Language واستدل به على نصوص التوراة وكذلك نشر صورة للتمثال ودعمت كافة البحوث الحديثة أن التمثال

لسائرس أى لقورش لا غير تدعيما لا يدع المجال لأى ريبة أو شك. ثم الف الكاتب الفرنسى الشهير دى لا فواى Dieu La Foy كتابه عن الآثار القديمة فى إيران Le artanti que en perse نشر فيه صورة عكسية للتمثال، فعرفه الناس معرفة تامة. واعترف علماء الآثار فى القرن التاسع عشر بجمال وحسن التمثال الفنى. ويرى دى لافواى أنه نموذج ثمين جدا للنحت الفنى القديم بقوله إنه النموذج الفنى الآسيوى الوحيد الذى يضاهى أحسن التماثيل الإغريقية، فلا غرابة أن احتل التمثال أهم مكان فى الآثار الفارسية القديمة.

إنه تمثال على القامة الإنسانية. ظهر فيه الملك قورش وعلى جانبيه جناحان كجناحى العقاب وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش. يده اليمنى ممتدة يشير بها إلى الأمام ولباسه نفس ذلك اللباس المعهود الذى نراه فى صور ملوك بابل وإيران. فهذا التمثال يثبت بلا شك أن تصور «ذى القرنين» كان قد تولد لقورش، ولذلك نجد الملك فى التمثال وعلى رأسه قرنان.

وجاء فى رؤيا دانيال أن الكبش الذى رآه، كان على رأسه قرنان ولكن ليس كسائر الكباش، بل كان القرن الواحد منهما وراء الآخر. وهكذا نرى القرنين فى التمثال. أما الجناحان فوجودهما يطابق ما جاء فى سفر إشعيا من قوله:

«.. ادعو عقابا من الشرق، ادعو ذلك الرجل الذى يأتى من أرض بعيدة ويتم سائر مرضاتى» (إشعيا: ٤٦ : ١١) ولهذين الجناحين اشتهر التمثال بالطير، والنهر الذى يجرى تحته سمى بـ«مرغاب» أى نهر الطير.

أما عن زمن صنع التمثال - فهناك اجماع بين الباحثين والمؤرخين بأنه صنع إما بأمر الملك قورش فى حياته أو بأمر خليفة من خلفائه. وكانت مدينة سوسان

التى تسمى الآن بأهواز (تقع فى جنوب إيران) وكانت عاصمة مادا (ميديا) مدينة «هج فنانا» التى حرفها العرب فقالوا «همذان» وهى موجودة إلى الآن بنفس هذا الاسم - ولما تولى المُلك المَلك أرتخششت (الذى سمته العرب بأردشير) بعد الملك دارايوش اتخذ استخر عاصمة له وعمرها بقصور فخمة وبنايات. وظلت «استخر» حاضرة الملك إلى آخر إمبراطور من أسرة «هخامنشى» وهو دارايوش الثالث إذ خربها الإسكندر المقدونى بعد هجومه عليها وتخريبها وإحراقها. ولما فتحت العرب البلاد، كانت استخر قرية تفتقر تماما إلى الحضارة، فأسسوا على مقربة منها مدينة شيراز الحاضرة التى تبعد عنها بستين ميلا.

ويبدو أن تمثال قورش أقيم فى عهد الملك أرخششت (أردشير)، لأنه موجود بضاحية من استخر، إذ لم يكن بقى من خرائبها إلا منصة حجرية قام فوقها التمثال، مما يؤكد من كون قورش هو ذو القرنين وذو الجناحين، وأن لقب قورش هذا كان قد أصبح مشهورا ومسلما به فى ذلك العصر حتى أنهم توارثوه بعد قورش كذلك. ولما أرادوا نصب تمثال له زمن أردشير، حملهم ذلك التصور على تصويره بهذه الصورة.

الفصل الثانى

معتقدات قورش الدينية

إذ ما نظرنا إلى الشواهد التاريخية نكاد نقطع بأن قورش كان يدين بدين مزديسنا، أى أنه كان يتبع الدين الدى جاء به زاردشت - وليس معلوما حق العلم متى وأين ظهر زادشت. فقد ذكر مؤرخو اليونان فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ما كان شائعا فى عصرهم عن زمنه، فقالوا، مضت عليه ألوف من السنين. ومن المتعارف عليه أن إطلاق القول بالقدم كهذا لا يكون إلا إذا بعد الزمن ومضت عليه ألف سنة أو أكثر، ولكن علماء العصر الحاضر يرون أن القول مبالغ فيه، فلا يتصور لزرادشت مثل هذا القدم.

وقال البروفيسور جلدنر **Geldner** إن زمن زرادشت لا يتجاوز ستة قرون قبل الميلاد وقد قبل الكثير من العلماء رأيه هذا، فإن كان الأمر كما ذكر، فيكن زرادشت وقورش قد عاشا فى عصر واحد. أما مكان ظهوره، فيرجح العلماء أنه ظهر فى إيران الشمالية «أذربيجان» التى سميت فى الجزء المسمى «ويندى» من أوستا كتاب زرادشت بكلمة «إيريانا ويجو» أى أرض إيريانا الطاهرة.

ويقول جلدنر: «وسواء ظهر زرادشت فى زمن قورش أو تقدمه بقليل، فليس هنالك ما يحملنا على الريب فى أن قورش كان من متبعى الدين الزرادشتى».

ورغم عدم توافر الشواهد التاريخية التى تؤيد ذلك بشكل قاطع إلا أننا إذا نظرنا فى القرائن التى تركتها لنا النصوص التاريخية فلا مناص من الاقتناع بأن قورش كان من أتباع زرادشت. وفى هذا الخصوص فلنتدبر حادثين تاريخيين لا شك فيهما، وهما **«ثورة جوماتا» التى نشبت بعد وفاة قورش بثمانى سنين، وكتابات دارايوش على الصخور التى تلقى الضوء على معتقداته الدينية.**

لقد أجمع المؤرخون على أن قورش توفى سنة ٥٢٩ ق.م وخلفه ولده كمبوشية (كم بى سيز فى اليونانية) الذى استولى على مصر فى سنة ٥٢٥ ق.م ثم علم وهو بمصر أن

ثورة نشبت فى مادا، قام بها رجل يسمى «جوماتا» زاعما بأنه الولد الثانى لقورش الذى كان يسمى «بردية» (سمرديز فى اليونانية)، فرجع كمبوشية من مصر، إلا أنه مات فى طريقه بالشام. ولما كان نسل قورش قد انقطع بوفاة كمبوشية، ارتقى العرش ابن عمه «دارايوش» فقضى على الثورة وقتل زعيمها. وكذلك أجمع المؤرخون على أن دارايوش، ارتقى العرش سنة ٥٢١ ق.م أى بدأ عهده بعد وفاة قورش بثمانى سنوات.

وقد صرح مؤرخو اليونان أن ثورة مادا إنما قام بها أتباع دينها القديم، وقد وصف دارايوش بنفسه زعيم هذه الثورة بكلمة «موجوش» أى متبع دين مادا القديم.

وهنا ينبغى أن ننبه على خطأ شائع. فقد نطقت كلمة «موغوش» فى اللغة العربية «مجوسا» وأطلقوها على أتباع الدين الزرادشتى، ولم يكن فى الأصل اسما لهم، فقد ثبت بلا ريب أنه كان اسما يعرف به أتباع الدين الذى كان شائعا فى مادا قبل زرادشت، فقد وردت الكلمة فى أوستا كذلك واستعملت فى شأن معارضى زرادشت، ولكن لما كان اشتهر أهل مادا فى بلاد العرب والشام باسم موجوش أخذوا يسمون بها أتباع زرادشت كذلك.

ولقد تكررت ثورات أصحاب هذا الدين فيما بعد كذلك، فنشبت الثورة الثانية بزعامة موغوش «براورتيش» الذى قتل فى هج متانا، أى «همذان» والثورة الثالثة قام بها «شترت خمة» الذى أعدم فى أردبيل.

أما كتابات دارايوش، فإن من حسن حظ التاريخ أنه اختار لها الصخور الجبلية التى عاشت على رغم الدمار الإسكندرى، وأهم هذه الكتابات، الكتابة التى اشتهر بـ«الكتابة من دون عمد» وذكر فيها دارايوش تفصيل إرتقائه العرش وثورة جوماتا المجوسى.

وهنالك صخرة أخرى فى استخر ذكر الملك فى كتابها أسماء البلاد التابعة له. وقد تكرر فى هذه الكتابات اسم «أهورا مزدا» الذى يرجع الملك دارايوش جميع مساعيه الناجحة إلى فضله وتوفيقه. ومن المعروف أن سأهورا مزدا» - كما قدمنا من قبل - هو

الله فى الدين الزرادشتى.

وقد يجدر الذكر هنا أنه لا يوجد فيما كتبه مؤرخو اليونان ما يستدل به على أن كمبوشية ابن قورش أو دارايوش ابن عمه قد اختار دينا غير الزراداشتية.

هذا وقد ولد المؤرخ هيردوتس بعد وفاة دارايوش بسنتين فى سنة ٤٨٤ ق.م. وألف تاريخه بعد وفاة دارايوش بنحو خمسين سنة فكان عصر قورش وكمبوشية ودارايوش ليس ببعيد عنه، ولم يذكر شيئا عن أن كمبوشية ودارايوش قد اعتنقا دينًا آخر غير الزرادشتية دين قورش.

كما يلاحظ أن أصحاب الدين القديم (المجوسية) يثورون بعد وفاة قورش بسنوات قليلة مرة بعد أخرى مما يثبت أن قورش كان يدافع بقوة وبأس عن الزراداشتية التى اعتنقها كعقيدة فلما توفى قورش كان رؤساء الدين القديم يحرضون العامة وغوغاء الناس باسم الدين ويحملونهم على الثورات.

لقد كانت شخصية قورش ثورة على الميول العقلية والأخلاقية لعصره. ولا توجد لخصائله الروحية والأخلاقية معينا فى البيئات العيلامية، والآشورية والبابلية، فلابد من أنه شرب من معين آخر، ولا ريب أنه وجد هذا المعين فى تعاليم زرادشت الأخلاقية المثلى: سهومت» و«هوخت» و«هورشت» أى «صدق النية» وصدق القول وصدق العمل.

هذا هو أساس تعاليم زرادشت الدينية. ومن مثل هذه الأخلاق كان مزاج قورش الملكى. فإن كان ذو القرنين يدين بدين مزديسنا، أى بالدين الزرادشتى، ويثبت له القرآن الكريم الإيمان بالله واليوم الآخر، ليس هذا فحسب، بل يجعله من الملهمين من عند الله، أفلا يتبين من هذا أن دين زرادشت، كان دينا صحيحا وأنه ليس هنالك ما يحملنا على رفض هذا خاصة أنه من الثابت أن دين زرادشت كان دين

التوحيد والأخلاق الفاضلة، وأن عبادة النار والعقيدة الثنوية ليستا منه، بل من بقايا مجوسية مادا التى اختلطت بعد انحرافها بالزرادشتية فى العصور التالية - لذا فقد يجدر بنا أن نتعرض بشىء من الشرح لدين فارس ومادا قبل زرداشت.

دين فارس ومادا قبل وبعد زرادشت:

لقد كانت المعتقدات الدينية لسكان فارس ومادا، تشبه معتقدات الشعوب الآرية الأخرى، فقد عبد الآريون فى فارس بادئ ذى بدء كإخوانهم الآريين فى الهند، المظاهر الطبيعية، ثم أخذوا يعظمون الشمس، ثم أحلوا النار محل الشمس، لأنها من بين العناصر المادية كلها تحوى النور والحرارة. وقد تصور سكان الهند واليونان آلهة تمثل الخير والشر معا، ولكن العقلية الإيرانية قسمت القدرة الإلهية إلى قدرتين متوازيتين: فقدرة إله الخير على زعمهم تهب البشر أفراح الحياة كلها، وقدرة إله الشر، تتفجر منها الشرور بأصنافها.

وقد كانوا يبنون مقارا للمذابح فوق الجبال لعبادة النار، يتولاها السدنة الذين كانوا يسمون «موجوش» (موكوش - بالكاف الفارسية). وقد صارت الكلمة تمثل عبادة النار فيما بعد، ونطقت بالعربية والعبرية «مجوس».

وهناك اتفاق بين الباحثين أن ما يوجد فى كتب ديدا الهندية من شعائر عبادة الآلهة يوجد ما هو شائع مثله فى قبائل مادا وفارس المشتغلة بالزراعة. وكان شرب الخمر من الشعائر الدينية، وأن الشراب المسكر الذى ذكر فى كتب ديدا باسم «سوم» كان يسمى عند الماديين والفرس «هوم» **وأن زرادشت ناجى الله فى أوستا (كتاب الزرادشتيين) فى شأن هذا الشراب فقال:**

«إلهى، متى يؤثر رؤساء هذه البلاد الهداية على الضلال؟ ومتى يتحرر الناس من

شرور الكاربين والكاويين (المجوس)؟ ومتى يقضي على هذا الشراب النجس الذى يخدعون به الناس، فيستأصل أصله ويمحى أثره؟» «أوستا ٤٨: ١٠».

ويقول فى مكان آخر:

«إن هؤلاء الضالين المضلين يذبحون الذبائح ويقدمون الضحايا ويفرحون بعملهم» «أوستا: ٣٢».

وقد دعا زرادشت إلى دين «مزديسنا» أى إلى دين التوحيد الذى يحرم الشك بالله وعبادة الأوثان. وقد أبطل زرادشت جميع معتقدات موجوش، أى المجوس القدماء قائلا: ليس هنالك قوى روحية كثيرة للخير، ولا عفاريت كثيرة للشر، بل إنما هو إله واحد، اسمه «أهورا مزدا» الذى ليس كمثله شىء، وهو الواحد، الأحد، القدوس، الصمد، وهو الحق والنور، وهو الحكيم القادر الخالق الذى لا يشاركه فى ملكه وربوبيته شىء. وأن القوى الروحية التى زعموها خالقة للخير، ليست بخالقة، بل هى نفسها من خلق أهورا مزدا، وهى تسمى «أمش سبند» ويزتا «أى الملائكة» وإنا لنجد فى جزء من أوستا الذى يسمى «غاتها» أسماء ملائكة عديدة، مثل «أشا» و«هوفنا» و«خشترا» و«أمتى» و«هوروتات» و«أمرتات».

والجدير بالملاحظة أيضا أن زرادشت قد صرح مؤكدا على أنه ليس للشر إله، بل داع إلى الشر، هو «انجرامى نيوش» أى الشيطان. وقد حرف الاسم فأخذوا يقولون «آندومين» وبعد مدة حرف مرة أخرى إلى «أهرمن». ومن العناصر الأساسية للدين الزرادشتى، الاعتقاد بالحياة الأخروية، فهو يقول لا تنتهى حياة الإنسان بموته فى هذا العالم المادى، بل له حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، فيرى فى تلك الحياة عالمين: عالم السعادة وعالم الشقاء. فالذين عملوا الصالحات فى حياتهم الدنيا، يدخلون عالم السعادة، والذين دنسوا نفوسهم بالشرور، يدخلون عالم الشقاء.

والاعتقاد ببقاء الروح من معتقدات الدين الزرادشتى الأساسية، فهو يقول بفناء الجسد أما الروح فتبقى بعد الموت كذلك ويلاقى الجزاء وفق أعماله.

وأهم ما فى الدين الزرادشتى هو قانونه الأخلاقى، فليست الأخلاق في نظره منفصلة عن الدين، كما كان الأمر عند أهل اليونان، بل هى جزء من الدين، لا انفصال بينهما. وكذلك لم يكن الدين عنده شعارا قوميا، بل قانونا ونظاما للحياة الفردية، وأن طهارة النفس وحسن العمل، لهو المحور الذي تدور عليه تعاليمه الدينية. وهو يطالب بموافقة النية والقول والعمل لهذا القانون موافقة تامة. وهذا القانون يتلخص فى كلمات ثلاث: هومت، هوخت، هوورشت، أى صدق النية، وصدق القول، وصدق العمل. وأن دينه كما قال البروفيسور «جرندى» كان دين الحقيقة والعمل، فقد جعل الدين حقيقة حياة الفرس اليومية، وجعل مكارم الأخلاق، عنصر مركزيا لدينه. (التاريخ العالمى جـ٢ ص٣٠) ودين زرادشت لا تشوبه شائبة من الوثنية، فهو يحرم عبادة الأصنام والوثنية بكل صورها وأشكالها. وقد مضت على دينه أدوار من التحريف والتبديل، إلا أن متبعيه مازالوا مجتبين الوثنية. وقد اعترف بذلك مالكهم فى كتابه «تاريخ إيران» قائلا:

«لم يجنح الفرس وحدهم من بين الشعوب القديمة إلى الوثنية من أى نوع فى دور من أدوار تاريخهم». ورغم أن الهند القديمة قد عرفت التوحيد، إلا أن تصوره ظل محصورا فى الخاصة من أهاليها، أما العامة، فاستحسنوا لها الوثنية. أما زرادشت، فلم يفرق فى ذلك بين العامة والخاصة، فظل متبعوه من سائر الطبقات يوحدون الله على السواء.

لذا نستطيع القول بأنه لم ير التاريخ القديم رلا دعوتين تدعوان إلى التوحيد فى العالم الوثنى، هما دعوة إبراهيم عليه السلام من الشعوب السامية، ودعوة زرادشت من الشعوب الآرية.

زرادشت والثنوية:

شاع بين كثير من الناس نتيجة الخلط بين المجوسية والررادشتية أن الدين الزرادشتى قام على الإلوهية الثنوية (Ditheism) أى الاعتقاد بوجود إلهين اثنين فى الكون: إله للخير وإله للشر، كما كان المجوس يعتقدون قبل زرادشت، ولكن ثبت بعد البحث والتحقيق أن هذا الظن ليس من الحق فى شىء، فقد قال زرادشت بأصلين كونيين: أصل الخير، وأصل الشر ولكنه لم يقل بإلهين متوازيين مثلما كان المجوس يعتقدونه قبله فقد أنكر زرادشت مسألة الإلهين المتوازيين إنكارا تاما وشديدا. وكان يقول بالأخلاق الثنوية لا بالألوهية الثنوية.

روح مزديسنا (الدين الزرادشتى) الأخلاقية:

ولا ريب أن هناك اتفاق بين الباحثين ومحققى عصرنا الحديث بأن تعاليم زرادشت قد لعبت دورا غاية فى الأهمية فى الرقى الإنسانى الفكرى والأخلاقى، وأنه قد وصل بأهل مادا وفارس قبل خمسمائة سنة من الميلاد إلى المستوى الأخلاقى الطاهر الرفيع الذى جعل هدفه الوحيد تطهير الحياة الفردية من أدران الشرور، وكان خليقا أن يسبك قوالب مثالية للأعمال الحسنة والخصال الحميدة. ومن الذين شهدوا له بذلك، أولئك الذين لا يمتون بصلة صداقة للفرس، بل كانوا ألد أعدائهم. وعلى رغم ذلك نراهم لا يمارون فى فضل الفرس الأخلاقى.

فهيرودتس وزينوفن يعترفان بكل صراحة بأن الفضائل التى تحلى بها الفرس، خلت منها اليونان - ويقول البروفيسور جرندى (المرجع السابق) فى هذا الخصوص: «إن ما كان الفرس يتصفون به من الصدق ومحاسن الأخلاق لا نرى له مثيلا فى الشعوب المعاصرة لهم».

وقد بلغ الدين الزرادشتى ذروة مجده ليس فى عهد قورش فحسب بل أيضا فى عهد دارايوش الذى ردد صوت هذا الدين فى كتاباته الخالدة على الصخور، فيقول فى واحدة منها، وقد مضت عليها ما يجاوز ألفان وخمسمائة سنة:

«إن الإله العلى أهورا مزدا، هو الذى خلق الأرض، ورفع السماء، وفتح سبل السعادة على البشر، وهو الذى أقام دارايوش وحده حاكما على الكثيرين، وجعله واضع الشرائع لهم».

ويقول فى كتابة أخرى:

«يعلن دارايوش للناس قاطبة بأن أهورا مزدا، قد وهبنى الملك بفضله ورحمته، وقد نجحت بتوفيقه تعالى فى تدعيم الأمن والسلام فى الأرض، وإنى أبتهل إلى أهورا مزدا إلهى، أن يرعانى أنا، وأسرتى، وجميع البلاد التى جعلنى حاكما عليها. يا رب أهورا مزدا، اسمع دعائى واستجبه».

ويقول أيضا فى الدعوة إلى الصراط المستقيم:

«يا أيها الإنسان، أمرك أهورا مزدا ألا تخوض قط فى الشر، ولا تحيد عن الصراط المستقيم أبدا، وأحذر الإثم فى جميع الأحوال».

ودارايوش هو ابن عم قورش الذى خلفه بعد وفاته بثمان سنوات فقط - كما قدمنا - وعلى ذلك ما يقول دارايوش فكأنه قول أستاذه قورش نفسه وقد يلاحظ أن نسبة دارايوش ملكه وكل نجاحاته إلى فضل أهورا مزدا يطابق قول الله تعالى على لسان ذى القرنين (قورش) «هذا رحمة من ربى».

تحريف الزرادشتية وامتزاجها بغيرها:

بدأ تأخر مزديسنا من القرن الثالث قبل الميلاد، فقد أطلت المعتقدات المجوسية

برأسها من جديد من جهة، وأخذت المؤثرات الخارجية تعمل عملها فيه من جهة أخرى، حتى صار هذا الدين، دين قورش ودارايوش فى عصر الإمبراطور الرومانى انتونين فى شكل آخر، فقد فطرته الأولى وانضمت إليه عقائد معوجة معقدة.

ومن الحقائق التى لا مراء فيها أن حرب الإسكندر المقدونى لم تقض على دولة الفرس السياسية فحسب بل جرحت أيضا مجددينها القومى جرحا بالغا. **وإذا كانت الأسطورة الفارسية تقول لنا إن صحف زرادشت الدينية المقدسة كانت قد دونت فى جلود اثنى عشر ألف ثور بحبر من الذهب، واحترقت أيام حرب الإسكندر. وإذا كان القول بجلود اثنى عشر ألف ثور فيه مبالغة، إلا أنه ومما لا ريب فيه أن ما فعلت إغارة بختنصر مع التوراة، فعلته إعارة الإسكندر مع أوستا «كتاب زرادشت». أى أن الدينين فى الغارتين فقدا معظم بضاعتهما.**

ولما تأسست الإمبراطورية الساسانية بعد خمسمائة سنة من الإسكندر، حاول الفرس لم شعث الدين الزرادشتى من جديد، كما جمع النبى عزرا من قبل التوراة بعد أسر بابل. إذ يقال إن أرداشير بايكان أمر بجمع كتاب أوستا من جديد، إلا أن خصوصيات الدين الحقيقية كانت قد تحرفت بتغيرات وإضافات كثيرة، شوشت حقيقتها، فالدين الزرادشتى فى شكله الجديد، لم يكن دينا خالصا، بل أصبح خليطا من المجوسية القديمة، واليونانية، والزرادشتية. وقد زاد الطين بلة الموبذون والمفسرون بحواشيهم وشروحهم وتفاسيرهم المتباينة.. التى ذهبت بالدين بعيدا عن أصله وفطرته.

الإسلام والزرادشتيون:

عندما بزغت البعثة المحمدية، كان هذا الدين الزرادشتى المحرف معروفا للعرب باسم المجوسية، غير أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يخف عليه أصل هذا الدين فقال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» أى عاملوا الزرادشتيون كما تعاملون أهل

الكتاب، فنرى من هذا أن رسول الله ﷺ لم يقم الزرادشتيين مقام الوثنيين أو الكفار، بل وضعهم بمقام أهل الكتاب. وهكذا اعترف الإسلام لدينهم ما اعترف لدين اليهود والنصارى. وكما نعلم فإن الإسلام بينما يقر ويصدق بأصل دين اليهود والنصارى، ينكر عقائدهم المحرفة المبدلة. وهذا هو ما فعله بالدين الزرادشتى، فلم ينكر أصله، بل أنكر المجوسية المحرفة المبدلة.

وقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ أنه قال :«إنى أعلم ما عليه المجوس. عندهم شريعة يعملون بها، وكتاب يومنون به (يقصد أوستا) فعاملوهم معاملة أهل الكتاب».

فمازال المسلمون يرون أن الدين الزرادشتى فى أصله لم يأمر بعبادة النار، بل أمر بالتوحيد، وأن زرادشت كذلك كان نبيا من الأنبياء القدماء.

وقد أفصح الفردوسى صاحب «شاة نامة» اخالدة عن هذا الرأى بقوله:

مكوئى كه آتش برستان بدند ... برستند كان نيك يزدان بدند

وترجمته: لا تقل عن الزرادشتيين أنهم كانوا عبدة النار، بل كانوا يعبدون الله الواحد الأحد.. وكان أبو الريحان البيرونى فى عصر الفردوسى يحقق تواريخ وسنن الأمم القديمة. وقد ذكر فى كتابه الشهير «الآثار الباقية» ما يستنبط منه أنه كان يفرق تماما بين الدين الزرادشتى الأصلى والحقيقى والمجوسية. وقد صرح شيخ الإشراق، شهاب الدين المقتول فى كتابه «حكمة الإشراق» بأن زرادشت كان نبيا. ليس هذا فحسب بل وصل بين زرادشت وبين المذهب الأفلاطونى الجديد.

نفى إمبراطور الرومان جستينين فى سنة ٥٢٩ ق.م فلاسفة الإسكندرية، فتوجه بعضهم إلى إيران ولقوا كل ترحيب فى بلاط أنو شروان. وقد عرفت اللغة الفارسية

مذهب أفلاطون الجديد، بسبب هؤلاء الفلاسفة، وليصبغوه بالصفة القومية نسبة بعض حكماء إيران إلى زرادشت وجاما سب، ولما نقلت الآداب الفارسية إلى العربية توهم الناس أنه كانت لزرادشت وجاماسب فلسفة ذات أسرار، تشبه فلسفة الإسكندرية إلى حد كبير، ولعل الذى كتبه شيخ الإشراق فى مقدمة «حكمة الإشراق» ناتج من هذا الوهم، ولقد أخطأ الكثيرون من حكماء ومؤرخى العرب فى ظنهم أن مذهب أفلاطون الإسكندرى الجديد، هو مذهب أفلاطون نفسه. ولقد وقعوا فى هذا الخطأ لأنهم لم يفرقوا بين بلاتيتس وأفلاطون، أو خدعتهم دون دراسة متأنية نسبة المذهب إلى أفلاطون.

ووافقه فى قوله شارح «حكمة الإشراق» قطب الدين الشيرازى. ومن الملفت للنظر أن الصوفى الهندى الشهير الميرزا مظهر جان جانان بمثل هذا الرأى فى شأن قادة الأديان القدماء بالهند وإيران (كلمات طبيات - الجزء ١٤ ص٣٧).

ولما نقل العرب ما وجدوه من الكتب الفارسية القديمة إلى اللغة العربية كذلك كتاب «أوستا» الذى دون فى العصر الساسانى - كما تقدم ذكره - وإليه يشير مرة بعد أخرى، أبو حمزة الأصفهانى فى تاريخ سنى ملوك الأرض «ص٦٤» وكذلك بين المسعودى والبيرونى نوعية أوستا، وذكرا ترجمته العربية فقالا، إن أوستا يحتوى على واحد وعشرين جزءا فى نحو أربعمائة صفحة، وأنه يسمى أحد الأجزاء «جسترشت» الذى ذكرت فيه بداية العالم ونهايته، ويسمى الجزء الأخير منها «هادوخت» الذى يحتوى على وصايا أخلاقية.

الفصل الثالث

ذو القرنين المذكور في القرآن

«الملك قورش»

لا ريب أن مسألة لقب «ذى القرنين» قد حلت نهائيا، ولا شك فى أن تصور ذى القرنين لقورش كان قد وجد، وإن غضضنا النظر عن الشهادات الصريحة التى يشهد بها العهد القديم، فإن تمثال قورش نفسه لشهادة حسية ملموسة حاسمة فى كون ذى القرنين هو الملك قورش.

ولنرى الآن إذا ما كانت الحلةَّ التى فصلها له القرآن الكريم توافقه أم لا؟ وسنرى إن شاء الله تعالى أنها توافقه كل الموافقة.

١ - ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

إن أول ما وصف به الله عز وجل ذا القرنين فى القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: ٨٤]. أى أننا منحناه السلطان والتثبيت فى الملك وهيأنا له جميع الوسائل والمعدات التى كان يحتاج إليها لتدعيم حكمه وإتمام فتوحه.

ومن أسلوب القرآن الكريم أنه كلما ينسب نجاح شخص وسلطانه إلى الله سبحانه وتعالى مباشرة - كما نراه فى هذه الآية - يريد بذلك أمرا عظيما قد وقع على خلاف المعهود، ولذلك صار هبة من الله ورحمة خاصة من لدنه.

فمثلا نرى فى سورة يوسف أن المولى عز وجل يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١].

أى جعلنا يوسف متمكنا فى أرض مصر وذلك لأن يوسف عليه السلام وصل إلى حكم مصر بطريقة عجيبة غير معهودة، ولذلك نسب إلى الله ليبين أنه كان من نعم الله الخصوصية عليه أن أخرجه من السجن وأجلسه على عرش البلاد. ولما كان أسلوب الكلام عن ذى القرنين هو نفس هذا الأسلوب، كان لزاما أن يكون وصول ذى

القرنين كذلك إلى مقام الملك والسلطان فى ظروف غير عادية، فيكون منحة خاصة من عند العلى القدير. وفى هذا الخصوص نجد هذا التفسير ينطبق تماما على حالة ذى القرنين، فقد بدأ حياته فى ظروف أحاطت بها الحوادث المحيرة للعقول، حتى سبكتها فى قالب أشبه بالأسطورة. فرغم أنه لم يولد بعد، إلا أن والد أمه أصبح عدوا لدودا له، يريد الفتك به، ولكن الرجل الذى كلفه لقتله بعد ولادته، امتلأ قلبه عطفا وحنانا عليه، فاختطفه من براثن الموت. فينشأ فى الغابات والصحارى والجبال، ويحيا حياة الرعاة المهملين المجهولين، فبينما هو كذلك إذ تتغير الأحوال بغتة، وتقوده إلى ساحات الجد والاجتهاد فى الأسباب والعمل، مشمرا عن ساعديه، فيخلو له عرش مادا بدون مزاحمة. فلا ريب أن سير حوادث الحياة العادية لا يكون هكذا بل إنه حقا أمر فذ نادر وعجيب.

و﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾:

ثم قال المولى عز وجل سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[الكهف: ٨٤] أى وهبناه كل الوسائل للعمل والنجاح. ولنرى كيف تطابق هذه الكلمات من الآية الكريمة، الأمر الواقع. إن الشاب الذى كان بالأمس راعيا مجهولا، قد استوى اليوم على عرش الملك، وملك جميع ما كان فى حاجة إليه من وسائل العمل بدون حرب ولا نضال. ويقول مؤرخو اليونان فى ذلك: إن جميع قبائل فارس قد اتفقت على طاعته من تلقاء نفسها، وظهرت فى التاريخ أول مرة المملكة الفارسية المتحدة (بعد اتحاد فارس ومادا) ثم احتشدت له جيوش عظيمة لم تملكها مملكة من قبل.

٢- المهمة الأولى الغربية:

ذُكر فى القرآن الكريم لذى القرنين ثلاث مهمات، كانت الأولى منها إلى «مغرب الشمس» والغرض الواضح من «مغرب الشمس» الجهة التى تُرى الشمس وهى

تغرب نحوها، أى جهة الغرب، وليس معنى ذلك مكان غروب الشمس حقيقة، إذ لا يوجد ولا يمكن أن يوجد مكان كهذا، وقد يجدر الذكر هنا أن كل اللغات لتعبر عن الغرب والشرق بـ«مغرب الشمس» وبـ«مطلع الشمس» وكذلك نجد فى العهد القديم تعبيرات كهذه، فنقرأ مثلا فى سفر زكريا:

«(يقول رب الجموع أنى أنجى شعبى من البلد الذى تطلع منه الشمس، ومن البلد الذى تغرب فيه الشمس») «٨:٧». أى أنجى بنى إسرائيل من مصر وبابل، إذ مصر لفلسطين بلاد المغرب، وبابل بلاد المشرق. فهذا أمر واضح لا يحتاج إلى البحث، إلا أن أمرا جليا كهذا أصبح معقدا لولع بعض المفسرين للأسف بالعجائب فتوهموا أن ذا القرنين وصل إلى مكان تغرب فيه الشمس حقيقة.

والذى حدث فعلا أن مهمة قورش الأولى كانت إلى الغرب ولا ريب أنها كانت مهمة ليديا، لأنك إذا توجهت من شمال إيران إلى آسيا الصغرى، تكون قد توجهت نحو الغرب تماما. إذ ما كاد قورش يضع تاج فارس ومادا على رأسه، حتى فاجأه ملك آسيا الصغرى كروسس بالهجوم.

وقد تكونت مملكة آسيا الصغرى، التى عرفت باسم ليديا حينئذ فى القرن السابق للحوادث التى نحن بصددها، وكانت عاصمتها مدينة سارديز، ولقد كانت هناك حروب سابقة بين مادا وليديا قبل ارتقاء قورش العرش، ثم صالح والدكروسس، جد قورش استياغاس، ولأجل تصميم الاتحاد، تصاهرت الأسرتان المالكتان. ولكن كروسس داس على كل هذه العلاقات والقرابات. فقد كبر عليه أن تنشأ امبراطورية عظيمة باتحاد فارس ومادا تحت زعامة قورش الناجحة المبهرة، فحرض أولا حكومات بابل، ومصر، وإسبارتا عليه، ثم استولى بغارة مفاجئة على بلدة بتريا الواقعة على الحدود. فاضطر قورش إلى رد سيف المهاجم إلى نحره، فخرج من هج

متانا (همذان) عاصمة مادا، وانقض كالصاعقة على خصمه، ولم يطل النضال، بل سقطت مملكة ليديا كلها أمام قدميه بعد موقعتى بتريا وسارديز.

وقد عرض لنا هيرودوتس تفاصيل هذه الحرب وهى ممتعة وانتهى إلى أن انتصار قورش كان سريعا جدا لم يتوقعه أحد، فما مضت على معركة بتريا أربعة عشر يوما إلا وخضعت عاصمة ليديا المنيعة ووقع ملكها كروسس بين يدى قورش الفاتح.

فأصبحت آسيا الصغرى كلها من بحر الشام إلى البحر الأسود خاضعة لقورش، ولكنه ما زال يتقدم وتوغل حتى بلغ آخر المغرب، أى إلى ساحل البحر. وهنا بالطبع وقفت أقدامه عن المزيد من التوغل كما وقفت بعد اثنى عشر قرنا أقدام موسى بن نصير على الساحل الشمالى من إفريقيا.

لقد اجتاز قورش من هج متانا إلى ليديا ألف وأربعمائة ميلا، وأصبح لا يقدر على المزيد من التوغل أكثر من هذا فوق أمواج البحر فتوقف. فإذا هو يرى الشمس تغرب فى عين الخليج الساحلى. وكان له هذا المقام، بلا ريب، مغرب الشمس، أى نهاية المغرب (الغرب) بالنسبة له.

قال تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾:

إذا ما وضعنا خريطة الساحل الغربى لآسيا الصغرى أمامنا. فإننا نرى معظم الساحل قد تقطع فى خلجان صغيرة، لاسيما على مقربة من أزمير، حيث اتخذ الخليج صورة عين. وكانت سارديز على مقربة من الساحل الغربى، ولا تبعد كثيرا عن أزمير الحاضرة.

لذا فإنه يمكننا أن نقول إن قورش لما تقدم بعد استيلائه على سارديز، وصل من ساحل بحر إيجه إلى مكان قريب من أزمير، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين، وكان الماء قد انكدر من وخل الساحل فرأى الشمس تغرب مساء فى هذه العين.

وهذا هو ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: ٨٦]. أى أنه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء.

ومن المعلوم أن الشمس لا تغرب فى مكان ما، ولكنك إن وقفت على ساحل بحرى، رأيت الشمس كأنها تغرب رويدا رويدا فى البحر.

وعن مغرب الشمس فى عين حمئة فقد يجدر الذكر هنا أيضا أن ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائى قد قرأوا: تغرب فى عين حامية بدل حمئة وكما هو معروف أن معنى حامية هو حارة، ومعنى حمئة هو كثيرة الحمأة أى الطينة السوداء، وقد يُجمع بين القراءتين فيقال كانت حارة وذات حمأة وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أقرأنيها أبى كما أقرأه رسول الله ﷺ «فى عين حمئة».

غير أن معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه كان يقول: هى حامية ردا على ابن عباس وقال: عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما وأنا مع أمير المؤمنين، فجعلوا بينهم كعبا (كان حبرا يهوديا أسلم وحسن إسلامه) حكما فقال له معاوية :«يا كعب كيف تجد هذا فى التوراة». فقال كعب «أجدها تغرب فى عين سوداء» فوافق ابن عباس.

وقال «القفال»:

«ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا، لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض، وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض، بل أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة، وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة كما نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض، ولهذا قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾
ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم».

٣- المهمة الشرقية:

وكانت مهمة قورش الثانية إلى مشرق الشمس، أى فى جهة الشرق فهيرودتس وتى سياز كلاهما يذكران هذه المهمة الشرقية التى قام بها قورش بعد فتحه ليديا وقبل استيلائه على بابل فقالا: «إن طغيان بعض القبائل الهمجية الصحراوية، حمله على القيام بهذه المهمة».

وهذا يطابق ما جاء فى القرآن الكريم - قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾
[الكهف: ٩٠] أى أنه لما وصل إلى نهاية الشرق، رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يستترون به عن قيظها، يعنى أنهم كانوا من القبائل الرحالة التى لا تسكن المدن ولا تبنى لها البيوت.

ويبدو أن هذه القبائل الرحالة مما صرح به مؤرخو اليونان كانت قبائل بكتريا أى بلخ. ولو نظرنا فى الخريطة لوجدنا بلخ هى بمثابة الشرق الأقصى لإيران، لأن الأرض بعدها ترتفع كثيرا وتسد الطريق والظاهر أيضا من أقوال مؤرخى اليونان أن قبائل غيدروسيا كانت أخذت تسعى فى الفساد على حدوده الشرقية، فقام من مكانه حتى وصل بلخ فاتحا. والمقصود بـ«غيدروسيا» البلاد التى تسمى الآن بمكران وبلوخستان (تقع بين إيران الجنوبية والسند).

ورغم ذكر المؤرخين اليونانيين لهذه المهمة - كما قدمنا - إلا أنهم لم يبينوا بدقة تاريخها وإن كان يعتقد أنها كانت بين سنة ٥٤٠ وسنة ٥٤٥ ق.م - **وإذا كان قورش**

قد وصل إلى نهاية الشرق «بلخ» فإن هذا يعنى أنه قد خرج من إيران الجنوبية فوصل إلى مكران ومنها إلى كابول مارا ببلوخستان ومن كابول توجه إلى بلخ فإنه يكون فى الغالب قد فتح بلاد السند فى هجومه هذا (كان الفرس يسمون السند باسم الهند) ومما يؤكد هذا أننا نجد فى لوحة دارايوش (اسم الهند) بين أسماء البلاد الثمانية والعشرين المفتوحة التى ذكرها فيها.

٤ - المهمة الثالثة الشمالية وسد يأجوج ومأجوج:

وقام بهجوم ثالث على بلاد جبلية كانت تغير عليها من ورائها يأجوج ومأجوج. وهنالك بنى السد. كانت هذه مهمته الثالثة. وصل إليها، تاركا على يمينه بحر الخزر، إلى جبال القوقاز qucasus حيث وجد مضيقا بين جبلين منها.

وقد جاء ذكر هذا فى القرآن الكريم حيث قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الكهف: ٩٣].

والمقصود بين السدين، مضيق فى جبال القوقاز. والمقصود بقوم لا يكادون يفقهون قولا هو أنهم كانوا جبليين متوحشين، حرموا من المدنية والعقل والفهم.

وإننا إذا ما نظرنا فى الخريطة نجد على يمين القوقاز، بحر الخزر الذى يسد طريق الحافة الشرقية منها وعلى اليسار البحر الأسود الذى يسد طريق الحافة الغربية، وترى فى الوسط سلسلة جبالها الشاهقة التى صارت جدارا طبيعيا، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجمين من الشمال إلا مضيق وسطى فيهذه الجبال، يجتازه المهاجمون ويشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه. فبنى قورش فى هذا المضيق سدا حديديا لا يستطيع أحد أن يتسلقه أو ينقب فيه سد به الطريق على المغيرين.

ولم يأمن أهل سهول قوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية وفى مصر من جهة الشمال.

أما القوم الذين وجدهم ذو القرنين هنالك وكانوا خلوا من العقل والفهم والمدنية ووصفوا فى القرآن الكريم بأنهم لا يكادون يفقهون قولا والذين شكوا إلى ذى القرنين هجمات يأجوج ومأجوج عليهم فيحتمل أن يكونوا القوم الذين ذكرهم مؤرخو اليونان باسم «كولشى» وذكروا فى لوحة داريوش باسم «كوشيا».

وقد يجدر الذكر هنا أن بلاد القوقاز الحاضرة واقعة فى وديان هذه البلاد. وهناك نهر نزل عليه قورش وجيشه أثناء مهمته فسمى النهر فى ذاك الحين بـ«نهر سائرس» أى نهر قورش.

٥- أوصاف ذي القرنين الأخلاقية في القرآن الكريم:

إذا أتت أمامنا أوصاف ذى القرنين الأخلاقية الوارد ذكرها فى القرآن المجيد، نجد أن أولها عدله وحبه لرعيته. فلنرى إلى أى حد ينطبق هذا الوصف على حياة قورش.

يخبرنا القرآن الكريم أن الله عز وجل قال له فى شأن الذين وجدهم فى الغرب ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[الكهف: ٨٦] أى أصبح هؤلاء فى قبضة يدك، فلك أن تعاقبهم أو تعاملهم بالحسنى.

ولا شك فى أن هؤلاء كانوا الشعب اليونانى فى ليديا. فقد هاجمه ملكهم كروسس بدون حق ناسيا العهود والقرابات، ولم يكتف بهجومه، بل حض عليه جميع الدول القومية المعاصرة. والآن بعد أن خاب سعيه وعاد كيده فى نحره، كان لقورش أن يعاقبه على سوء عمله. ولو فعل ذلك، لما عوتب فيه لأنه كان له الحق بذلك. هذا

هو الأمر الذى عُبر عنه فى القرآن الكريم بقول الله تعالى :﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ فماذا فعل ذو القرنين؟ لقد عاملهم بالحق لأنه ليس من الذين يميلون للظلم **لقد قال الله تعالى على لسان ذى القرنين فى القرآن الكريم:**

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[الكهف: ٨٧-٨٨].

أى لا أعاقبهم على ما سبق لهم من الشر، بل أعفو عنهم. ومن يأت بمنكر بعد هذا، نيل جزاء عمله، ثم يرد إلى الله ليعاقبه بما هو أشد وأدهى، وأما من يعمل الخير ويطع أمرى، فأجزيه بالحسنى.

هذا هو إجمالى ما فصله مؤرخو اليونان من سيرة قورش وقد قبله مؤرخو العصر الحاضر كحقيقة تاريخية لا مراء فيها.

هذا وقد اتفقت كلمة مؤرخى اليونان على أن ما فعله قورش بعد فتحه ليديا، لم يكن العدل الصراح فحسب، بل كان أكثر من ذلك، كان كله سماحة ومرحمة وكرما ونبلا. فلو عاقب أعداءه لكان ذلك عدلا لأنهم كانوا جناة مجرمين، ولكنه لم يقف عند حدود العدل، بل صعد إلى المقام الأعلى من الإنسانية الفاضلة - **ويقول هيرودوتس فى ذلك:**

«أمر قورش جنوده بألا يرفعوا السلاح على أحد غير المحاربين من الأعداء، ومن يخفض رمحه منهم فلا يقتلونه. أما كروسس الملك المنهزم، فأمر فى شأنه ألا يؤذيه أحد، حتى ولو هاجمه بسلاحه. ولقد أطاع الجيش أمره طاعة تامة، حتى لم يشعر عامة الأهالى بويلات الحرب. تغير الملك والسلطان، دون تقتيل الأهالى أو ترويعهم وتدمير بيوتهم. وهنا يجب ألا ننسى بأن انتصار قورش كان هزيمة منكرة لألهة اليونان، لأنها لم تقدر على صون عابدها الخاص كروسس من المحنة الكبرى.

فقد قال المؤرخون أن كروسس استخار الآلهة، قبل إقدامه على الهجوم، وأن هات «دلفى» قد بشره بالفتح المبين، ولما نعكست الآية وأنكسر كروسس، استاء اليونانيون، فأخذوا يؤولون ويحاولون أن يجعلوا من هذه الهزيمة الشنيعة فتحا دينيا لآلهتهم. فقد روى هيرودوتس ما قاله الناس فى ليديا بعد اندحار ملكهم، فزعموا أن هاتف دلفى لم يخطئ، وإنما أخطأ كروسس فى فهم جوابه لتحمسه الحربى. إذ قال له الهاتف :«إن هاجم كروسس الفرس فيدمر مملكة عظيمة» أى أنه يقضى بهجومه على مملكته العظيمة نفسها، ولكنه أساء الفهم، فظن أن الهاتف بشره بانهيار المملكة الفارسية. وكذلك زعموا أن قورش لما أمر بإحراق كروسيس فوق مصطبة الحطب، تذكر كروسس، وهو فوق المصطبة المشتعلة بالنار قول فيلسوف يونانى له، فأخذ يبتسم.

وقد أخبروا قورش بذلك، فتأثر به أيما تأثر وأمر فورا بإطفاء النار، ولكن النار كانت قد تأججت وعجز رجال الملك عن اطفائها، فنادى عند ذلك كروسس الإله «أبالو» وعلى رغم أنه لم يكن على السماء غيم أخذ المطر ينهمر، فانطفأت النار، وأنقذ الأله حياة كروسس بعد أن عجز عنه كل البشر.

تلك كانت مزاعم القوم الواهية بعد اندحار ملكهم، ولكنا عندما نرجع إلى ما صرح به هيرودوتس وزينوفن، تتجلى الحقيقة، فقد قام كروسس بهجومه بعد أن تقوى قلبه ببشارة كهنة ألهة اليونان وقد اشتهرت البشارة قبل بدء الحرب، فأراد قورش أن يبطل ما اعتقده القوم ويريهم أن الذين اتخذوهم آلهة من دون الله الواحد الأحد، لا يستطيعون لهم نصرا، ولا يقدرون على انقاذ أحد أو من ادعى أنهم بشروه بالفتح من الاحتراق وهو حى. ولذلك أمر قورش أولا أن يقعدوا كروسس على مصطبة الحطب ويشعلوا النار فيها، ليرى الناس بأعينهم أن آلهتهم لا قدرة لها. وأنه ليست هنالك أية معجزة من آلهتهم المزعومة تنقذ ملكهم من النار، بل سيصير رمادا

تذروه الرياح. فلما تجلت هذه الحقيقة للعيان، أمر الملك بنفسه أمام الناس باطفاء النار لينجو خصمه المكسور من الهلاك. وقد تجدر الملاحظة هنا أن معجزة «أبالو» المزعومة فى أسطورة اليونان لتشير صراحة إلى الحقيقة التى أراد قورش إثباتها بعمله، ولذلك حاول قوم كروسس نقضها باختراع هذه المعجزة الواهية الكاذبة.

لقد جاء القرآن الكريم قول الله عز وجل على لسان ذى القرنين ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[الكهف: ٨٨] أى أن أحسن القوم، فسيرون أنه ليس فى معاملتى ما يشق عليهم أو يسوءهم.

وقد شهد مؤرخو اليونان بأن معاملته كانت كما جاء ذكره فى القرآن، فقد كان للبلاد التى فتحها رمزا للعدل والمرحمة والعطف. فقد نجاهم من كل ما كانوا يئنون تحته من الظلم والاستبداد والخراج الثقيل والضرائب الباهظة التى كان الملوك فى ذاك العصر يفرضونها على الرعية. وقد فتح يسر أوامر قورش وعدل ورحمة قوانينه دورا جديدا للرخاء ورغد العيش للناس قاطبة.

٦- خصائص قورش العامة:

لقد تعرضنا لكيفية تعامل قورش مع البلاد التى فتحها. فما الذى شهد به مؤرخو اليونان فى شأن عاداته وخصائله؟ وإلى أى مدى تتطابق مع ما ذكره القرآن منها؟

وقد لا ينبغى لنا أن ننسى الأمر الواقع، وهو أن المؤرخين الثلاثة الذين كتبوا عن قورش، لم يكونوا من قومه. ولا من أبناء وطنه ودينه، بل كانوا من اليونان. ليس هذا فحسب، بل لم يكونوا من أصدقائه ومحبيه. فقد هزم قورش ليديا، وهزيمة ليديا كانت فى الحقيقة هزيمة لقومية اليونان، ولحضارة اليونان، وآلهة اليونان. ثم خلفه دارايوش وأردشير، فأغارا على بلاد اليونان نفسها. وهكذا تولد العداء بين الشعبين وتمكن. ولقد ألف هؤلاء المؤرخون الثلاثة كتبهم فى عصر أردشير أو بعده، أى فى العصر

الذى اشتعلت عواطف اليونان القومية فيه إلى آخر حد، وزادت اشتعالا عندما أخذ شعراء اليونان يكتبون أشد التمثيليات العدائية فى تاريخ اليونان ضد الفرس «وهى موجودة إلى يومنا هذا»!

ومع كل ذلك نرى كل واحد من مؤرخى اليونان الثلاثة يعترف بعظمة قورش الخارقة للعادة وبفضائله الأخلاقية الفذة. وهذا دليل قاطع على أن محاسن قورش كانت قد اشتهرت اشتهارا ما كان يسع أحد معها أن ينكرها أو يمارى فيها حتى ولو كان من أكبر أعدائه.

يقول هيرودوتس:

«كان قورش ملكا كريما، جوادا سمحا للغاية. لم يكن حريصا على جمع المال كغيره من الملوك، بل كان حرصه على الكرم والعطاء. يبذل العدل للمظلومين، ويحب كل ما فيه خير البشر».

ويقول زينوفن:

«كان ملكا عاقلا رحيما. اجتمعت فيه مع نبل الملوك فضائل الحكماء. همته تفوق عظمته، وجوده يغلب جلالته، خدمة الإنسانية شعاره، وبذل العدل للمظلومين ديدنه. وقد حل فيه - مكان الكبر والعجب - التواضع والسماحة».

٧- بروز شخصية قورش:

وأبرز ما نجد فى صفحات هؤلاء المؤرخين، هو رفعة شخصية قورش الفذة، فقد أجمعوا على أنه لم يكن من نبت عصره، بل شخصا فذا، كأنه سبق خلق عصره، لم يعلمه معلم، ولم يربه حكيم، ولم ينشأ فى بلد متحضر، وإنما كان ربيب الفطرة، وصنيع أيدى الحكمة الأزلية، مضت الأيام الأولى من حياته فى حجر الصحارى وكنف

الجبال. كان من رعاة الصحارى الشرقية من فارس، فلما برز هذا الراعى أمام أعين العالم، كان أرقى مظهر للحكم، وأعظم شخصية للحكمة والفضيلة.

لقد نشأ الإسكندر الأكبر على يد أرسطاطاليس، ولا شك أنه كان قائدا وفاتحا عظيما، ولكن هل فتح زاوية من زوايا الإنسانية والأخلاق؟

لم يوجد لقورش أرسطاطاليس، وأنه عوضا عن المدارس البشرية، نشأ فى مدرسة الفطرة الإيمانية مشمولا بعناية الله جل وعلا. فلم يكتف بفتح البلاد كالإسكندر، بل فتح مملكة الإنسانية والفضيلة كذلك.

إن عمر فتوح الإسكندر لم تجاوز عمر الإسكندر نفسه، ولكن المعاقل التى شيدتها فتوح قورش، صارعت حوادث الدهر الغلابة قرنين كاملين بدون أن يصيبها تلف. فما لفظ الإسكندر أنفاسه الأخيرة، حتى تقطعت أوصال مملكته المفتوحة، ولكن قورش عندما انتقل من الدنيا، كانت مملكته مستعدة للتوسع والتمكن. ولم يكن ينقص فتوحه إلا مصر، فأتم النقص ولده كوشيا بالاستيلاء عليها. وبرزت بعد بضع سنين تلك الامبراطورية العظيمة التى لم ير العالم القديم مثلها قط. فبسطت سلطانها على ثمانية وعشرين بلدا من قارتى آسيا وأوروبا وكذلك مصر.

لقد كانت فتوح الإسكندر، فتوحا مادية، بينما فتوح قورش شملت الجسد والروح معا. ترفع الأولى رأسها فلا تقدر على البقاء، بينما تبقى الأخرى غير متزحزحة.

ولقد اعترف بهذه الحقيقة محققو التاريخ فى العصر الحديث، فهذا المستر جرند CB Grundy أستاذ جامعة أوكسفورد، والعلامة الثقة فى التاريخ القديم، والذى نال مؤلفه الكبير (الحرب الفارسية الكبرى) شهرة واسعة وقبولا عاما بين الباحثين ومؤرخى العصر الحديث يقول جرندى **فى مقال له:**

«لا ريب، كانت شخصية قورش، شخصية فذة غير عادية فى عصره، فإنه أحدث فى قلوب الشعوب المعاصرة له أثرا يحير الألباب. وقد ألف زينوفن، تلميذ سقراط، سوانح حياته بعد موته بمائة وخمسين سنة. وإنا لنرى فى جميع الروايات فضائله الإنسانية بارزه. وسواء اهتممنا بها أو لم نهتم، إلا أنه لا مناص لنا من الاعتراف بأن حبل سياسة ملكه كان مرتبطا بمحاسنه الأخلاقية وفضائله الإنسانية.

وإذا لاحظنا سلوكه مع ما كان عليه ملوك الأشور وبابل من السيرة، نجده يتلألأ عظيما رائعا».

ثم يقول:

«لقد كان نجاحه، نجاحا عظيما. كان قبل اثنتى عشرة سنة أميرا مجهولا لإمارة مجهولة وهى «انشان» فإذا هو نراه الآن قد خضعت له جميع تلك البلاد التى كانت مراكز العظمة للشعوب الكبيرة السابقة. فهذه البلاد التى ادعت ملكية الأرض فى أيامها، لم يعد أحد منها يتجرأ الآن على ادعاء الزعامة لنفسه، فمن بلاد سارجون الملك الأسطورى للمملكة الآكادية، إلى بلاد بخت نصر، إمبراطور بابل، سجدت كلها لهذا الامبراطور الجديد. إنه لم يكن فاتحا عظيما فحسب، بل حاكما كبيرا كذلك. وإن الشعوب لم تقبل الدور الجديد فقط بل رحبت به أيضا. ففى السنين العشر الأخيرة من حياته بعد فتح بابل، لم تحدث ولا ثورة واحدة فى مملكته الواسعة. أجل، كانت رعيته تهابه، ولكن لا تخشى قسوته، إذ حكومته لم تعرف عقاب القتل والسلب والنهب. لم يكن المذنبون يعذبون، ولا تصدر الأوامر بالمذابح، ولا تخاف الشعوب التهجير من الأوطان، بل كان الأمن والسلام يشمل الجميع وترفرف الطمأنينة والرفاهية على الكل. لقد محيت آثار مظالم الملوك الأشوريين والبابليين، ورجعت الشعوب المنفية إلى أوطانها، وأعيدت إليها معابدها. لم يبق اعتساف ضد

العوائد والعبادات القديمة. بذل العدل لسائر الشعوب، ومنحت الحرية التامة لجميع الأديان والمذاهب. وقد حل محل الخوف العام السابق، عدل عام، وسماحة كريمة، ومساواة تامة». «يراجع كتاب تاريخ العالم لهمرتن ج٢».

إن ما شرحه وفصله مؤرخو اليونان القدماء ومؤرخو العصر الحديث من فضائل ذى القرنين وخصاله الحميدة قد أجمله المولى عز وجل فى القرآن الكريم فى كلمات معجزة وجيزة.

الباب الثالث

يأجوج ومأجوج وسد قورش

لقد بحثنا بشيء من التفصيل فيما تقدم شخصية ذى القرنين وانتهينا إلى أن الملك قورش الوارد ذكره فى التوراة فى أكثر من سفر هو ذاته الوارد ذكره فى القرآن الكريم بخصائله وصفاته وفضائله الحميدة وإنجازاته التاريخية الفذة النابعة من إيمان لا يتزعزع بالوحدانية الأحدية. ورأينا كيف أجمل العلى القدير فى القرآن المجيد تفاصيل كل ما تقدم فى حياة قورش فى كلمات معجزة وجيزة لتكون عظة وعبرة وإلهاما لكل الأجيال التالية وحتى قيام الساعة.

ومن الطبيعى المنطقى أن يبقى لنا النظر فى مسألتين ترتبطان ارتباطا وثيقا بتاريخ ذى القرنين الوارد ذكرهما أيضا بكلمات معجزة وجيزة فى القرآن الكريم وهما:

أولا- مسألة يأجوج ومأجوج وإفسادهم في الأرض

ثانيا - مسألة سد قورش الذي حال دون إفساد يأجوج ومأجوج وطغيانهم واستبدادهم وتخريبهم في أراضي الإمبراطورية الفارسية وعدوانهم المستمر عليها.

وعلينا أن نتذكر فى معالجة هذا البحث أنه جاء فى القرآن المجيد (سورة الكهف) جاء ذكر أمرين عن السد بخصوصية، وهما أنه - **أى السد - بنى فى مكان ارتفعت الجبال كجدارين على جانبيه، أى كان المكان مضيقا جبليا، وأن السد الذى أقيم به، أستخدمت فيه زبر الحديد، وأُفرغ عليها النحاس المذاب، وعلى ذلك يجب أن نجد السد فى مضيق جبلى، ويجب أن يكون جدارا حديديا، لا جدارا من الحجر والآجر، ويكون قد سد طريق المضيق الجبلى.**

ولقد نهبنا إلى هذه الأوصاف التى أجملت فى الإعجاز القرآنى إلى كلمات موجزة، لأن بعض مفسرينا لم ينتبهوا لها أو يعوها بشيء من التأمل والتركيز فغضوا النظر عنها، فهم إذا سمعوا بجدار بنى بشيء من الدقة والمهارة الهندسية، فى ذات المنطقة سبق إلى أذهانهم أنه هو السد الذى بناه ذو القرنين حتى أن بعض الباحثين العصريين

وعلى رأسهم المرحوم السيد/ السيد أحمد ذهبوا إلى أن جدار الصين، هو سد ذى القرنين، فى حين أن هذا الجدار لا يمكن أن يكون ذلك بحال من الأحوال، لأنه لم يبن فى مضيق جبلى، ولا استخدمت فيه قطع الحديد أو النحاس المذاب بل هو جدار من الحجر يمتد إلى مئات الأميال.

ولكى نصل إلى نتائج حاسمة فلنبحث أولا عن يأجوج ومأجوج، فإذا وجدناهم، سهل علينا الوصول إلى السد. خاصة أنه جاء ذكر يأجوج ومأجوج فى القرآن الكريم فى سورتين فقد قال جل وعلا فى سورة الأنبياء:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

كما وردت فى سورة الكهف التى قصت قصة ذى القرنين وبناء السد فقد قال عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ ﴾ [الكهف: ٩٣-٩٤].

الفصل الأول

يأجـــوج ومأجـــوج

يرد للأسف على ألسنة الكثير من الناس - ومنهم بعض نخب المثقفين - خرافات كثيرة تتعلق بتسمية يأجوج ومأجوج التى وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف وذلك نتيجة افتقاد التأمل والتروى فى بحث ودراسة ما ورد بشأنهما من آيات فى القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة. ولكن الباحث فى المصادر اللغوية وكتب التفسير يجد بيانا آخر يتعلق بهاتين التسميتين، حيث جاء ف يالمعنى اللغوى لهاتين الكلمتين ما يلى:

١- في ((لسان العرب)):

أجج: الأجيج تلهب النار.. والأجة والأجيج: صوت النار.. وأجّت النار تئج وتؤج أجيجا: إذا سمعت صوت فيها. وكذلك ائتجت وتأججت وقد أججها تأجيجا.

وأجج بينهم شرا: أوقده. وقولهم القوم فى أجة أى فى اختلاط.

وقال أبو عمر: أجَّ: إذا حمل على العدو.. وأجَّ يئج أجيجا: صوَّت. وأجَّ يؤجَ أجًا: أسرع. قال الشاعر: «سد بيديه ثم أجَّ بسيره».

٢- وجاء في ((التهذيب)):

أجَّ فى سيره يؤج أجًا: إذا أسرع وهرول.. والأجيج والائتجاج: شدة الحر.. وماء أُجاج أى مالح.. قال الله عز وجل ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وهو الشديد الملوحة والمرارة. ويأجوج ومأجوج: قبيلتان من خلق الله.. وجاء فى الحديث أن الخلق عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج «يراجع معجم «لسان العرب» لابن منظور، مادة أجج.

٣- وجاء في ((التفسير الكبير)) للإمام الرازي في معرض تفسيره لقول الله عز وجل في سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ما يلي:

« فى يأجوج ومأجوج قولانِ، الأول: أنهما اسمان أعجميان موضوعان بدليل منع

الصرف. والثانى: أنهما مشتقان، وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمز. وقرأ الباقون: ياجوج وماجوج، وقرئ فى رواية أجوج ومأجوج، والقائلون بكون هذين الاسمين مشتقين ذكروا وجوها: الأول: قال الكسائى: يأجوج مأخوذ من تأجج النار وتلهبها فلسرعتهم فى الحركة سموا بذلك، ومأجوج من موج البحر. والثانى: أن يأجوج مأخوذ من تأجج الملح وهو شدة ملوحته، فلشدتهم فى الحركة سموا بذلك. والثالث: قال القيتبى: هو مأخوذ من قولهم أجّ الظليم فى مشيه يئج أجًّا، إذا هرول وسمعت حفيفه فى عدوه.. واختلف فى أنهما - أى يأجوج ومأجوج - من أى الأقوام، فقيل إنهما من الترك، وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل والديليم.. وكذلك قال الرازى :«هما قبيلتان من جنس الإنس».

٤- وجاء في ((دائرة معارف القرن العشرين)) لمؤلفها محمد فريد وجدي:

«.. **وأما يأجوج ومأجوج فقبيلتان من ولد يافث**. وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من جبل الديلم، ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى قالوا إن الواحد منهم لا يزيد فى الطول عن الشبر، ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبت لهم مخالب وأضراسا كأضراس السباع، وليس فى الكتاب الكريم ما يدل على شىء من ذلك، فقد اقتصر على أنهم من الأقوام المفسدين فى الأرض ولو كانوا فيهم شىء خارق للعادة لنبه عليه.

أما إفسادهم فى الأرض فقيل كانوا يقتلون الناس ويأكلون لحومهم. وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه.

وقد نرى أن ذلك لا يمنع أنهم كانوا قوما أولى بأس شديد يشنون الغارة على أولئك الأقوام الشاكين، فيكون معنى أنهم مفسدون فى الأرض أنهم يغزون فيجتاحون ثمراتهم ويقتلونهم ويسبون نساءهم. وعليه فلا محل لجميع ما يروى

من الأمور البعيدة عن العقل بشأن يأجوج ومأجوج ما دام لم تدل على إشارة من كتاب الله ولا من سنة رسوله الصحيحة «دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى، المجلد الأول - مادة أجج».

وهكذا يبدو من القرآن واللغة وكلام المفسرين والمفكرين أنه ليس ثمة خرافة أو أعجوبة تتعلق بيأجوج ومأجوج، فهم ليسوا سوى أقوام بشرية تتميز بصفات معينة سنفصل بيانها فى الوضع المناسب. إن كلمتى «يأجوج» و«مأجوج» تبدوان كأنهما عبريتان، ولكنهما فى أصلهما قد لا تكونان عبريتين. إنهما كلمتان أجنبيتان اتخذتا الصورة العبرية، فهما تنطقان باليونانية (Gog) و(Magog) وقد ذكرتا بهذا الشكل فى الترجمة السبعينية للتوراة، وراجتا بالشكل نفسه فى سائر اللغات الأوروبية. ولقد ورد هذا الاسم لأول مرة فى التوراة فى سفر التكوين عند ذكره خروج أمم من ذرية نوح حيث جاء :(هؤلاء مواليد بنى نوح سام وحام ويافث ومن وُلدهم من البنين بعد الطوفان بنو يافث: جومر، وماجوج وماداى وياوان وتوبال وماشك وتيراس) التكوين / الإصحاح ١٠ : ١-٢ وبينما يمثل جومر (الكمريين) الذين عاشوا شرقى تركيا، ومداى (الميديين) فقد كان مأجوج شعبا عاش شرقى الكمريين وغربى الميديين، ولكن يبدو من سفر التكوين أن قائمة الشعوب المذكورة فيه تعبر عن اصطلاح يشير إلى خليط من الشعوب البربرية المقيمة فى أقصى شمال وشمال شرقى المنطقة الجغرافية المشار إليها ويرد اسم مأجوج فى سفر حزقيال باعتباره اسما للأقوام الشمالية والتى قائدها وزعيمها يأجوج، وفى الوحى يعتبر لفظ يأجوج ومأجوج كاصطلاح شامل لقوى الشر، وقد اعتبرهم يوسيفوس بأنهم السيكيثيون، ويعنى هذا الاسم لدى الكتاب القدماء مجموعة من القبائل المجهولة والمتوحشة. وحسب (جرومى) فإن قبائل مأجوج كانت تقيم وراء القفقاس قرب بحر قزوين. وهذه المنطقة الشمالية

ذاتها حيث عاش السيكيثيون (باليونانية سى تهين sythians). ويشير (هيرودتس) إلى أن هؤلاء البدو (السيكيثيين) جاءوا من ممر طبيعى يقع بين القفقاس. (الموسوعة اليهودية - تحت عنوان ياجوج، وتاريخ العالم للمؤرخين - مجلد٢ ص: ٢٨٥).

وبناء على ما جاء فى التوراة فإن قبائل يأجوج ومأجوج قد حكمت جزء من بلاد فارس، وإنها لحقيقة تاريخية ثابتة أن فارس قد وقعت فى أيدى السيكيثيين أو امبراطور ميديا الذى حكم (أكبتانا) ثم استخلصها منه الملك قورش العظيم (تاريخ العالم للمؤرخين - مجلد ٢ ص٥٨٩).

وهكذا يبدو واضحا أن السيكثيين أو يأجوج ومأجوج قد سيطروا على مناطق إلى الشمال والشمال الشرقى من البحر الأسود، وأنهم قد قدموا من هذه المناطق وغزو واحتلوا فارس، وأن الملك قورش (ذا القرنين) بانى السد قد هزمهم فيما بعد وأنقذ فارس من براثنهم.

ولا شك فى أن ثمة الكثير مما يمكن أن يتبين من الحقائق التاريخية حول تاريخ قبائل يزجوج ومأجوج الى سنتعرض له بشىء من التفصيل فيما بعد بقصد بيان هويتهم فى الزمن الماضى وحقيقتهم فى زمننا الحاضر، **وهى أن هذه الأقوام عندما لم تتمكن من التغلغل من الشمال إلى الجنوب لاحتلال بلاد فارس التى كانت تطمع بخيراتها بسبب إقامة سد ذى القرنين فى وجهها، توجهت أكثرية هذه القبائل زاحفة باتجاه أوروبا فغزتها واستوطنتها ثم عندما ظهرت المسيحية فيها دخلت فى المسيحية، وهى تشكل اليوم الجزء الغالب فى الشعوب المسيحية الأوروبية والتى تشكل حاليا نسبة تجاوز ٧٠٪ من أصول الشعب الأمريكى - وبذلك تتوحد فى هذا العصر هوية المسيح الدجال مع يأجوج ومأجوج.**

تاريخ قبائل يأجوج ومأجوج ومن كان هؤلاء القوم؟

لقد تضافرت الشواهد التاريخية على أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخى إلى القرن التاسع الميلادى نحو البلاد الغربية والجنوبية.

وقد سميت هى بأسماء مختلفة، وعرف جزء كبير منها فى الزمن المتأخر باسم «ميجر» فى أوروبا، وجزء آخر باسم التتار فى آسيا، ولا شك أيضا أن فرعا لهؤلاء القوم، كان قد انتشر على سواحل البحر الأسود فى سنة ٦٠٠ ق.م. وأغار على آسيا الغربية نازلا من جبال القوقاز. وقد سماه اليونان باسم (سى تهين syihians) وذكر بنفس الاسم فى كتابات دارايوش باستخر مما يجزم بأن هؤلاء هم الذين شكت من غاراتهم ووحشيتهم الشعوب الجبلية إلى قورش فبنى السد الحديدى لمنعها.

القبائل المنغولية واليواشية:

وتسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية من الأرض «منغوليا» وقبائلها الرحالة «منغول» - وفى المصادر الصينية أن أصل كلمة منغول، هو «منكوك» (بالكاف الفارسية بعد النون) أو «منجوك» (بالجيم الفارسية) وفى الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبرى «ماكوك» (بالكافين الفارسيتين) والنطق اليونانى «ميكاك» (بالكافين الفارسيتين). ويخبرنا تاريخ الصين عن قبيلة أخرى من هذه البقعة، كانت تعرف باسم «يواشى» والظاهر أن هذه الكلمة مازالت تحرف عند الأمم حتى أصبحت «يأجوج» فى العبرية (يراجع كتاب مولانا أزاد عن ذى القرنين).

وغير خاف أن من المعروف تاريخيا أن منغوليا تعتبر مهد الشعوب القديمة، فإن الجزء المرتفع من الكرة الأرضية الواقع فى الشمال الشرقى الذى يسمى فى

عصرنا الحالى منغوليا وتركستان الصينية، كان مهدا لشعوب قديمة عديدة، فلقد معينا بشريا، تتدفق مياهه وتتجمع، حتى إذا بلغت النهاية طغت وانصبت إلى الغرب، والجنوب فالصين موجودة فى الشرق منه، وآسيا الغربية والجنوبية فى غربه وجنوبه، وأوروبا فى الشمال الغربى منه، فمازالت سيول القبائل والشعوب تتدفق، فتستوطن بعض القبائل آسيا الوسطى والبعض الغالب يتقدم فيصل إلى أوروبا ومنها أيضا من ينزل بآسيا الغربية والجنوبية. وكانت هذه القبائل بعد خروجها من مسقط رأسها، وحط رحالها فى البلاد الجديدة، تفقد تدريجيا خصائصها الأولى وتصطبغ بصبغة أوطانها الجديدة، فتصير على مرور الأيام شعوبا بنفسها.

ولما كان موطنها القديم لا تتغير أحواله، ولم تزل تنشأ فيه قبائل جديدة، وتتدفق فى دورها إلى الخارج كمن سبق من أخواتها، دون أن تتغير هذه البقعة بل تظل على همجيتها القديمة. وكان الذين ينسلون منها ويقطنون البلاد الأخرى، كانوا يتحضرون تدريجيا مع مرور الزمن، فتختلف حالتهم الجديدة ولو ببطء عن الحالة القديمة، فبينما المدنية تسعى لإزالة بربريتهم فيشتغلون بالزراعة والحرف الأخرى، يظل أخوتهم فى مسقط رأسهم على حالتهم الأولى من الهمجية والخشونة والقسوة، ولذلك يظلون شبحا مخيفا ومرعبا للبلاد الأخرى المجاورة.

وقد مر خروج هذه القبائل الهمجية «يأجوج ومأجوج» إلى سبعة أدوار:

الدور الأول:

كان قبل العصر التاريخى، عندما بدأت هذه القبائل تهاجر من الشمال الشرقى، وتنتشر فى آسيا الوسطى.

وكان الدور الثانى:

فى فجر التاريخ، فنرى فى ضوئه معالم حياتين مختلفتين، حياة البداوة وحياة الاستقرار، فتخلد القبائل المهاجرة إلى السكينة، وتباشر الحياة الزراعية، رلا أن سيولا جديدة لا تزال تتدفق من الشرق. وزمن هذا الدور من نحو سنة ١٥٠٠ ق.م إلى سنة ١٠٠٠ ق.م.

الدور الثالث:

ويتبدئ الدور الثالث من سنة ألف قبل الميلاد، فنجد قوما همجا من البدو فى بلاد بحر الخزر والبحر الأسود، بأسماء مختلفة ومن جهات مختلفة، ثم نرى القبائل «سى تهين» أخذت تظهر على مسرح التاريخ سنة ٧٠٠ ق.م وتهاجم آسيا الغربية. وكانت الحضارة الآشورية قد بلغت أوج مجدها، وسادت مدينة نينوى وبابل على آسيا كلها.

وقد ذكر هيرودوتس (إن حدود الآشوريين الشمالية كانت عرضة لغارات قبائل سى تهين المستمرة، وكانت هذه الحدود تمتد إلى جبال أرمينيا، فكانت قبائل سى تهين تجتاز مضيق القوقاز وتشن الغارات المدمرة على شعوب السهول، حتى أن جموعا كبيرة منها تقدمت سنة ٦٢٠ ق.م ووصلت إلى نينوى، داسة فى طريقها إيران الشمالية، ويرى مؤرخو اليونان أن هذا الحادث كان من أهم سقوط نينوى.

(يراجع «ويسألونك عن ذى القرنين» لمولانا أبو الكلام أزاد، وهيرودوتس ١-١٠٤).

الدور الرابع:

أما الدور الرابع فإنه يبتدئ حوالى سنة ٥٠٠ ق.م - وهو الزمن الذى ظهر فيه قورش. وتكونت مملكة مادا وفارس المتحدة، فتغيرت الظروف وموازين القوى

فجأة، وأمنت آسيا الغربية تماما من هجمات «سى تهين» البربرية بعد بناء سد قورش فتوجهت الأغلبية منهم إلى أوروبا فغزتها.

الدور الخامس:

وكان الدور الخامس فى القرن الثالث قبل الميلاد، قد تدفق فيه سيل جديد للقبائل المنغولية وانصب على الصين. وقد سمى مؤرخو الصين هذه القبائل «هيونغ نو» Hiung nu وقد حرف الاسم فأصبح «هن» فيما بعد.

وفى هذا العصر بنى امبراطور الصين «شين هوانغ تى» ذلك الجدار العظيم الذى اشتهر بجدار الصين لصد هجمات هؤلاء المغيرين، والذى لا يزال يوجد إلى يومنا هذا. وقد بدءوا ببنائه سنة ٢٦٤ ق وأتموه فى مدة عشر سنين. ولما صد هذا الجدار حملات المغول من الشمال والغرب توجهوا إلى آسيا الوسطى.

الدور السادس:

وكان هذا الدور فى القرن الرابع الميلادى عندما رفعت هذه القبائل رأسها فى أوروبا بعد ازدياد وتكاثر أعدادها وبعد أن حظيت بقائد كبير، هو أتيلا «Attila» وقضت على الإمبراطورية الرومانية وعلى المدنية الرومانية معا.

الدور السابع والأخير:

وقد كان هذا الدور فى القرن الثانى عشر الميلادى، فاحتشدت جموع عظيمة من القبائل فى بلاد منغوليا، وخرجت بزعامة جنكيز خان، فقضت على الحضارة العربية وخربت بغداد.

وقد نعلم مما سبق أن معظم آسيا الغربية كانت عرضة لهجمات قبائل سى تهين

المنغولية من القرن السادس قبل الميلاد، وأن الزمن الذى وقفت فيه هذه الجهات بغتة هو زمن قورش، فلابد من أن تكون هذه القبائل (سى تهين) التى سميت واشتهرت باسم يأجوج ومأجوج، ولصد غاراتها بنى ذو القرنين (قورش) السد الحديدى، فقفل هذا السد تماما الطريق الذى كان يسلكه هولاء الهمج لشن غاراتهم على آسيا الغربية، ولم نسمع لهجماتهم خبرا فيما بعد.

الفصل الثانى

سد ذى القرنين

علمنا مما سبق أن الملك قورش العظيم (ذو القرنين) أوقف تماما الهجمات الوحشية المباغتة التى كانت تشنها قبائل «سى تهين» (يأجوج ومأجوج) على آسيا الغربية ببناء السد الحديدى فقفل بهذا السد الطريق الوحيد المتاح الذى كان يسلكه هؤلاء الهمج لشن غاراتهم.

فمن أى طريق كانت هذه القبائل تشن غاراتها؟ وأين كان بالتحديد موقع هذا السد فى هذا الطريق؟ وقد يجدر بنا فى هذا المقام أيضا أن نرى ما جاء فى نبوءة حزقيال حول يأجوج ومأجوج ثم نستطرد الحديث. فلقد ظهر النبى حزقيال فى الزمن الذى كان اليهود فيه يحيون حياة الأسر فى بابل. ويقول التاريخ اليهودى بأن بخت نصر (نبوخذ نصر) هو الذى جاء بحزقيال (حزقئيل) إلى بابل مع قومه فعاش إلى زمن قورش. وقد وجدت فى السفر المنسوب إليه نبوءات خوطبت بها الشعوب المختلفة، منها نبوءة فى شأن يأجوج ومأجوج كما يلى:

«وصلنى كلام الرب قائلا، يا ابن آدم، ول وجهك شطر جوج وتنبأ ضده، نعم، شطر جوج الذى هو رئيس أرض مأجوج، ومسك، وتوبال، فقل له إن الرب يقول لك، إنى أصبحت ضدك وإنى أبدلك، وأجرح فيك، وأطرد جميع جندك وفرسانك الذى يرتدون الملابس العسكرية، ويحملون السيوف والتروس. وأطرد معهم الفارس، وكوش والقوط كذلك».

ويلى هذا من التفصيل ما يتلخص فى أن جوج يقدم من الشمال ناهبا ومدمرا، ولكن يحل بالقوم الدمار، فيهلكون فى «وادى المسافرين» الواقع فى شرق البحر، وتبقى جثثهم تتعفن إلى زمن طويل، ثم يدفنها الناس ليخلو لهم الطريق (٣٨: ٣٩).

وقد وصف جوج فى هذه النبوءة بأنه رئيس «مسك» و«توبال» فكأن النبوءة قد صورت موقع «سى تهين» الجغرافى بهذا الوصف فمسك هى ما نسميه الآن

بموسكو. أما توبال فهى بلاد البحر الأسود المرتفعة.

ثم جاء فى النبوءة «إنى أطرد» وهذا ما وقع على أيدى الملك قورش، فإنه أقفل الطريق بسده على قبائل «سى تهين» (يأجوج ومأجوج)، فارتدت إلى ورائها. ثم قال إن جيش مأجوج كله يخرج، وكذلك يبرز جيش فارس، ويشترك معه القوط (غاله) أيضا، ويكون هلاك مأجوج فى «وادى المسافرين» وهذا هو عين ما وقع عندما هاجم دارايوش (ابن عم قورش الذى تولى الملك بعد وفاة كوشيا ابن قورش) بلاد أوروبا فقد خرجت لقتاله جميع قبائل «سى تهين» ولكنه تقدم إلى الدانوب بعد أن قتلهم شر تقتيل، وبقيت جثث المقتولين منهم تتعفن على ساحل البحر الأسود لمدة من الزمن.

ذكر كل هذا فى صحيفة حزقيال كنبوءة، إلا أن الباحثين العصريين، يرون أنه ألحق بها بعدما شهد العالم هجوم دارايوش وما تبعه من الأحداث. وقد ذهبت طائفة من شراح التوراة فى العصر الحالى إلى أن المقصود من مأجوج قبائل سى تهين (يراجع كتاب «ويسألونك عن ذى القرنين لمولانا أبو الكلام أزاد»).

ولنركز الآن عن المكان الذى أقام قورش فيه سده. ونبدأ القول بأنه من المعروف أنه توجد فى البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال القوقاز كأنها جدار طبيعى.

ولقد سد هذا الجدار الجبلى الطرق التى تصل الشمال بالجنوب، إلا طريقا واحدا بقى مفتوحا، وهو مضيق فى وسط سلسلة الجبال، يوصل بين الشمال والجنوب، ويسمى هذا المضيق فى أيامنا هذه بمضيق داريال، ويشار إلى موضعه فى الأطالس الحديثة بين ولادى كيوكز Vladi Koukas وطفليس، حيث يوجد إلى الآن جدار حديدى من الزمن القديم. ولا ريب أن هذا هو الجدار الذى بناه قورش إذ تنطبق عليه الأوصاف التى وصف بها القرآن سد ذى القرنين بذكر أنه

استخدمت فى بنائه زبر الحديد وأفرغ عليه النحاس بعد أن أذابه لتتصل مفاصله، فلا يبقى به خلل، وأنه بنى بين جدارين جبليين. وهذا ما يُرى فى مضيق داريال. جدارين جبليين شاهقين أقيم بينهما هذا السد الحديدى الذى أقفل باتصاله بالجدارين الطريق الذى كان مفتوحا بينهما.

ولا ريب أن للكتابات الأرمنية أهمية بالغة فى المسألة، لأنها بحكم قرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية، فقد سمى هذا السد أو الجدار الحديدى فى اللغة الأرمنية من الدهور السالفة بـ«بهاك غورائى» و«كابان غورائى» ولا يخفى أن «غور» جزء لاسم غوروش (قورش بالعربية وخوريس بالعبرية، وسائرس باليونانية) مما يؤكد أن قورش هو الذى بنى الجدار وإليه نسبوه من قديم الزمان. (ويراجع فى هذا كتاب «ويسألونك عن ذى القرنين لمولانا أبوالمكارم أزاد».

وهناك شهادة أخرى لا تقل فى أهميتها عن الأولى، وهى شهادة لغة بلاد جورجيا التى هى القوقاز بعينها، فقد سمى هذا المضيق باللغة الجورجية من قديم الزمان «الباب الحديدى» وترجمه الأتراك فى لغتهم «دامركيو» وهو معروف ومشهور إلى الآن عندهم.

(يراجع فى هذا كتاب كاظم بك باسم «دربند نامه» المترجم إلى الإنجليزية تحت اسم «تاريخ دربند» ص٢١). أما المؤرخون القدماء، فأول من ذكره منهم، هو الرحالة اليهودى الشهير يوسف الذى كان معاصرا للقرن الأول الميلادى.

ثم ذكره بعد أن عاينه بنفسه ووصفه تفصيلا المؤرخ الشهير بروكوبيس Procopius فى القرن السادس الميلادى، وذلك لأن القائد الرومانى بلى سباريس Bolisarius صحبه معه لما أغار على هذه الجهة فى سنة ٥٢٨م بروكوبيس على الأرض وما عليها.

ولقد سبق أن أشرنا إلى «تهرسائرس» الذى يؤكد دون ريب وصول قورش إلى هذه البقعة فهنالك فى القوقاز أنهار ينبع كلها من هذه الجبال. وقد سمى واحد منها بنهر سائرس أى نهر قورش (قورش بالعربية هو خوريس بالعبرية وسائرس باليونانية). وقد وثقت المصادر الأرمنية والجورجية هذا الاسم.

وذكره كذلك بعض السياح الأوروبيين من القرن السادس عشر، فهذا أنتونى جن كنسن Anthonie Jenkinson الذى أرسلته شركة تجارية فى لندن إلى إيران من طريق روسيا سنة ١٥٥٧. يذكر هذا النهر فى رحلته قائلا بأنه يسمى بنهر سائرس، هذا وقد يجدر الذكر هنا أيضا بأن جميع الخرائط التى وضعت لهذه الجهات فى القرن الثامن عشر ذكرت «نهر سائرس» هذا بصراحة تامة.

الفصل الثالث

حل مشكلة الخلط بين جدار ((مضيق داريال)) الحديدى وجدار دربند الحجرى

يوجد هنالك فى ذات البقعة عدا جدار «مضيق دارايل» الحديدى - الذى تحدثنا عنه - جدار آخر من الحجر وبوجوده تعقدت المسألة بعض التعقد. مما يلزم معالجتها.

فرذا نظرت فى الخريطة تجد على ساحل بحر الخزر الغربى بلدة، اشتهرت من العصر الساساني باسم «دربند» وسمتها العرب «باب الأبواب» وتقع فى نفس المكان الذى انتهت إليه سلسلة جبال القوقاز. واتصلت بساحل بحر الخزر. وقد وجد هنالك جدار حجرى من الزمن القديم، يبتدئ من ساحل البحر ويرتفع على منحدرات الجبل صاعدا رلى مرتفعاته، حتى يبلغ طوله نحو ثلاثين ميلا. وتفصيل ذلك أنك تجد قبل وصولك بلدة دربند جدارا يسد الطريق كله من الساحل إلى مرتفعات الجبل، فلا يمكنك الدخول فى البلدة إلا من باب فى الجدار نفسه، وكذلك إذا خرجت من البلدة، وجدت جدارا آخر مثل الأول يسد الطريق، إلا أن به كذلك بابا يمكنك من التقدم، ويمتد الجداران جنبا لجنب إلى مرتفعات الجبل، وينقص الفصل بينهما كلما تقدما، حتى يصبح عند الساحل بحوالى خمسمائة ياردة.

وفى هذا الفصل بينهما تقع البلدة، ثم ينقص الفصل بعد ميلين كذلك، فلا يجاوز مائة ياردة. وهنا تنتهى سلسلة الجدارين فيصيران جدارا واحدا. ويمتد هذا الجدار إلى ثمانية وعشرين ميلا، وينتهى على المرتفعات العالية من الجبل. وكانت قد اشتهرت سلسلة الجدارين عند الفرس باسم «دوبارة» والمكان الذى انتهت إليه هذه السلسلة أقيمت فيه قلعة.

وقد سدت هذه السلسلة جميع الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب سدا محكما، لأنها توغلت إلى داخل البحر، فسدت طريق الساحل كلية، ثم امتدت فوق الجبل إلى ثلاثين ميلا، فسدت سائر الطرق التى وجدت فى منحدرات الجبل سدا تاما، وليس

لأحد أن يخترق من الشمال إلى الجنوب إلا بطريق واحد وهو الطريق الذى يفتحه البابان فى سلسلة الجدار نفسه.

ومن الثابت أن هذا الجدار العظيم وجد قبل الإسلام، وسمى المكان فى العصر الساسانى «دربن» لوجود الجدار به، أى باب المملكة المقفل.

وقد ذكر الاصطخرى، والمسعودى، والمقدسى، وياقوت الحموى، والقزوينى وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين العرب هذا المكان باسم «دربند» قائلين إنه كان يعد أهم مكان فى العصر الساسانى. لأن المغيرين ما كانوا يستطيعون مهاجمة إيران الشمالية إلا من هذا الطريق فكان المكان مفتوحا للمملكة الإيرانية، يملكها من يملكه.

ذكر جغرافيو العرب هذا المكان باسم «دربند» إلا أنه كان اشتهر باسم «باب الأبواب» كذلك، وألف بعض الكتاب هذا الاسم، وقد ذكره ياقوت فى معجم البلدان بهذا الاسم.

ولما فتح العرب هذه الجهات فى القرن الأول من الهجرة، أدركوا أهمية هذا المكان، كالساسانيين فدعوه بـ«**باب الأبواب**»، وسماه البعض «**باب الخزر**» أو «**باب الترك**» لأنه كان الطريق لغارات هذه الشعوب والاسم ترجمة حرفية لاسمه الرومى كاسبين بوتا أى باب الخزر.

فمن الذى بنى ((جدار دربند)) هذا؟

لما كان الكثير من مفسرينا يجهلون سد مضيق داريال، وكان هذا الجدار (جدار دربند) أمام أعينهم، جزم بعضهم بدون ترو بأنه هو سد ذى القرنين، كما فعل البيضاوى والرازى وغيرهما كذلك، وكان حريا بهم أن يروا إذا ما كان ينطبق على هذا الجدار وصف من أوصاف سد ذى القرنين. ولما كان الأمر ليس كذلك، فلا يجوز

أن يقال إنه السد المذكور فى القرآن الكريم.

فقد جاء فى القرآن الكريم أن ذا القرنين وصل إلى مكان، قام على جانبيه جداران جبليان. فهل يوجد فى دربند جداران جبليان؟ والجواب هو لا.

فلقد جاء فى القرآن أن ذا القرنين بنى سده بين جدارين جبليين، ليسد به الطريق بينهما، ونجد هنا فى دربند جدارا ممتدا إلى ثلاثين ميلا، **ثم إن هذا الجدار لا يسد ممرا جبليا، بل يصعد من ساحل بحر الخزر إلى مرتفعات الجبل.**

ولكن لما وجد جدار مضيق داريال أو سده وجدار دربند فى بقعة واحدة من الأرض، لا يفصل بينهما إلا مسافة قليلة، اختلط الأمر على الناس. ومما يثير الدهشة والعجب أن بعض المؤرخين العصريين وقعوا فريسة لهذا الخلط. ومن أشكال هذا الخلط:

نسبة الجدار إلى الإسكندر والإشكال التاريخى:

ذهب مؤرخو العرب بناء على الروايات الساسانية إلى أن الذى بنى جدار دربند هو أنو شروان فقد ذكر المسعودى والحموى تفاصيل البناء، ونقل عنهما المؤرخون الذين جاءوا بعدهما، ولكن يوجد هنا إشكال وهو أن المؤرخ اليهودى الشهير يوسف الذى كان موجودا فى القرن الأول الميلادى وبروكوبيس procopius الذى وجد فى القرن السادس الميلادى، قد ذكر جدارا فى هذه الجهة كما أشرنا إليه آنفا، غير أنهما يقولان كذلك أن الذى بناه هو الإسكندر المقدونى، فى حين أن أحداث الفتح الإسكندرى المقدونى معروفة وليست بخافية على التاريخ، فلم يرو قط أن الإسكندر قدم رلى هذه الجهة أو بنى جدارا بها.

وعلاوة على ذلك أنه من المعلوم والثابت أن مثل هذه الحصون والمعاقل لا تشيد إلا إذا دعت إليها الضرورة الملحة خاصة الدواعى الدفاعية، ومن المعلوم كذلك أن

الإسكندر لم تصادفه داعية كهذه فى سائر حروبه. صحيح أن هذه البقعة كانت تابعة للإمبراطورية الإيرانية ولكن من المعلوم والثابت أن الإسكندر عندما هاجمها هاجمها من طريق الشام، وتوجه من إيران إلى بنجاب (الهند) ولما قفل راجعا من بنجاب، دهمه الموت فى بابل. فما هى الأسباب أو الظروف التى اضطرته - والحالة هذه - إلى تشييد مثل هذه المعاقل فى بلاد القوقاز؟ وإن كان شيدها فمتى كان ذلك؟ ولماذا أغفل جميع مؤرخيه ذكر حادث هام كهذا الحادث؟

ثم هنالك أشكال آخر هو إن كان جدار دربند بناه أنو شروان فكيف يكون ذلك؟

يقول العلامة الشهير أبو الكلام أزاد: لقد أجمع المؤرخون على أن عصر أنو شروان كان من سنة ٥٣١ م إلى سنة ٥٧٩م، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون بنى شيئا قبل هذا الزمن، ولكن يوسف يذكر الجدار فى القرن الأول الميلادى وبروكوبيس يشهد بوجوده فى سنة ٥٢٨م. فعُلم من هذا أن أنو شروان لم يبن هذا الجدار. وقد زار هذه الجهة المؤرخ الأمريكى العصرى جيكسن فى سنة ١٩٠٤م فضعف رواية يوسف فى رحلته واقترح من عنده قائلا: لم يشيد الإسكندر هذه المعاقل، ولكن بناها بعض قواده، ثم أنهم ربما زادوا فيها فى العصر الساسانى!

وهذا كلام مردود، يرفض على نفس الأساس الذى رفض عليه قول القائلين بأن الإسكندر بناها وذلك لأنه إن كان شيدها بعض قواد الإسكندر، فمن كان هو؟ ولماذا شيدها؟ ولماذا أهمل مؤرخو ذلك العصر ذكر هذا الأمر الهام؟ لقد وجدت رواية - مهما كانت واهية - فى شأن الإسكندر، ولم يوجد شىء مثل ذلك فى شأن قواده أبدا.

ونشأ هذا التعقد كله لأن الناس لم يميزوا بين جدار مضيق داريال وجدار دربند، فاختلط الأمر عليهم. لقد كان مفتاح المعضلة فى القول بأن الذى بنى الجدار الأول

الحديدى - جدار مضيق داريال - هو خورس (قورش)، ولكن الناس لم يفعلوا ذلك، فأخذوا ينظرون تارة إلى الإسكندر وقواده وتارة أخرى إلى أنو شروان. وكان جدير بهم أن ينظروا إلى خورس (قورش) الذى هو يقينا صاحب جدار «مضيق داريال» الحديدى لا غيره.

وحل هذه المشكلة يكمن فى أنه يوجد فى البقعة جداران، وليس من الضرورى أنهما بنيا فى زمن واحد، فأول ما ينبغى لنا أن نفعله، هو أن نقر رأى جدار ذكره المؤرخان يوسف وبروكوبيس أهو جدار دربند؟ فإن كان هو جدار دربند، فلا يمكن أن يكون بناه أنو شروان.

فإذا نظرنا إلى الشواهد التاريخية من هذه الوجهة، يتجلى لنا أن يوسف وبروكوبيس لا يقصدان بما ذكراه، جدار دربند، بل إنما يريدان به جدار مضيق داريال الذى بناه خورس (قورش) فى القرن الرابع قبل الميلاد، أى قبل المؤرخ اليهودى يوسف بنحو خمسمائة سنة، وقبل بروكوبيس بألف سنة، الزمن الذى لم يكن لجدار دربند فيه أثر ولا خبر، أما الجدار الذى ذكره المؤرخون بعد عصر يوسف وأيضا عصر بروكوبيس، وهو الذى سمى بجدار بحر الخزر فهو بلا ريب جدار دربند، لأن جدار مضيق داريال، لا يمكن أن يطلق عليه اسم جدار الخزر بحال.

لقد ارتفع الإشكال الآن بدفع هذه الشبهة الطفيفة التى تتعلق بكون أنو شروان هو الذى بنى جدار دربند، ولم تبق حاجة لتضعيف ما قاله مؤرخو العرب الذين كتبوا ما كتبوا مستندين إلى روايات العصر الساسانى. وقد أطنبوا فى ذكر تفاصيل البناء فذكروا مثلا كيف وضع أساس الجدار فى داخل البحر، وما هى الوسائل التى لجأ إليها البناءون، لذلك ليس لنا أن نرتاب فى صحة ما ذكروه والأقرب إلى الصواب أن أنو شروان هو الذى بنى جدار دربند، وأن هذا الجدار ما كان يمكن أن يوجد فى

عصر بروكوبيس الذى زار المكان قبل أنو شروان بثلاث سنوات.

ولك أن تقول، إن كان الأمر كما ذكر، فلماذا نسب يوسف وبروكوبيس جدار مضيق داريال إلى الإسكندر رغم أن هذا السد من الثابت أنه بنى فى القرن الرابع قبل الميلاد وقبل ظهور الإسكندر بكثير؟ والجواب هو أنهما إما خدعا بالشهرة العامة أو وقعا فريسة للشهرة التاريخية - «كتاب ذى القرنين للعلامة الشهير مولانا أبو الكلام أزاد».

ويجدر الذكر هنا أن أغلب الباحثين والمؤرخين والمستشرقين قد أيد رأى العلامة مولانا أبو الكلام أزاد هذا الذى أزال شبهات كثيرة حول الخلط بين جدار (سد) مضيق داريال الحديدى الذى بناه الملك قورش (ذو القرنين) وجدار دربند الحجرى. والذى استفدنا منه - دون ريب - كثيرا.

وأن الخطأ التاريخى الكبير الذى وقع فيه المؤرخ اليهودى يوسف (يوسيفوس) وأيضا المؤرخ بروكوبيس بنسبة بناء جدار مضيق داريال الحديدى إلى الإسكندر كان بسبب إما انخداعهما بالشهرة العامة الطاغية للإسكندر وما راج حوله من أساطير أو وقوعهما فريسة للشبهة التاريخية.. ولا جدال فى أن هناك أساطير كثيرة راجت فى عامة الناس حول الإسكندر الأكبر بعد فتوحه فاعتادوا أن ينسبوا إليه الأعمال العجيبة والأمور الخارقة للعادة - وقد تسربت هذه الأساطير للأسف إلى الكتب التى ألفت فى سيرة الإسكندر وغزواته، ولما ترجمت هذه الكتب إلى العربية راجت هذه الأساطير بين المسلمين كذلك، فالنظامى لما ألف منظومته «سكندر نامه» استخدم هذه المادة، وجعل من التاريخ قصة ممتعة، فيغلب على الظن أن أسطورة كانت اشتهرت فى شأن مضيق داريال الحديدى كذلك، فنقلها المؤرخ يوسف وحذا حذوه بروكوبيس، ولذلك نجد المؤرخين غيرهما يذكرون معاقل هذه الجهة ولكن لا ينسبونها إلى الإسكندر، فهذا تسيتس Tacitys وليدس Lydus يقولان بأن

الرومان يسمون المكان بباب الخزر، دون أن يزعما أن الجدار أو المعاقل شيدت فى عصر الإسكندر.

ثم أن بعض المؤرخين وقعوا فى خطأ عظيم بشأن جبال القوقاز ذكره استرابو فى جغرافيته، **ونعني بذلك أنهم توهموا أن الجبال الواقعة في شرق بحر الخزر بأنها جبال القوقاز، فنسبوا إلي تلك جميع خصائص هذه الجغرافية.**

ولا ريب أن الإسكندر مر بتلك الجبال فى طريقه إلى الهند وأقام بها مرة. ولا يستبعد أن يوسف - بناء على هذا الوهم - ظن أن الإسكندر قدم إلى بلاد القوقاز أيضا، فبنى هذا الجدار بأمره وقد أصاب المؤرخ الأمريكى جيكسن فى قوله:

«ربما كان هذا الوهم هو أساس الرواية القائلة بأن الإسكندر شيد الجدار».

وعلاوة على ما قدمناه من تفصيلات موثقة قد أزالت الإشكالين معا، فإننا نرى من استقراء التاريخ أمرا واضحا جليا وهو أن الإسكندر ما كان يهمه على الإطلاق أمر حدود إيران الشمالية والدفاع عنها فى عصره، أما أنو شروان فكان تشييد جدار دربند يمثل أهمية قصوى فى عصره مما اضطره لبنائه.

لقد كان أكبر خطر على آسيا الغربية فى عصر الملك قورش يأتى من جهة قبائل سى تهين (يأجوج ومأجوج) البربرية وكان طريق غاراتهم من مضيق داريال فقام قورش (ذو القرنين) ببناء سد مضيق داريال الحديدى (والموجود حتى الآن شاهدا على ذلك) صدا للمعتدين وتأمينا للخائفين فى عصره وإلى الأبد (كما أسلفنا آنفا).

ولكن الوضع الجغرافى فى تغير بعد ألف عام، فلم يبق خطر من قبل «سى تهين» كما قدمنا ولكن حلت محله أخطار أخرى، كان أكبرها من جهة الإمبراطورية الرومانية الشرقية فى بيزنطية التى كانت خصما للإمبراطورية الفارسية، وتحاول القضاء عليها.

فلم تكتف بطرق اسيا الصغرى المطروقة فى حروبها بل كانت تطرق هذا الطريق كذلك. ثم كانت القبائل التركية فى سهول بحيرة يورال وبحر الخزر التى انتشرت جماهيريا فى الشمال، وكانت هى تهاجم الجهات الشمالية من الإمبراطورية الفارسية، فكان لزاما أن يتم تحصين هذا المكان باهتمام كبير، وعلى ذلك شيد أنو شروان جدار دربند، فسد به هذا الطريق فى وجه المهاجمين.

الباب الرابع

الدجال ويأجوج ومأجوج

فى النظام العالمى الجديد

لا ريب فى أن ثمة الكثير من الحقائق التاريخية التى يمكن أن تتجلى لنا حول شخصية ذى القرنين (الملك قورش) وقبائل وتاريخ يأجوج ومأجوج الذين ورد ذكرهم فى القرآن المجيد والتوراة.

ولقد قدمنا - على قدر الاستطاعة - فى الأبواب السابقة البحث المتعلق بهم محاولين أن نوفيه حقه مع تجنب التوسع أو الإطالة فيه على قدر الإمكان إذ كان القصد هو بيان هويتهم فى الزمن الماضى وحقيقتهم فى زمننا الحاضر والتى تستدعى وجود شخصية (أو شخصيات) تماثل ذى القرنين يمكنها الله عز وجل مع اجتهادها فى الأسباب من صد المعتدين وتأمين الخائفين.

ولقد قدمنا من قبل أن هذه الأقوام (قبائل سى تهين أو يأجوج ومأجوج) عندما لم تتمكن من التغلغل من الشمال جنوبا لغزو واحتلال أرضا من بلاد فارس التى كانت تطمع بخيراتها بسبب إقامة سد ذى القرنين الحديدى والمنيع فى وجهها، توجهت الأكثرية الغالبة منها زاحفة باتجاه أوروبا وبعضها إلى البلاد الواقعة على ساحل البحر الأسود فغزتها جميعا واستوطنتها، ثم عندما ظهرت المسيحية فيها دخلت فى المسيحية مع من دخلوا وهى تشكل اليوم الشعوب المسيحية الأوروبية وشعوب قارة أمريكا الشمالية وبصفة خاصة الولايات المتحدة إذ أن من المعروف أن أغلب شعبها - وأيضا الشعب الكندى - ينتميان إلى أصول أوروبية.

وبذلك تتوحد فى عصرنا هذا تماما هوية المسيح الدجال مع يأجوج ومأجوج. وما يجرى فى العالم الآن من فوضى وفتن وتجاوزات بربرية لحقوق الإنسان وحروب أهلية وتخريب وتدمير لدول وشعوب بأسرها ما هو إلا نتاج هذا التوحد.. مما يلزم بالضرورة القصوى وجود شخصية (أو شخصيات) تماثل ذى القرنين تقود المستضعفين فى الأرض، تؤمن بالله ووحدانيته الأحدية وتعاليمه وشريعته، تتحرى

العدل والإحسان، وتأخذ الناس بعزائم الأمور وتقيم السدود والموانع بمناهج علمية مدروسة صد كل معتدى وإطعام كل جائع وتأمين كل خائف.

وقد تجدر الملاحظة إذا ما أخذنا بالحسبان الإشارات اللغوية والبيانية فى النبوءات المتعلقة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج، فإننا نجد أن لفظة المسيح الدجال تشير إلى الكهنوت المحرف للرسالات والأديان التى سبقت تاريخيا البعثة المحمدية ورسالتها الإسلامية العظيمة الإعجازية بما جاء فى القرآن المجيد وسنة رسول الله للإنسانية جمعاء ورحمته للعالمين.

فلقد تم تحريف دعوة المسيح عليه السلام بالزعم أن الله قد اتخذ ولدا، وسبحان من أنزل هذا الكلام.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾[الكهف: ١-٥].

رغم أن المسيح عليه السلام قد أمرهم بالتوحيد وعبادة الإله الواحد الأحد، حيث نقرأ تعليمه التوحيدى لأتباعه فى الأناجيل حتى اليوم حيث جاء فى إنجيل متى ٤:١٠. **«للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»**.

ويعرف العالمون بالكتاب المقدس أن المسيح عليه السلام قد عمل بهذا التعليم التوحيدى على تأكيد تعليم الله لموسى فى الكتاب المقدس «سفر الخروج: الإصحاح ٢٠ العدد ٣:٥.

«لا يكن لك ألهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن

ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك غيور».

وعندما سئل المسيح عن الوصية الأولى العظمى أكد أيضا على الوصية العظمى للكتاب المقدس فى شريعة موسى فقال طبقا لما جاء فى إنجيل مرقس ١٢-٣٠ وإنجيل متى ٢٢-٣٨.

«تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هى الوصية الأولى العظمى».

وأما هذه الوصية التى أكد عليها المسيح فهى ذاتها الوصية الأولى فى الكتاب المقدس حيث نقرأ: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل قوتك» سفر التثنية ٦-٥، ٤.

ونقرأ وصية المسيح لتلاميذه بأن لا يدعوا مع الله أحدا، فى إنجيل متى ٢٣- ٨، ٩.(لا تدعو لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد فى السماوات).

كما أن المسيح قد ذكر الله عز وجل بقوله: (إلهى وإلهكم) يوحنا: ٢- ١٧.

ويشهد الإنجيل أن المسيح كان دائما يعبد الله وحده ويدعو الله وحده - كما أنه أكد على كونه رسولا من عند الله جاء ليدعو قومه ويعرفهم على الإله الواحد، وأنه هو المسيح المرسل من عنده، حيث نقرأ فى إنجيل يوحنا نداءه لربه رافعا عينيه ويديه إلى السماء وهو يقول:

(وهذه هى الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) يوحنا: ١٧ -٣.

ويرى الكثيرون من العلماء والمفكرين والباحثين وأيضا بعض المستشرقين المنصفين أن الأناجيل نفسها تثبت أن المسيح عليه السلام لم يعبد طوال حياته أو أداء رسالته

العظيمة أحدا سوى الله وحده، كما أنه لم يأمر أحدا بعبادته أو عبادة أمه. ومن كان عنده برهان على عكس هذه الحقيقة القائمة فليأت به.

وأما يأجوج ومأجوج فإن نسلهم وذرياتهم يشكلون القوة الحربية العسكرية لأمم الدجال (الأمم الدجالة) التى تتميز بالسرعة والقدرة الهائلة على إشعال أوار الحرب والفتن وتأجيج المدن والقرى وساكنيها بالنار التى تنتشر فى الأرض بكثرة وسرعة مذهلة على حدب موج البحار مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

إذ جاء فى معاجم اللغة العربية أن الحدب اسم من أسماء الموج. وبما أن القمة هى حدب أيضا فإن فى ذلك نبوءة تشير إلى أن هذه الأمم (أوروبا وأمريكا) ستعتلى قمة كل شىء فتتربع على قمم التقدم والقوة فى مختلف مجالات الحياة اقتصاديا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا وغير ذلك من النشاطات البشرية وهذا هو ما نراه اليوم بكل وضوح حيث تجسد دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة ذلك التفوق.

وهكذا يتأكد لنا مؤشرات النبوءات فى أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب الله المجيد ترسم لنا ببيان واضح مبين وبإعجاز مفحم صورة ومواصفات العصر الذى نعيشه، وبدقة مذهلة.

الفصل الأول

أثر الدجال فى النظام العالمى

منذ مطلع القرن السابع عشر ومع ظهور السلطة البريطانية فى الشرق حيث أرست أول قواعدها فى الهند عام ١٦١١م من خلال شركة تجارية بريطانية وامتداد نشاطها التجارى فى خليج البنغال ابتدأ خروج الدجال فى العالم.

وردعن رسول الله ﷺ أن الدجال يخرج من قبل المشرق «مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجة عن أبى بكر ﷺ- وهو حديث صحيح حققه الألبانى وأخرجه السيوطى».

وهذا التاريخ (١٦١١م) يقارب الألف سنة بعد بدء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الإسلام عام ٦١١م. ويكمن سر قوة بريطانيا التى نشأت فى القرون التالية فى نجاحها بإنشاء مراكز لها متعددة فى الشرق. وأما الشعوب الأوروبية الأخرى فمن المتعارف عليه أنها قد تبعت بريطانيا فى يقظتها ونهضتها.

ويتميز الإنجليز والأوروبيون عموما ببراعتهم - وكما هو معروف - فى معاملاتهم وعلاقاتهم الاقتصادية والتجارية إذ يخططون لها على أسس منهجية وعلمية مدروسة بحيث تنتهى دائما لصالحهم ولو بأساليب غير شرعية وهكذا بدؤوا يستعمرون البلاد ويستعبدون العباد.

وكان التبشير المسيحى الصليبى يرافق دوما توسعهم الاستعمارى واستثماراتهم التجارية التى واكبت أيضا نهضتهم الصناعية العملاقة.

ومن الواقع المعروف أن أغلب شعوب أوروبا وحكامها يؤيدون المسيحية في كل مكان دعما لأغراضهم السياسية، ويشيعون أفكارهم واستراتيجياتهم وثقافاتهم ودعاياتهم وإعلامهم على أسس أفكار وعقائد المسيحية حتى المتشدد أو المتطرف منها.. مع عدم افساح المجال لأفكار ومعتقدات أخرى أن تأخذ دورها فى دولهم أو دول العالم أو أن تؤثر عليهم أو على معتنقى المسيحية الممتزجة بالماسونية الصهيونية هذا بالرغم من اضطرارهم إلى الاعتراف رياءا بحرية

الدين والمعتقد والتبشير المصطنع بها فى دساتيرهم. الأمر الذى يخدم أهدافهم اللاشرعية بإبرازهم كأمم حضارية تحترم حقوق الإنسان فى حرية المعتقد وذم التعصب والعنصرية الدينية.

ورغم أن هذه الشعوب بقيت منعزلة عن العالم مدة طويلة من الزمان فى عصور انحطاطها، إلا أنه كان مقدرا لها أن تنهض من جديد وتتربع على قمم العلوم وأن تمتلك ناصية القوى كلها، وأن تسيطر على ثروات وخيرات الأمم والشعوب بشكل أو بآخر تحت شعارات أخلاقية مزيفة تغرر بهذه الشعوب وتوقعهم فى مجادلات وسفسطائيات لا طائل من ورائها حتى لا يستطيع أحد أن يفلت من هيمنتها.

وتبين لفظة يأجوج ومأجوج كمصطلح لقوى الشر حقيقة أن هذه الأمم المختلطة والممزوجة مسيحيتها بالماسونية الصهيونية (يراجع فى ذلك كتابنا عن «الماسونية الصهيونية وتنظيماتها السرية فى العالم) تمتلك نواصى الانتقال بسرعات فائقة مذهلة والعمل المتقن والإنجازات السريعة والتمكن من اختراع وسائل وأدوات السيطرة على النار والطاقة، والتميز والتفنن فى اشعال نار الحروب بعد إثارة الفتن بكافة أشكالها وأنواعها بين البلاد والعباد، لإمتلاك نواصى الغنى والقدرات والخيرات جميعا باعتبارها الدجال الذى يغطى الأرض بكثرة أهله وعلو نفيره واصطناع زمن أشد الفتن، والوصول إلى مرحلة من القوة بحيث لا يدان لأحد بقتالها مصداقا لقول الرسول ﷺ عن المولى عز وجل:

(إنى أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم) صحيح مسلم عن النواس ابن سمعان.

وقد عايش العالم لزمن طويل حروب طويلة أودت بحياة مئات الملايين من الأبرياء ودمرت دولا وبلداناعديدة مع هذه القوى سواء فيما بينها أو ضد من يخالفها ويعصى رغباتها وإراداتها.

ولا يعنى هذا بأى حال الخوف أو الركون إلى هذه القوى الغاشمة وعملائها، وبأى شكل كان بل لابد دائما من الوقوف فى وجه الظلم بالجهاد والدفاع عن الحق والسلام العادل عملا بقول الله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[هود: ١١٣].

ولكن الحقيقة هى الحقيقة والحق هو الحق. والمقصرون الفاشلون هم الذين لا يضعون الحق والحقيقة فى حساباتهم - فلقد أمرنا الله عز وجل أن نعد لأعدائنا وأعداء الله ما استطعنا من قوة : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الأنفال: ٦٠].

والمقصود برباط الخيل هنا اتحاد وتوحد قوى المسلمين المؤمنين ضد عدوهم وعدو الله والمعرفة من أهم أنواع القوى بل هى أهمها على الإطلاق لأنها هى السبيل إلى امتلاك جميع القوى ولم تك قوى الأمم الغربية فى جميع الميادين إلا من خلال تحصيلهم للمعرفة فى جميع ميادين العلوم والمكتشفات التى بلغوها بعد أن فقدها المسلمون والعرب الذين كانت مفاتيح جميع هذه القوى بين أيديهم يستثمرونها ويعلمونها لأهل الأرض جميعا، ويشهد التاريخ على ذلك، كما تشهد أيضا مؤلفات الكتاب والمستشرقين المعاصرين من أهل أمم الغرب أيضا (يراجع فى ذلك كتاب «شمس العرب تسطع فى الغرب» للمستشرق زيجريد هونكا).

وهكذا فلا ريب فى أن حقيقة المسيح الدجال تكمن فى قوة الأمم والشعوب المسيحية الغربية التى امتزجت مسيحيتها بالماسونية الصهيونية - بعيدا عن المسيحية الحقة - وامتلاكها القدرات المادية بأشكالها ومجالاتها المختلفة الاقتصادية والسياسية

والعسكرية وغيرها، وترويجها لعقيدة أن الله اتخذ ولدا والعمل على نشرها خروجا عن تعاليم المسيح عليه السلام التى رسخ فيها عقيدة التوحيد كما تقدم ذكره.

ولا ريب أن اليهود الذين ادعوا أيضا بأن عزير ابن الله وأسسوا للماسونية الصهيونية وتنظيماتها السرية فى العالم كانوا بمثابة عقل هذا المسيح الدجال المدبر لمكائده واستبداده وهيمنته بغية استيلائهم على فلسطين وإقامة دولتهم «إسرائيل» على حساب دماء ومال شعب مسلم ومسالم فى أرضه (فلسطين) ثم إثارة الحروب والفتن فى الدول العربية والإسلامية المحيطة بهم لإضعافها وتقسيمها (الفوضى الخلاقة) بغية إقامة هيكلهم المزعوم على أنقاض الأقصى وإعلاء الأمة اليهودية فوق جميع الأمم زاعمين بأن ذلك يعجل بمجيء المسيح المنتظر (المسيا المنتظر) الذى ينتظره أيضا المسيحيون وإن كانوا يختلفون على ماهيته.

ولقد تنبأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأن اليهود ومن يساندونهم من المشركين سيكونون فى غرب نهر الأردن (إسرائيل الآن) ويستعدون لقتال العرب والمسلمين فقد قال ﷺ:

(لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربية) الطبرانى.

ومن المعلوم المتعارف عليه أن معظم الشركات متعددة الجنسية والبنوك والمؤسسات المالية والاقتصادية والإعلامية العالمية تتمركز فى أيدى اليهود يحركون بها الأمم المسيحية - التى اختلطت مسيحيتها كما قدمنا بالماسونية الصهيونية - وغيرها ويسيطرون عليها، ويوجهونها الوجهة التى يشاؤون لتنفيذ مآربهم.

ولقد تنبأ الصادق الأمين ﷺ عن خروج الدجال فقال بأنه سيخرج من خلة بين الشام والعراق، وهذه الخلة هى إسرائيل (رأس الدجال) كما يتضح جغرافيا فى خارطة

ما قبل تقسيم الوطن العربى - ولا جدال فى أن إسرائيل تمثل الخلل فى عالمنا العربى والإسلامى، ولذا فقد نبهنا رسولناﷺ بأن الدجال يهودى ويتبعه اليهود المقاتلون الذين وجوههم كأنها المجان المطرقة (وقد يجدر الذكر هنا أن وجوه المحاربين عندما يلبسون الأقنعة الواقية من الغازات تكون تماما كالمجان المطرقة) كما تنبأ بأنهم سيكونون فى آخر أمرهم فى فلسطين شرقى نهر الأردن، وأن دمارهم ونهايتهم ستكون فيها.

يضاف مع ما تقدم حقيقة أن الأمم المسيحية الغربية فى حضارتها المادية الهائلة الساحقة تشكل البروز الهائل للمسيح الأعور الدجال الذى لا يرى إلا بالعين المادية القوية فى حين أن عينه الروحية الإيمانية عمياء مظلمة لا نور فيها ولا حياة.

ومن المعروف المعلن أن أرباب هذه الحضارة الساحقة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية قد أسسوا من خلال قوتهم المادية وهيمنتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية ما يسمى بالنظام العالمى الجديد الذى يعمدون من خلاله إلى أن يكونوا أرباب العالم ويتربعون على عرش زعامته فى حين تتبعهم شعوب الأرض فتكون لهم بمثابة التابع الأمين والبقرة الحلوب والخادم المطيع. فهم يستطيعون أن يغرقوا بالخيرات أولئك الذين يقبلون دعوتهم ويمشون فى ركابهم وينفذون تعاليمهم وأوامرهم. وفى ذات الوقت يحاصرون من يغضبهم ويخالف أوامرهم فيتركونه فى فاقة وشح وفقر وبؤس وجوع، وهذا هو ما وصفه بالضبط الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه عن الدجال :(فيأتى على القوم فيدعوهم ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درّا وأشبعه ضروا وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم)، «صحيح مسلم - عن النواس بن سمعان».

وهكذا فالدجال الذى يأمر الأرض فتخرج كنوزها وتتبعه كيعاسب النحل

(وكما شرحنا من قبل) فى إمكانه أيضا أن يغنى دولا بكل ما تحتاجه إذا ما تبعته ومشت ذليلة فى ركابه وسلكت مسالكه وعملت بأفكاره، كما يستطيع أن يفقر دولا أخرى، ويجعلها مملحة بائسة محروقة بحصاره وناره.

هذا للأسف هو واقع الأمر اليوم الذى يدركه ويعرف حقائقه المفكرون والسياسيون والمثقفون جميعا، وقد أبدوا - وخاصة المنصفين منهم - فى آرائهم الكثير عن هذا النظام العالمى الجديد الذى يفرض الفقر والبؤس والموت على أمم كثيرة، ويحتكر القوى والخيرات جميعا لنفسه ولمنظومته من الأمم والدول التى تسير فى ركابه، حيث نقرأ فى مقدمة كتاب المؤلف الفرنسى الشهير «روجيه جارودى»، **«الأصوليات المعاصرة وأسبابها** مما يؤكد على هيمنة الغرب باعتباره أساس الأصوليات المهلكة كلها والمسؤول عن سياسة الهيمنة من خلال القهر والتجويع. ويؤكد على أننا نجد فى الغرب أم الأصوليات كلها، ومنها الأصولية الصهيونية..

وقد يجدر أيضا هنا ذكر ما يقوله ناشر الكتاب فى استهلاله:

«يرى جارودى فى بحثه هذا المطروح فى آفاق إنسانية لعام ٢٠٠٠م وما بعده أن مذهب التفوق العلمى أو العلموية المبنية على فلسفة (أوجست كانت) الوضعية هو الذى دفع الغرب، رغم ثوراته الصناعية والسياسية ومطامحه الديمقراطية إلى تعيين نفسه مسوولا عن استعمار العالم بأسره سواء بحجة تمدينه واكتشافه واستثمار موارده أم بحجة التعرف إليه. وفى كل حال بات الغرب العلموى والمنتج لأصوليات بعضها دينى معاصر كالأصولية الفاتيكانية، وبعضها سياسى ملتو، كالرأسمالية المتوحشة التى تقتل سنويا ٥٠ مليونا من البشر جوعا فى العوالم الثالثة، أى أنها تقصف شعوب الجنوب العالمى بقنبلة نووية يوميا، وهى قنبلة التجويع».

ويؤكد أيضا المفكر الفرنسى الشهير جارودى فى كتابه الرائع «حفارو القبور»

(والذى أحدث ضجة كبيرة انعكس صداها على المفكرين والمثقفين فى العالم) على حقيقة هيمنة الغرب الاستعمارية وسيطرته على دول العالم المستضعف بالتجويع فيقول:

«.. إن النظام العالمى الذى خلفه الاستعمار الذى يتحكم بفضله خمس سكان الأرض بـ٨٠٪ من مواردها يؤدى كل سنة إلى وفاة ٦٠ مليون كائن بشرى من المجاعة أو سوء التغذية.

ويكلف هذا النظام الدولى - أى النظام العالمى الجديد - لما لم الجنوب ما يشبه مأساة هيروشيما، ولكن - يوميا - وبدلا من القتل بالذرة القتل بالتجويع.

ويقول:

«.. ولا يهدف إتمام المشروع الاستعمارى إلى ارجاع دولة من دول العالم الثالث إلى الحقبة ما قبل الصناعية فحسب، بل إلى جعل هذا السحق مثالا على السيادة الغربية بقيادة أمريكية -ص٦ المرجع السابق».

هذا هو إذن المسيح الأعور الدجال ادعى الصلاح والإصلاح فى بادئ أمره، فأرسل المبشرين على متن السفن البخارية لينقذ أروح زنوج إفريقيا وسكان آسيا واستراليا والهنود الحمر فى قارتى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية فى حين كان وما يزال يستعبد أجسادهم ويسرق خيراتهم وكنوزهم، ويقتلهم فقرا وبؤسا وجوعا، ثم يحتل أراضيهم بقوة السلاح وينصب نفسه راعيا وربا لهم ومالكا لجميع مقدراتهم وخيراتهم وقواهم، يتصرف بها كيف يشاء ويمن عليهم بفتاتها وهو ذاته الأعور الدجال الذى دمر وخرب بفتنته فى الحربين العالميتين وغيرها من الحروب شعوبا ودولا كثيرة بناره المتأججة، وأمطرهم من السماء والأرض بوابل قنابله وصواريخه وجحيم اختراعاته مستخدما فى ذلك شعوب وثروات الدول التى احتلها كوقود لهذه الحروب فقتل الملايين والملايين من الأبرياء، ودمر البلاد والعباد، وقسم

الدول وبدل الخرائط وقام - من خلال هيمنته الاقتصادية والسياسية والعسكرية - بتنصيب نفسه حاكما أوحد يقضي بقوته وجبروته وأحكامه، ويعيث فى الأرض يمينا وشمالا ينشر الفتن كما يشاء (ومنها فتنة الفوضى الخلاقة فى الشرق الأوسط لإثارة الخصومات والنزاعات بين دولها والحروب الأهلية بين شعوبها بغية تقسيم المقسم وتجزئ المجزء بين دولها وشعوبها المحيطة بإسرائيل بغية تحقيق مآرب إسرائيل فى إعلاء الأمة اليهودية فوق جميع هذه الأمم وسيادتها عليها وتمكنها من بناء هيكلها فوق أنقاض المسجد الأقصى للتعجيل بمجىء المسيا المنتظر حسب عقيدتهم وعقيدة الأمم الصليبية وإن اختلفوا على ما هيته ورسالته») ويصرف بين الناس جنته وناره.

لذا وبهذا وصفت أحاديث الصادق الأمين ﷺ المسيح الأعور الدجال وشره وفتنه منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا، وهذا هو ما نشاهده اليوم حاضرا وماثلا أمام أعيننا فى زماننا ويشهده العالم كله.

ولكن بالرغم من تملك هذه الحضارة الغربية المادية الساحقة جميع القوى والقدرات التى تدعيها إلا أنها عوراء (كما وصفها الرسول ﷺ) لأنها لا تزيد عن كونها قدرات مادية بحتة أحادية العطاء. فهى تمنح أتباعها القوة المادية فقط، وتسلبهم القوة الروحية التى لا يمكن للنفس البشرية الاستغناء عنها أو أن تهنأ وتطمئن بدونها، لذا فإننا نجد أن حالة البؤس الاجتماعى وفقدان الطمأنينة والأمن والسلام تنخر فى عظام هذه المجتمعات الغربية المادية بشكل تسجل فيه أعلى نسب الجريمة بأشكالها المختلفة من قتل واغتصاب وسرقة واعتداء وهلاك بالمسكرات والمخدرات والانتحار والأوبئة الناتجة عن الانحرافات الخلقية والشذوذ وغيرها من المهلكات.

نعم.. تحدث كل هذه الموبقات والشرور والخطايا والآثام المهلكة فى مجتمعات أمم هذه الحضارة الغربية والمجتمعات الآخذة بأخذها بالرغم من تملكهم لجميع نواصى

التفرق والرفاهية والقوى المادية والاقتصادية والعسكرية الحربية، وهذا ما يبرهن على أنه بالرغم من ثرواتها وقدراتها المادية الهائلة إلا أنها أخفقت فى توفير الراحة والطمأنينة النفسية والروحية لشعوبها لأنها لا تمتلكها ولا هى قادرة على منحها، فهى مجرد حضارة قوة مادية عوراء ترى بعين واحدة، وتعطى من جانب واحد مما يخل بالتوازن المطمئن للإنسان، ذلك التوازن الذى يستحيل للإنسان أن يعيش بدونه هانئا مطمئنا مهما ملك من وسائل وأموال وثروات، ومن هنا فقد وصف المصطفى ﷺ الدجال المهيمن على هذه الحضارة المادية - والجاعل من نفسه ربا لها - بأنه أعور يعطى الناس عطاءً ناقصا أحادى الجانب يميد بالإنسان فيهلكه، فى أن الله عز وجل سبحانه وتعالى يمنح الخير والطمأنينة للعالمين ماديا وروحيا فقال الصادق الأمين فى حديثه عن الدجال:

(إنه أعور. وإن الله ليس بأعور) صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر.

أى لا تنخدعوا ولا تفتنوا بعطاء حضارة الدجال، لأنه عطاء مادى بحت أجوف لا يضمن لكم الأمن والسلام النفسى والروحى، ولا تنخدعوا بزعمه القدرة على المنح والمنع أى الربوبية فى الأرض، لأن ربكم الحقيقى القادر على كل شيء هو الله عز وجل الرزاق الكريم والعلى القدير هو الذى يملك فقط أن يمنحكم الرزق المادى بالإضافة إلى الطمأنينة والعافية النفسية والروحية. وغير ذلك من النعم التى لا تعد ولا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ والتى يستحيل للإنسان الحياة من دونها فى صحة وعافية وأمان وهناء وسلام.

ويؤكد هذا الوصف من رسول الله ﷺ أن العور هنا ما هو إلا رمز يقصد النقص والعيب فى الصفات والعطاء، إذ لا يعقل أن يتصور الرسول أن يصل المسلمون يوما إلى مرحلة يظنون فيها أن الله أعور، فحذرهم بسبب ذلك كى لا يظنوا أن الله (ربهم) أعور؟!

إذن لابد من الفهم الصحيح السليم للكشف عن شخصية الدجال الحقيقية وهذا يستلزم العلم الصحيح بحقيقته وحقيقة دعواه وفتنه، ولذلك فإن الرسول ﷺ قد بين أن مقارعة الدجال تستلزم الحجة الصحيحة للكشف عن كيانه وأخطاره وفتنه فقال:

(إن يظهر وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يظهر ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم) صحيح مسلم عن النواس بن سمعان.

وأعتقد أن الرسول ﷺ يعنى بقوله «وأنا فيكم فأنا حجيجه» أى أنه إذا كان العمل بسنته الصحيحة وتأويلها وفهمها بعد إمعان النظر وإعمال العقل بشكل صحيح لا يزالون قائمين فينا فإن هذا كاف للرد على حجج الدجال ودحضها.

وقد يلاحظ هنا أن الرسول ﷺ لم يقل فحاجوه أنتم أو اسألوا علماءكم، لأنه كان يعلم بوحى وإلهام المولى عز وجل أن المسلمين زمن الدجال يكونون فرقا متعددة لا يجمعهم جامع ولن يكون أغلب علمائهم على العلم والمعرفة الحقة بدورهم ورسالتهم كدعاة للإسلام بل يكون للأسف الكثيرون منهم شر من تحت أديم السماء مصداقا لحديثه الشريف :(يوشك أن يأتى زمان على الناس، لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه مساجدهم عامرة، وهى خراب من الهدى. علماؤهم شر من تحت أديم السماء، منهم تخرج الفتنة وفيهم تعود) مشكاة المصابيح - كتاب العلم.

ولقد بينا من قبل من الأحاديث أن الدجال يظهر فى خفة من الدين وإدبار من العلم أساسا وأنه لا يخرج حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى يترك الأئمة ذكره على المنابر.

لذا أكد الرسول ﷺ على أن الحجة لدحض دعوة الأعور الدجال إنما تستلزم إمعان النظر وإعمال العقل والفكر مليا فقال:

(إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتفقهوه وتعوه فاعملوا عليه، وحدثوا به

من خلفكم، وليحدث الآخر الآخر، فإنه أشد الفتن) رواه نعيم والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود.

وقد تتبادر إلى الذهن وتخطر بإلحاح على البال ثمة أسئلة وتساؤلات أهمها:

إلى متى يظل هذا الدجال الأعور مهيمنا على الأمم والشعوب المستضعفة بمؤامراته ومكائده وفتنه لاستنزاف ثرواتها ولتحقيق مآربه اللاشرعية واللاأخلاقية؟ وهل سينتهى؟ وما النهاية التى سيؤول إليها؟

ولا ريب فى أن الإجابة على ذلك قد تفيد من يعملون عقولهم خاصة القادة السياسيين الشرفاء منهم وغيرهم من المخلصين الحريصين على أمن وأمان أممهم وبلادهم ومواطنيهم، لذا فإنه لابد لنا من إبدا الرأى فيما سيؤول إليه مصير هذا الأعور الدجال بعد أن تعرضنا - قدر الاستطاعة - لفتنه وشروره.

الفصل الثانى

مصير الدجال

لقد أصبح من اليسير علينا أن نفهم ونعى تماما ما كان يقصده الصادق الأمين ﷺ ويعنيه من نبوءته عن الدجال التى تعلمنا فيها بأنه ما من نبى إلا وأنذره أمته أنذره نوح عليه السلام أمته والنبيون من بعده (سبق ذكر الحديث وتخريجه) **لأن الدجال فى حقيقة أمره هو الطغيان بأشكاله المختلفة والذى يموه على الناس ويلبس عليهم الحقائق والحق بالباطل كتمانا للحق ويعيث فى الأرض فسادا وإفسادا.**

وسبحان من أنزل هذا الكلام: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

فالطغيان دائما ما يفرز الفساد والإفساد ويقترن بهما ويولد القهر والاستبداد والانحلال ويتناقض مع الإيمان الحق ومراد الله عز وجل من عباده مصداقا لقوله تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: ٥٦].

ولا ريب أن ظاهرة الدجل والتمويه والطغيان المقترنين بالفساد والإفساد والقهروالانحلال قد وجدت بدرجات متفاوتة فى كل زمان عاش فيه الناس والنبيون. ولكن الظهور الأكبر لها كان مقدرا أن يكون فى زمن أمة محمد ﷺ لأنها بالرسالة العالمية التى آمنت بها على يد محمد خاتم النبيين ﷺ مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٨﴾ ﴾[سبا: ٢٨]- ينبغى أن تكون مالكة لأصول الحقائق والبيانات التى من شأنها أن تكشف دجل كل شيطان يعمد إلى تمويه وتلبيس الحقائق والحق بالباطل على الناس للكفر بآيات الله التى تؤكد بالبرهان الساطع على وحدانيته وأحديته، لذا نبهنا الرسول ﷺ بقوله :«.. وإنه يخرج فيكم» وقال عنه «إنه أشد الفتن» لأنه سيكون فى مقابل أعظم الهدايات السماوية للعالمين

جنا وإنسانا منذ خلق آدم وحتى قيام الساعة مصداقا لقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء: ١٠٧].

ولا ريب فى أن ثمة الكثير من الحقائق التى لا بد أن تُعرف ويكشف المزيد والمزيد منها فى شأن الدجال وفتنه، ولا شك فى أن الكثيرين من الكتاب والمفكرين المنصفين سيكتبون المزيد عنه ويعلنون بصراحة ووضوح عن هذا الكيان الشيطانى الخطير المهلك إلى أن يتم القضاء عليه فقد أنبأنا المولى عز وجل بأنه يصب سوط عذابه على كل طاغية وفاسد ومفسد فى الأرض أفرادا كانوا أو جماعات أو دولا وأنه سبحانه وتعالى العلى القدير لهم بالمرصاد. مصداقا لقوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[الفجر: ١١-١٤]. وأنبأنا الرسول ﷺ بأنه سيتم القضاء على الدجال وكيانه الشيطانى الخطير على يد الإمام المهدى - الذى سيكون بمثابة ذى القرنين فى عصرنا الحاضر - والمسيح الموعود عليه السلام الذى تنبأ رسول الله ﷺ بأن ظهوره سيزامن ظهور الدجال وأنه هو والإمام المهدى سيقضيان عليه وعلى فتنه وخطورة أضاليله من خلال الحجة والبيان الحق فى تعاليم الإسلام وبيان القرآن الكريم وهدى محمد ﷺ وذلك بنشر شريعة ونبوءات وبيانات وحقائق دين محمد ﷺ وهديه الشريف، فيعم الأرض والإسلام المبنى على العدل والإحسان وبذلك لا يبقى للدجال دور أو أثر فتنة أو خطر.

وبهذا نستطيع أن نفهم أيضا كيف أنه فى زمن المسيح الموعود يكون الذئب بين الغنم ككلبها ولا يقدر أن يؤذيها، ويلعب الأطفال مع الأفاعى فلا تلدغهم، وهذا يعنى أن الإسلام لكونه يُحكم قبضة عدله وسلامه وأمنه وأمانه زمن المسيح الموعود عليه السلام فلن يتمكن ذئاب الناس من إيذاء حتى الضعاف منهم الذين هم كالأغنام فى ضعفهم وسلامهم، وكذلك لن يتمكن الأفاعى من الناس أن يوذوا حتى الأطفال

الصغار، لأن عدل الإسلام المصحوب بالرحمة وإحسانه وسلامه وآمنه سيكون منتشرا فى جميع أرجاء المعمورة.

وقد نتساءل الآن عما سيكن مصير الأعور الدجال مع جنوده الذين اعتادوا البربرية الوحشية من يأجوج ومأجوج عصرنا الحاضر - وكيف سيكون هذا المصير؟

ولقد بين لنا ذلك القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ - كما بين الكتاب المقدس أيضا ذلك المصير من خلال بيان هلاك يأجوج ومأجوج - وسنبدأ أولا بما جاء فى سفر حزقيال وما يتفق معه بما جاء فى القرآن والسنة الشريفة حيث نقرأ فى نبوءة حزقيال الإصحاح ٣٨ ما يلى:

(.. وكانت إلىّ كلمة الرب قائلا «يا ابن البشر اجعل وجهك نحو جوج أرض ماجوج رئيس روش وماشك وتوبل وتنبأ عليه» وقل هكذا قال السيد الرب ها أنذا إليك ياجوج رئيس روش وماشك وتوبل فأديرك وأجعل حلقة فى فكك وأخرجك أنت وجميع جيشك خيلا وفرسانا من كل لابس ثياب فاخرة جمعا كثير ذا مجانب ومجان من كل قابض سيف. ومعهم فارس وكوش وفوط وكلهم ذوو مجان وخوذ. ومعك جومر وجميع جيوشهم وآل توجرمة وأقاصى الشمال وجميع جيوشهم وآل توجرمة وأقاصى الشمال وجميع جيوشهم وشعوب كثيرة (إن هذا الحشد من الشعوب والجيوش خاصة شعوب أقاصى الشمال الذى يشير أيضا إلى شعوب أوروبا يذكرنا بحقيقة الدجال المنتشر فى الأرض بكثرة أهله - كما قدمنا من قبل).

فاستعد وأعدد لنفسك أنت وكل جمعك المجتمعين إليك وكن لهم خفيرا، فإنك بعد أيام كثيرة تفتقد وفى آخر السنين (أى إذا أظلتكم الساعة) تأتى إلى الأرض المنجاة من السيف (أى أرض فلسطين من شعوب أمم ودول كثيرة) إلى جبال إسرائيل التى كانت مستوحشة كل حين ثم أخرجت هذه الأرض من الشعوب (أصبحت دولة

إسرائيل بدلا من فلسطين) وفيها يسكنون جميعهم آمنين، فتصعد وتأتى كعاصفة وتكون كغمام يُغطى الأرض أنت وجميع جيوشك وشعوب كثيرون معك. هكذا قال السيد الرب فى ذلك اليوم تخطر على قلبك أقوال وتفكر فكر سوء (علو بنى إسرائيل وفسادهم فى الأرض كما جاء فى القرآن الكريم).

وتقول أصعد إلى أرض القرى الغير مسورة وآتى الهادئين الساكنين فى أمن الذين يسكنون جميعهم بغير سور وليس لهم مزاليج ولا مصاريع (أى بدون قدرة حقيقية على حماية أنفسهم - وقد يشير لفظ السور هنا إلى الأسوار المنيعة المكهربة التى أقامتها إسرائيل على الأراضى الفلسطينية المحتلة) لكى تسلب السلب وتنهب النهب وتعيد يدك على الأخربة المسكونة والشعب المجموع من الأمم ذى الماشية والمقتنى الذين يسكنون فى سنام الأرض.

.... فتأتى من مكانك من أقاصى الشمال ومعك شعوب كثيرون وكلهم راكبو خيل جمع عظيم وجيش كثير.. إنك فى آخر الأيام تكون فآتى بك على أرضى لكى تعرفنى الأمم حين أتقدس بك على عيونهم يا جوج «هكذا قال السيد الرب ألست أنت الذى تكلمت عنه فى الأيام القديمة على ألسنة عبيدى أنبياء بنى إسرائيل المتنبئين فى تلك الأيام والسنين بأنى سأجلبك عليهم (يذكرنا هذا بحديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه عن الدجال: وما من نبى إلا وأنذره أمته، أنذره نوح عليه السلام أمته والنبيون من بعده.

فى ذلك اليوم يأتى مأجوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب يطلع حنقى فى وجهى. وفى غيرتى ونار غضبى تكلمت. (أى تكون أرض إسرائيل أرض الشر مما يثير غضبى عليها)، ليكونن فى ذلك اليوم ارتعاش عظيم على أرض إسرائيل (لاحظ وصف الهول والقتل والمعارك) فيرتعش من وجهى سمك البحر وطير

السماء ووحش الصحراء وجميع الدبابا الدابة على الأرض وجميع البشر الذين على وجه الأرض وتندك الجبال وتسقط المعاقل وكل سور يسقط على الأرض (يلاحظ هنا شمول البلاء والهول والتدمير الذى يصل إلى دك الجبال والمعاقل والأسوار المنيعة المكهربة التى بنتها إسرائيل لتأمينها فى الأرض الفلسطينية ويلاحظ هنا استخدام لفظ «دك الجبال» وهذا لا يكون إلا بالسلاح النووى - كما يلاحظ أيضا أن ما سبق يتفق تماما مع ما ورد فى القرآن الكريم عن علو بنى إسرائيل وإفسادهم فى الأرض مرتين والذى سينتهى فى المرة الثانية بالتدمير الشامل لهذا العلو: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧﴾ [الإسراء: ٧] لكننى ادعو السيف عليه فى جميع جبالى يقول السيد الرب، فيكون سيف كل رجل على أخيه» وأدينه بالوباء والمطر الطاغى وحجارة البرد وأمطر مطر النار والكبريت عليه وعلى جيوشه وعلى الشعوب الكثيرين الذين معه (لعله المطر الملوث بالإشعاعات النووية والقنابل المحرقة مع النار النازلة من السماء كالقذائف المطرة) فأعظم وأتقدس وأتعرف على عيون أمم كثيرين فيعلمون أننى أنا الرب).

ويتابع سفر حزقيال الإصحاح ٣٩ نبوءته ببيان هلاك يأجوج ومأجوج التى هى قوى وجنود الدجال العسكرية، فيقول:

(وأنت يا ابن البشر تنبأ على جوج وقل هكذا قال السيد الرب ها أنذا إليك يا جوج رئيس روش وماشك فأديرك وأقتادك من أقاصى الشمال وآتى بك إلى جبال إسرائيل، وأضرب قوسك من يدك اليسرى وأقسط سهامك من يدك اليمنى (لعلها كناية عن تدمير جميع قذائفه الصاروخية وغيرها) على جبال إسرائيل تسقط أنت

وجميع جيوشك والشعوب الذين معك وللجوارح والعصافير وكل ذى جناح ولوحش الصحراء قد جعلتك مأكلا، على وجه الصحراء تسقط لأنى تكلمت يقول السيد الرب: وأرسل نارا على مأجوج وعلى الساكنين فى الجزائر آمنين فيعلمون إنى أنا الرب).

ويتابع سفر نبوءة حزقيال وصف هول الهلاك الذى سيوقعه الله على يأجوج ومأجوج فيقول:

(وأنت يا ابن البشر هكذا قال السيد الرب قل لطائر كل جناح ولكل وحش الصحراء اجتمعى وهلمى احتشدى من كل جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لك ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل فتأكلين لحما وتشربين دما إلى السكر من ذبيحتى التى ذبحتها لك، وتشبعين على مائدتى من الخيل وركابها والجبابرة وكل رجل قتال. يقول السيد الرب. فاجعل مجدى فى الأمم ويرى جميع الأمم حكمى الذى أجريت ويدى التى مددت عليهم).

ويتابع سفر حزقيال متنبأ بهلاك دولة إسرائيل فيقول:

(ومن ذلك اليوم فما بعد يعلم آل إسرائيل أنى أنا الرب إلههم أى أنهم لم يكونوا يؤمنون بالإله الحق الواحد الأحد الذى ينكشف لهم فقط فى ذلك اليوم - يوم دمارهم وتعلم الأمم أنهم إنما ذهبوا إلى الجلاء، بإثمهم لأنهم تعدوا على فحجبت عنهم وجعلتهم فى أيدى مضايقهم فسقطوا بالسيف جميعا (لاحظ النبوءة فى كتابهم المقدس بشمول هلاكهم - والله أعلم كيف سيكون) على مقتضى نجاستهم ومعاصيهم صنعت بهم وحجبت وجهى عنهم).

«لاحظ وصف التوراة لليهود. إن حجب الله تعالى لوجهه عن اليهود يعنى هزيمتهم بسبب غضبه عليهم. راجع هذه النبوءات المتعلقة بيأجوج ومأجوج فى

سفر حزقيال ٣٨، ٣٩ وتفكر فيها جيدا وادرس الرموز التى فيها.

ومن الواضح أن هذه النبوءات فى سفر حزقيال فى التوراة - الكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين - إنما تصف الدمار الرهيب الهائل الذى سيؤدى إلى هلاك قوى الدجال الحربية القتالية المسماة بيأجوج ومأجوج لاشتغالها بتأجيج نار الحرب والفتن بقيادة الدجال الذى هو فى حقيقته القيادة الكهنوتية الدينية والسياسية لهذه القوى التى تشكل فى مجموعها المسيح الدجال الذى رمز إليه فى الإنجيل (العهد الجديد) باسم الوحش حيث **نقرأ فى إنجيل يوحنا ما يلى:**

(.. ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الجالس على الفرس الأبيض - لعلها إشارة إلى الإمام المهدى أو المسيح عليه السلام- ومع جنده فقبض على الوحش والنبى الكذاب معه الدجال ويأجوج ومأجوج الصانع قدامه الآيات - أى الفتن - التى بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش، والذين سجدوا لصورته، وطرح الاثنان حيين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت، والباقون قتلوا بسيف الجالس على العرش الأبيض الخارج من فمه - أى الحجة التى تخرج من فمه - وجميع الطيور التى شبعت من لحمه) ١٩-١٩:٢١.

ونقرأ عن فتنة المسيح الدجال فى الإنجيل فى سفر الرؤيا ما يلى:

.. عن قوته وبطشه، وعمله الفظيع الذى يستمد فيه القوة من إبليس.. **فجميع الساكنين فى مواضع نفوذه يخضعون له ويسجدون لربوبيته وأكثر أتباعه من اليهود** - جاء اللفظ نفسه عن الرسول ﷺ فى حديثه عن الدجال فقال: **وأكثر أتباعه اليهود)** سفر الرؤيا ١٣ :١-١٠.

تتحدث هذه النبوءات فى الكتاب المقدس عن حرب هائلة تحدث فى الزمن الموعود يقضى بها الله عز وجل على قوى المسيح الدجال الحربية (يأجوج ومأجوج)

بالنار والوباء والدمار والهلاك بجميع أشكاله، وينتهى بانتهاء اليهود الذى يحجب الله تعالى وجهه عنهم بسبب طغيانهم وافتراءاتهم وجرائمهم وفسادهم وافسادهم فى الأرض مما جعلهم نجسين فى نظر الله تعالى على حد تعبير كتابهم المقدس.

ونقرأ فى إنجيل لوقا الإصحاح ٢١ عن الأحداث العصيبة زمن الدجال ونهايته كما يلى:

(.. ستنقلب أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتحدث فى عدة أماكن زلازل شديدة ومجاعات وأوبئة وتظهر علامات مخيفة وآيات عظيمة من السماء.. وعندما ترون أورشليم محاصرة بالجيوش، فاعلموا أن خرابها قد اقترب. عندئذ ليهرب الذى فى منطقة اليهودية إلى الجبال وليرحل من المدينة من هم فيها، ولا يدخلها من هم فى الأرياف: فإن هذه الأيام أيام انتقام يتم فيها كل ما قد كتب. ولكن الويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام، لأن ضيقة عظيمة سوف تقع على الأرض، وغضبا شديدا سينزل بهذا الشعب، فيسقطون بحد السيف ويسقطون ويساقون أسرى إلى جميع الأمم، وتبقى أورشليم تدوسها الأمم إلى أن تكتمل أزمنة الأمم. وستظهر علامات فى الشمس والقمر والنجوم، وتكون على الأرض ضيقة على الأمم الواقعة فى حيرة، لأن البحر والأمواج تعج وتجيش، ويغمى على الناس من الرعب ومن توقع ما سوف يجتاح المسكونة، إذ تتزعزع قوات السماوات) ٢٧-٨ :٢١.

وكذلك نقرأ فى أحاديث الرسول ﷺ أن يأجوج ومأجوج وهم أمم حرب وقتال يتحصنون بالحصون، وأنهم أهل الرمى والقذائف التى يقذفونها إلى السماء وأنهم يسعون دائما إلى قهر شعوب الأرض بحروبهم وقذائفهم المدمرة، ولكن الله يُهلكهم بالوباء الذى يقضى عليهم ويجعل دواب الأرض وطيور السماء تأكل وتسمن من لحومهم ودمائهم وتشكر شكرا / مسند الإمام أحمد عن أبى هريرة فى صحيح البخارى.

ويبين رسول الله ﷺ أن هلاك أمة يأجوج ومأجوج يكون بدعاء المسيح عليه السلام فيقول: (فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم).

صحيح مسلم عن النواس بن سمعان.

وجاء فى رواية قول عيسى عليه السلام: (فادعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم) مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود.

وفى هذا نبوءة إلى انتشار الأوبئة الفتاكة التى ستقضى على أعداد كبيرة من هؤلاء القوم. وربما هى إشارة إلى الحرب الكيميائية والجرثومية أيضا.

ويبين القرآن الكريم فى مثال صاحب الجنتين الذى يرمز إلى أصحاب الحضارة المادية الغربية الممتزجة مسيحيتها بالماسونية الصهيونية بعيدا عن تعاليم المسيح الصحيحة بأن حسبانا من السماء سينزل عليهم فيدمر جنتهم وتصبح الأرض بسبب انتشار الدمار صعيدا زلفا حيث يهزم الله راية الطغيان والاستبداد والافساد والشرك، وينصر بأسباب من عنده راية التوحيد والعدل ويعم الإسلام الأرض بعدله وسلامه فلا يعود للشر وأصحابه القدرة على الإيذاء أو الهيمنة أو القهر والاستبداد، ولذلك فقد بين الرسول ﷺ بأن سلام الإسلام ينشر الأمان على الإنسانية جمعاء فوصف ذلك الزمان بقوله:

(.. وترفع الشحناء والتباغض، وتُنزع حمة كل ذات حمة، حتى يُدخل الوليد يده فى الحية، فلا تضره، وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة

فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها.. إلى آخر الحديث) حديث صحيح فى سنن ابن ماجة.

ولا شك فى أنه إذا ما أعملنا العقل فإنه لا يمكن أن يؤخذ هذا الكلام بحرفيته فنعتقد أن الأفاعى والحيات السامة سوف تفقد سمها زمن سلام الإسلام بحيث يُدخل الطفل يده فى فمها فلا تلدغه ولا تضره، أو أن يعتقد بأن الذئب فى ذلك الزمان سيحرس الغنم ككلبها أو أن الأطفال سيلعبون مع السباع والوحوش والأسود فلا تؤذيهم، ولا شك فى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد قصد هذا البيان الرمزى وهو ما يعنى أنه حتى الأفاعى والوحوش والذئاب من الناس لن يتمكنوا زمن انتشار عدل الإسلام، من إيذاء أحد من الناس لأن سلام الإسلام سيكون قد بسط كفه الرحيمة العادلة للناس جميعا.

الفصل الثالث

مصير رأس الدجال «الولايات المتحدة» وإسرائيل «عقله المدبر»

لا أخفى على القارئ أننى أتصور كمسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا يفرق بين أحد من رسله أن أقرب شيء يكون لو عاد السيد المسيح إلى الأرض أن ينعى على الناس أكثر بكثير ما نعاه قبل ألفى سنة، وأن يجد إنسان اليوم أكثر بكثير ما نعاه قبل ألفى سنة. وأن يجد إنسان اليوم أكثر بكثير من إنسان الأمس فى شروره وعداواته وفى نفاقه وشقاقه... فى ريائه.. وفى اعتراضه عن اللباب وإقباله على القشور... وفى استعلائه بالتقوى حين يتقى... ولجاجه فى الجحود والعدوان حين يجحد ويعتدى «خمر جديدة فى زق قديم».

وأتصور أن أقرب شيء وأهمه لو عاد أنه سيبرهن لهم أن ما قاله من قبل ألفى سنة من (أن كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب على آرائك الملكوت... وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة بالعراء) كان فعلا يعنيه.

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)﴾[المائدة: ٦٦].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)﴾[البقرة: ١١].

واتصور أيضا أن كثيرين ممن سيقرأون هذه السطور قد يثيرون بينهم وبين أنفسهم تساؤلات وهمهمات مقابلة لهذه السطور ينتهى مفادها أننى خاطبتهم فيما يتعلق من أن الجزاء لابد أن يكون من جنس العمل فى إطار ما يتعلق بقواعد الحكم الإلهى فى هذا الخصوص.

فماذا عن الولايات المتحدة رأس الدجال وماذا عن إسرائيل العقل المدبر لمكائد وحيل ومؤامرات هذه الرأس، وقد فاقا فيها فعلا وقاما فى هذا الزمان من بطش

وطغيان وسلب ونهب وتدمير وإحراق وتشريد وتقتيل وإفساد وعلو فى الأرض أضعاف كل ما فعله وقام به كل جبابرة الأرض من عهد آدم ويعيه التاريخ؟

وأتصور أن بعضهم سيبادرنى متسائلا بشىء من الغضب المشرأب لإجابة شافية عما لدى أو فى جعبتى إزاء ما قاما ولا زالا يقومان به من ظلم وطغيان وإفساد وعلو فى الأرض فى إطار قواعد الحكم الإلهى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾[الفجر: ٦-١٤].

ولكننى أود قبل الإجابة على هذا السؤال أو بالأحرى قد يكون تمهيدا لازما للإجابة عليه أن أذكر القارئ بأنه قد يذهب عديد من الناس فى تعريفهم للغيب، إلى أنه كل ما غاب عن إدراكه، وهم بهذا يتوسعون فى مدلول الغيب حتى ليحتوى تقصيرهم فى تحصيل العلم وتدبر الآيات وما أرساه المولى عز وجل فى هذه الآيات من سنن ومعادلات لا يحدها زمان ولا مكان فإن كان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا الإيمان بما جاء فى كتبه وعلى ألسنة رسله:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾[البقرة: ٢٨٥].

فينبغى علينا أن نسمع ونطيع ونستغفر درءا لما فى أنفسنا وصدورنا من شوائب وشرور ووساوس الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس.

وإذا كان الله عز وجل قد أعلمنا فى كتبه بأنه العدل المطلق وأنه بالمرصاد لكل ظالم أو طاغية أو فاسد فى الأرض وأنهم لن يفلتوا من سوط عذابه عاجلا أم آجلا وضرب لنا الأمثال لنعتبر بها فى آياته - كما تقدم ذكره - وبينا حساباتنا ووقفنا بعلمنا وإيماننا بهذه المعادلات وتفسيراتنا المنطقية لنصوصها السامية على حدث مستقبلى.. فإن هذا العلم ليس فقط يخرج عن كونه علما بالغيب.. بل أكاد أجزم من وجهة نظرى بأنه يخرج أيضا عن كونه تنبوء لأن المقدمات والنتائج قد تم ارساؤها سلفا.

ولقد أراحنا الحق سبحانه وتعالى بالحق الذى لا مراء فيه فى هذه القضية وهو أن الغيب إنما ينحصر فيما أخبرنا سبحانه وتعالى عنه بأنه غيبا، وأنه لا علم لأحد من الخلق بشىء من أسرار وتفاصيل هذا الغيب وإن جاهد واصطبر.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾[لقمان: ٣٤].

لذا فإن جهدنا القاصر على مجرد تفسير النصوص وتطبيقها على وقائع الأحداث ومجريات الأمور فى عصرنا الذى نعيشه ونعايش فتنه وتقلباته لا يخرج عن إخراج البعض من غفلتهم فى هذا العصر الذى طغت فيه على الناس الغفلة.

واستنادا على ما تقدم سنحاول معا قراءة بعض أحكام العدل الإلهى وعلى ألسنة رسله الواردة فى كتبه السماوية مقرين بقصورنا وعجزنا البشرى وأن محاولاتنا فى القراءة لا تخرج عن تلمس العبرات والمواعظ التى أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستقيها ونتأملها من هذه الأحكام ومقرين أيضا بأن حكمه سبحانه وتعالى بالعدل لا يحده زمان ولا مكان فهو على أحداث الماضى والحاضر والمستقبل وأن هذا الحكم يأتى بأحداث عليها ترد حقوق وتهدم أوهام.

ولنعد أدراجنا بعد هذا التمهيد الذى أعتقد أن القارئ قد اتفق معى الآن فى

وجوب تقديمه قبل محاولة تقديم إجابة شافية عن تساؤله.

ونظرا أيضا لأن ما سيحدث لإسرائيل والولايات المتحدة يعد من العلامات الكبرى والآيات التى ستقع بين يدى الساعة اتفاقا مع سنقرأ سويا بعد ذلك من نصوص فقد يسمح لى القارئ قبل المبادرة فى الإجابة المباشرة عن تساؤله أن نتعرض سويا بشىء من الإيجاز لهذه العلامات والآيات التى ستلقى بلا ريب مزيدا من الضوء على ما سنحاول إن شاء الله الاجتهاد فيه من سرد للأحداث مبادرين بالقول بأنه لا خلاف بين أغلب مفسرى أهل الكتاب والكثيرين من علماء الإسلام حول تعاصر الأحداث التالية:

١- خروج الدجال ويأجوج ومأجوج.

٢- ظهور شخصية الإمام المهدى (أى الشخصية التى تماثل شخصية ذى القرنين فى الزمن القديم التى تحدثنا عنها من قبل لمواجهة يأجوج ومأجوج العصر الحديث).

٣- نزول المسيح عليه السلام.

إلا أن علماء المسلمين أضافوا إليها آيات أخرى وبعض العلامات والأشراط طبقا لما ورد فى آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإن اختلفوا حول الترتيب الزمنى.

ومن هذه الآيات والأحاديث النبوية الشريفة:

١- قال رسول الله ﷺ :

إن الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس (ويبدو أن هذه الفتنة التى تجرى فى عدن باليمن وترحل الناس قد بدأت) ونزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام) رواه البخارى ومسلم.

وفيما يتعلق بالخسوف الثلاثة الكبرى فى المشرق والمغرب وجزيرة العرب الواردة فى الأحاديث النبوية الشريفة والتى ستقع بين يدى الساعة كعلامة من علاماتها والتى سترتبط بزلزلة شديدة كآية من آيات الله سبحانه وتعالى ونذيرا للإنسانية جمعاء بقرب الساعة داعيا إياها للتقوى حتى لا ينالوا عذابها وهلاكها - فلقد تم وتحقق فعلا أول هذا الخسوف المتعلق بالشرق عام ٢٠٠٤م (إعصار تسونامى) والتى شاهد العالم بأجمعه على شاشات التليفزيون قوة تدمير زلازله الرهيبة وإغراقه لمساحات شاسعة مع مئات الآلاف من البشر فى عدة دول وعدة جزر فى آسيا بل ونقل جزر بأكملها بما عليها من أماكنها.

كما يبدو أن الفتنة التى ستجرى فى اليمن (نار تخرج من قعر عدن) وترحل الناس من أماكنهم تاركة الأرض خرابا كعلامة من علامات الساعة قد بدأت مع الحرب المستعرة هناك حاليا.

٢- وما يتعلق بالدخان فقد نزل فيه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾[الدخان: ١٠-١١] وقد يشير هذا الدخان المبين الذى سيغشى الناس ويتسبب فى عذاب أليم للناس إلى حدوث حرب نووية ينجم عنها أدخنة وأغبرة نووية كثيفة تغطى السماء وقد يصاحب هذه الحرب أو يسبقها خروج نيران هائلة فى كثافتها وشدتها من أرض الحجاز لدرجة أنها تضىء أرض العراق إذ قال الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نارا من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى) رواه البخارى ومسلم بالإضافة إلى حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه زيضا عن النار التى ترحل الناس وتخرج من قعر عدن.

وقد يشير الحديثان الشريفان إلى الحرب المستعرة حاليا بين المملكة السعودية

وحلفائها والحوثيين فى اليمن وحلفائهم.

وربما قد يكون ذلك أيضا بسبب اشتعال الفتن والحروب على أرض الجزيرة العربية للهيمنة عليها وعلى مصادر الطاقة فيها (النفط والغاز) مما ينجم عنه اشتعالها واشتعال آبار النفط فيها.

٣- الدجال ويأجوج ومأجوج: وقد سبق أن تحدثنا فى شأنهم فى الأبواب السابقة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأنبياء:٩٦].

٤- وبالنسبة لدابة الأرض فقد نزل فيها قوله سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمل:٨٢]. وهذا ما ستتحدث عنه إن شاء الله فى الباب القادم من هذا الكتاب.

٥- نزول المسيح عليه السلام لمؤازرة المهدى فى القضاء على فتن وشرور الدجال ويأجوج ومأجوج فى الأرض - **وقد يجدر الذكر هنا أن بعض العلماء والباحثين بالإضافة إلى طائفة الأحمديين يعتقدون أن المهدى المنتظر والمسيح الموعود هما شخصية واحدة مستندين فى ذلك إلى أن شخصية ذو القرنين فى الزمن القديم الذى قضى على شرور وبربرية يأجوج ومأجوج ونشر العدل والسلام والإيمان بالوحدانية الأحدية فى الأرض (والتى سيماثلها شخصية المهدى المنتظر) والمسيح الموعود عليه السلام هما شخص واحد على أساس أن الملك قورش (ذو القرنين) كان يلقلب فى التوراة بالمسيح.**

وقد يجدر الذكر ونحن نتحدث عن العلامات والآيات والأشراط التى تقع بين يدى الساعة ونهاية الدجال ويأجوج ومأجوج - أن يتطرق حديثنا أيضا ولو بشىء من السرد عن (المهدى المنتظر) وعلامات ظهوره - **وقد جاء فى سفر دانيال قوله فى**

هذا (كنت أرى فى رؤى الليل وإذا سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى قديم الأيام -المهدى المنتظر- فقربوه قدامه).

وقول دانيال أيضا فى سفره :(حتى جاء القديم الأيام «المهدى» وأعطى الدين لقديس العلى وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة).

ولقد روى الشيخان عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ :

(كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فإمامكم منكم -أى المهدى المنتظر).

وفى رؤيا يوحنا اللاهوتى:

(وإذا بحصان أبيض يسمى راكبه «الأمين الصادق» الذى يقضى ويحارب بالعدل).

مما يتفق مع ما رواه الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ إذ قال:

(لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملأها عدلا كما لئت جورا) صحيح البخارى ومسلم.

كما يشير سفر الرؤيا مرة أخرى إلى قديم الأيام «المهدى» باسم الفارس:

(وقتل السيف الخارج من فم الفارس جميع الباقين - مما يشير إلى قوة حجة المهدى وبلاغته) الرؤيا ١٩/ ٢٠. وفى الرؤيا أيضا (يضرب به الأمم ويحكمهم بعصا من حديد ويدوسهم فى ثورة غضب الله القدير على كل شيء) الرؤيا ١٩/ ١٥.

وفى الرؤيا أيضا صفة رجاله التى جاءت على النحو التالى:

(لم يدنسوا أنفسهم مع النساء لأنهم أطهار وقد تم شراؤهم من بين الناس) الرؤيا ١٤/ ٥، ومن صفاتهم أيضا كما جاء فى الرؤيا.

(لم تنطق أفواههم بالكذب ولا عيب فيهم)، (وهم المدعوون المختارون.. ولم تكن حياتهم عزيزة عليهم حتى أنهم ماتوا).

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[البقرة: ٢٠٧].

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الأحزاب: ٢٣].

والمهدى حقيقة مهما شكك فيها المتشككون سواء من المدرسة العقلية أو سواها إذ تؤكد أكثر من ثلاثين رواية صحيحة أن المهدى حقيقة لا ريب فيها فمنها ما ذكر المهدى بوصفه ومنها ما ذكره باسمه ومنها ما ذكر كلاهما فقد روى واحد وثلاثون من كبار الصحابة وأعلامها أحاديث صحيحة عن المهدى أربعة منهم من العشرة المبشرين بالجنة. وقد أكد على حقيقة المهدى مائة وخمسة (١٠٥) من كبار الأئمة والأعلام منهم: أبو داود وابن عساكر والسيوطى والبيهقى وابن ماجة وابن حنبل وابن الجوزى وابن جرير وابن القيم والقرطبى والذهبى والشاطبى..!

وعن أبى سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(المهدى أجلى الجبهة أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ويملأ سبع سنين)البخارى ومسلم.

وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن كيفية خروج المهدى قول رسول الله ﷺ :(يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من هل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويُبعث إليه بعث من أهل الشام فيُخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ثم ينشأ رجل من قريش

أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقى الإسلام بجرانه فى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون) صحيح مسلم.

ويبدو أن الخسف المذكور فى الحديث هو خسف جزيرة العرب الذى أشار الرسول إليه فى حديثه عن الخسوف الثلاثة الكبرى التى ستحدث بين يدى الساعة وأولها خسف المشرق (تسونامى) وثانيها خسف المغرب (أى الغرب «الولايات المتحدة») المنتظر حدوثه وسيؤدى إلى تدمير أجزاء كبيرة من الولايات المتحدة وأوروبا إذا شمل المحيط الأطلسى، وثالثها خسف جزيرة العرب.

وقد وردت فى عدة أحاديث نبوية - كما تقدم ذكره - أوصاف الإمام المهدى منها:

(وجهه كالكوكب الدرى) السيوطى فى الحاوى ص٢٢٣/ ٢. (فى خده اليمين خال أسود) الطبرانى/ الحاوى ٢٢٣/ ٢. (أفرق الثنايا) الحاوى ٢٢٠/ ٢(أقنى الأنف) أبو داود ١٠٧/ ٤. (أج - أبلج - أعين - أى يوجد تقوس فى الحاجب) الحاوى ٢٤٢/ ٢. (لونه لون عربى) الحاوى ٢٢٤/ ٢. (كث اللحية) الحاوى ٢٤٢/ ٢. (أكحل العينين) الحاوى ٢٣٢/ ٢. (يكنى أبو عبدالله) الحاوى ٢٢٠/ ٢. (إذا أبطأ فى الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى) الحاوى ٢٣٢/ ٢. (ابن أربعين سنة أو يبعث بين الثلاثين والأربعين) ابن ماجة ٤٠٨٥. (خاشع لله كخشوع النسر لجناحه) الحاوى ٢٣٢/ ٢ (يظهر على كل جبار وابن جبار) الحاوى ٢١٨/ ٢. (يمده الله بثلاثة الاف من الملائكة يضربون من خالفهم وأدبارهم) الحاوى ٢٣٢/ ٢.

وقد قالت جين داكسون عنه:

(هذا الرجل - أى المهدى - ستكون عاصمة عمله القدس وما حولها وسوف يدخل فى زمانه الغرب فى دين الشرق ويأتى إليه الشباب من كل مكان ليعملوا تحت

إمرته وأنه سيملك قوة دعائية جبارة).

مما يكون سببا رئيسيا فى غضب الدجال ومعه جنوده من يأجوج ومأجوج فيقاتله قتالا شرسا فيأتى المسيح عليه السلام لمؤازرته، ويقضيان سويا على الدجال وجنوده من يأجوج ومأجوج ويبدأ عصر السلام وينتشر الأمن والأمان فى أرجاء المعمورة.

وبالنسبة للخسوف الثلاثة الكبرى الواردة فى الأحاديث النبوية الشريفة – التى ستقع بين يدى الساعة كعلامة من علامات اقترابها والتى سترتبط بزلزلة شديدة كآية من آيات الله سبحانه وتعالى مما ورد فى القرآن الكريم ويشير إليها قوله سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[الملك: ١٦-١٧].

وفى هذه الآية الأخيرة وعيد بأن يخسف الله تعالى الأرض بمن يأمنوا عذابه فى الدنيا والآخرة ويتمادوا فى طغيانهم وتجبرهم وفسقهم وكذلك يرسل عليهم حاصبًا أى ريحا فيها حصباء تدفعهم وتخبطهم مصحوبة بتدمير وتخريب شديدين بتجاوزهم الحد فى الطغيان ففى قوله عز وجل﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ بصيغة المستقبل إشارة إلى وقوع الخسف وارسال الحصباء أيضا فى مستقبل الأيام بعد نزول القرآن الكريم على أقوام من الطغاة والجبابرة والأشرار سيصلون فى الشرك والكفر والطغيان إلى حد بعيد يغضب الله عز وجل – وحيث وصلت البشرية إلى ما وصلت إليه فى عصرنا هذا وأصبحت محكومة بهم «فقد صار لزاما».

وقوله عز وجل فى أول سورة الحج محذرا الناس جميعا من هذه الزلزلة داعيا إياهم للتقوى حتى لا ينالوا عذابها وهلاكها:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ

تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾[الحج : ١-٢].

وإفراده عز وجل لها سورة الزلزلة بقوله سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾[الزلزلة: ١-٥].

وزلزلة الساعة لا تحدث بالضرورة لحظة قيام الساعة فقط كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة نتيجة إضافة الزلزلة إلى الساعة - ولكنها أيضا إشارة كما أرى والله أعلم إلى زلازل عظيمة لم يكن لها نظير من قبل تحدث بين يدى الساعة ومرتبطة بالخسوف الثلاث الواردة فى الأحاديث النبوية الشريفة والتى حدث وتم فعلا فى المشرق أحدها «تسونامى» عام ٢٠٠٤ وشاهدنا جميعا على شاشات التليفزيون والإنترنت هول ما أحدثه من دمار وأهوال وقتل وتشريد فى عدة دول آسيوية (أندونيسيا - ماليزيا - تايلاند - الهند.. إلخ) وبشكل غير مسبوق فى تاريخنا الحديث وبما ينطبق تماما مع ما جاء فى وصفه فى سورتى الحج والزلزلة بالقرآن الكريم.

وحسب الترتيب الوارد فى الأحاديث النبوية الشريفة فإن الخسف القادم - والله أعلم - سيكون فى المغرب (الغرب) أى أوروبا والولايات المتحدة - بصفة خاصة الولايات المتحدة - وقد أرى أن هذا الخسف سيشمل الأطلسى ليسبب الدمار والخراب على ضفتيه.

وقد تجدر الإشارة فى هذا الحديث الشريف الذى حدثنا فيه الرسول ﷺ عن العشر آيات التى تقع بين يدى الساعة ومنها الخسوف الثلاثة الكبرى أنه صلوات الله وسلامه عليه قد أطلق على هذه العشر آيات ولم يطلق عليها العلامات أو

الأشراط، والآية كما هو متعارف عليه هى الأمر الخارق للعادة فإذا تدبرنا كل واحدة من هذه العشر لتبين لنا بجلاء أنها جميعا خوارق للسنن الكونية والطبيعية الجارية وليس بينها واحدة من الأمور الموافقة للسنن ومن ثم أطلق عليها رسول الله ﷺ آيات تفرقة وتمييزا بينها وبين العلامات أو الأشراط التى ستتخلل هذه الآيات والتى هى أحداث وأحوال تاريخية وبشرية موافقة للسنن الجارية وتقع بسبب هذه السنن وبعللها وأسبابها المعتادة وتبدو عندما تقع للمعاصرين لها بأنها أمور عادية لأنها حدثت بأسبابها وعللها فكانت حتمية الوقوع بعد حدوث هذه الأسباب والعلل. ويؤكد ذلك ما ورد من أحاديث صحيحة عن الصحابى الجليل حذيفة رضي الله عنه، تفيد تدرج الأمة الإسلامية فى النظام السياسى ونظام الحكم خلال مراحل تبدأ بخلافة النبوة ثم ملك ورحمة ثم ملك عضو ثم عهد الجبابرة ثم الخلافة الراشدة مرة أخرى فى زمن المهدى.. وما ورد عن أصحاب الرايات السود فى خراسان (أفغانستان) وعن السفيانى المقابل للآشورى فى العهد القديم وحصار العراق وخرابها المقابل لنبوءة خراب بابل فى سفر اشعياء فى العهد القديم وظهور المهدى المنتظر المقابل لـ(قديم الأيام) فى العهد القديم الذى سيقاتل الدجال وحلفه (يأجوج ومأجوج) إلى حين مجىء المسيح عليه السلام الذى سيؤازر المهدى ويقضى على الدجال نهائيا بقتله ونصرة المهدى كما أكدته الأحاديث النبوية الشريفة وأشار إليه النبى دانيال فى سفره. وما سيتبع ذلك من المرحلة الأخيرة فى القضاء المبرم على إفساد بنى إسرائيل وعلوهم فى الأرض كلها وليس فى إسرائيل فقط.

هذا ما لزم التنويه عنه - ولنعد أدراجنا الآن لنتناول مرة أخرى ما يتعلق بخسف المغرب كآية من الآيات العشر التى وردت فى حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وما قلناه آنفا من أن هذا الخسف سيطول أوروبا والايات المتحدة

بصفة خاصة - ونبادر بالقول بأن هذا الخسف فى الغرب يتسق مع ما أشارت إليه أيضا نبوءات العهد القديم - فقد أشارت إلى حدث جلل وخطير يلى ما يتعلق ببابل (العراق) وخرابها (والذى تم فى عصرنا على يد وصنيعة الولايات المتحدة) ويتمثل فى إدانة الرب لقوة عظمى أحادية فى الأرض يحل عليها الخراب والدمار إزاء غرورها وطغيانها وتجبرها - ويكون فى خرابها ودمارها هذا ضربة قوية فى ذات الوقت للعلو الإفسادى لبنى إسرائيل فى الأرض - وقد يتأكد ويتضح لنا تصورنا لهذه القوة أو الدولة المشار إليها والدلالة عليها إذا ما تتبعنا النصوص التالية:

(فالآن اسمعى هذا أيتها المتنعمة الجالسة بالطمأنينة القائلة فى قلبها أنا وليس غيرى، لا أقعد أرملة ولا أعرف الثكل، فيأتى عليك هذان الاثنان بغتة فى يوم واحد الثكل والترمل. بالتمام قد أتَما عليك مع كثرة سحور. مع وفور رقاك جدا. وأنت اطمأننت فى الشرك. قلت ليس من يرانى. حكمتك ومعرفتك هما أفتناك فقلت فى قلبك أنا وليس غيرى. فيأتى عليك شر لا تعرفين فجره وتقع عليك مصيبة لا تقدرين أن تصديقها. وتأتى عليك بغتة تهلكة لا تعرفين بها).

أشعيا الأصحاح ٤٧، عدد ٨-١١.

ولقد جاء أيضا فى سفر الرؤيا - الإصحاح ١٨ - ورؤيا يوحنا اللاهوتى - الإصحاح ١٨ ما يتسبق ويؤكد ما جاء فى سفر أشعياء وبل وزاد عليه بعض العبارات مثل:

(من أجل ذلك فى يوم واحد ستأتى ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأن الرب الإله الذى يدينها قوى. وسيبكى وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حسين ينظرون دخان حريقها. واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها)- سفر الرؤيا.

(.. وجميع عمال البحر وقفوا من بعيد وصرخوا إذ نظروا دخان حريقها قائلين أية

مدينة مثل المدينة العظيمة) - رؤيا يوحنا.

والآن فما هى هذه الدولة أو القوة العظمى الأحادية حاليا - على كوكب الأرض - المترفه المنعمة ذات المدنية والشأن العظيم من العلم والمكنة والسيطرة؟!

ما هى هذه القوة العظمى التى لم يخلق مثلها على الأرض فى عصرنا الحاضر والتى تماثل فى انفرادها بالقوة فى الزمن القديم قوم عاد التى ورد ذكرها فى القرآن تحت مسمى (عاد الأولى) والتى أهلكها الله عز وجل جراء طغيانها واستبدادها وإفسادها فى الأرض. ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾[النجم: ٥٠-٥١].

مما يعنى أنه سيأتى بعد نزول القرآن الكريم عاد ثانية سيهب عليها الله العلى القدير سوط عذابه أيضا مثل عاد الأولى جراء طغيانها واستبدادها وتخريبها وكثرة إفسادها فى الأرض - فالله جل وعلا دائما بالمرصاد للطغيان والفساد والإفساد - وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[الفجر: ٦-١٤]، فما هى عاد الثانية هذه التى صور لها غرورها وصلفها التى صور لها غرورها بأنها المانحة المانعة المنفردة حاليا فى الأرض بالإرادة النافذة فيدينها الله عز وجل من أجل تجبرها وطغيانها وغرورها وإفسادها فى الأرض بالخراب والدمار؟!

ولقد سبق أن ذكرنا أن فى قول الله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[الملك: ١٧] بصيغة المستقبل إشارة بالغة إلى وقوع الخسف وإرسال الحصباء سيكون فى مستقبل الأيام بعد نزول القرآن الكريم

على أقوام من الطغاة المخربين المفسدين المتجبرين الذين سيصلون فى استبدادهم وفجورهم وإفسادهم وتخريبهم إلى حد بعيد يغضب المولى عز وجل ولعل الحصباء «إعصار كاترينا» التى ضربت بقسوة بالغة الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة فى الخامس من سبتمبر عام ٢٠٠٥م وما أحدثته من دمار وتخريب شديدين لنيو أورليانز وبخسائر تجاوز المليار دولار وأودت بحياة الآلاف واضطرت السلطات الأمريكية إلى إجبار الناجين قسرا إلى الهروب واللجوء إلى الولايات الأخرى وإعلانها حالة الطوارئ فى خمس ولايات أخرى تضررت من الإعصار.. تكون نذيرا للولايات المتحدة.. مما سيحدث لها، من خسف الأرض فيها بمن عليها مع حصباء مدمرة لها التدمير الرادع - كما حدث لعاد الأولى تحقيقا للعدالة الإلهية من جراء طغيانها وتجبرها وإفسادها فى الأرض وتصورها المغرور بأنها المانحة المانعة المنفردة فى الأرض بالإرادة العليا النافذة. ويبدو لى أن السيد بوش ومن ادعو معه أنه مبعوث العناية الإلهية لخراب بابل الوارد ذكره فى سفر أشعياء النبى - لم يتأملوا جيدا ما تلى ذلك فى ذات السفر وما ورد فيها من نبوءات - كما يبدو لى أنا بابا الفاتيكان الراحل (يوحنا بولس) عندما حذره أثناء حياته بسبب الحرب على العراق حينئذ بقوله (**إنك ستلقى جزاء فعلتك هذه فى الدنيا وفى الآخرة**) كان يعنى فعلا أبعاد ما يقول ولم يفهمه الكثيرون وعلى رأسهم السيد بوش نفسه.

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم: ٥٠-٥٦].

وأعتقد أن هذا الخسف الذى سيقع فى الغرب وتداعياته الخطيرة يشكلون مرحلة

ذات أهمية قصوى فى القضاء على افساد وعلو بنى إسرائيل وإفسادهم فى الأرض. والذى ذكره المولى جلا وعلا فى قرآنه المجيد فى سورة الإسراء إذ قال سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإسراء: ٤-٨].

وأشار إليه سفر إشعياء - إصحاح ٨ عدد ١٧:

(فاصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب وانتظره).

وأشار إليه المسيح عليه السلام فى نذيره لأورشليم وبنات أورشليم:

(يا أورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين.. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا.. هو ذا بيتكم رهين بالخراب.. يا بنات أورشليم.. لا تبكين على.. وعلى أنفسكن وأولادكن فابكين.. أيام يقولون طوبى للعواقر.. والبطون التى لم تلد.. والثدى التى لم ترضع.. أيام ينادون الجبال أن تسقط عليهم والآلام أن تكون غطاءهم.. إن كان بالبعض الرطب يصنع هذا.. فباليابس ماذا يصنعون؟).

وما سبق ذلك أيضا بقليل من علامات أشار إليها المسيح عليه السلام بعدم الاستقرار أو بقاء حجر على حجر فى الأرض المحتلة بفلسطين - وقد أرى أنها إشارة واضحة لمقاومة الشعب الفلسطينى لجنود إسرائيل وغطرستهم بالحجارة (انتفاضة الحجارة)

التى قام ولا زال يقوم بها صبية وشباب فلسطين متحدين بشكل معجز وعجيب غير مسبوق فى التاريخ مدرعات ومجنزرات الإسرائيليين.

وقد أرى أنهم المقصودين أيضا بإشارة سفر إشعيا - عدد ١٨ إذ جاء فيه:

(ها أنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب فى إسرائيل من عند رب الجنود).

وقد يكون المقصود بعبارة «ها أنذا» زعيمهم ياسر عرفات رحمه الله الذى التفوا حوله إعجابا بعناده وإصراره وشجاعته وقوة تحمله فى سبيل تحرير بلده وأرضه واسترداد القدس الشريف رغم تقدمه الكبير فى العمر وحصاره وتهديده بالطرد تارة والقتل تارة أخرى، وقد يكون الشيخ أحمد ياسين القعيد والمصاب بالشلل الذى كان هو أيضا أحد آيات وعجائب الإصرار والجهاد رغم اعتلال جسده والذى تم اغتياله وهو أعزل بصاروخ موجه إليه شخصيا من طائرة إسرائيلية مقاتلة. وقد يكون كل رب أسرة أو أم ساهم أولادهما فى مقاومة طغيان واستبداد وفجور هذا الاحتلال ونالوا الشهادة فى هذه المقاومة وتم توديعهم إلى مثواهم الأخير بالزغاريد.

كما ورد ذكر الأولاد أيضا فى يوحنا بقوله :

(أكتب إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير) يوحنا ٢: ١٢.

وبقوله: (.. أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة «بداية آخر الزمان» وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى «المسيح الدجال» وقد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون «بنو إسرائيل وأعوانهم وأتباعهم وناصريهم» من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة) يوحنا ٢: ١٨-١٩.

ثم يقول أيضا فى ذات النص:

وهذا هو روح ضد المسيح «المسيح الدجال» الذى سمعتم أنه يأتى. والآن هو فى العالم، أنتم من الله أيها الأولاد، وقد غلبتموهم «غلبتم المسيح الدجال وأتباعه من

بنى إسرائيل وأعوانهم» لأن الذى فيكم أعظم من الذى فى العالم) يوحنا ٤-١١:١.

والأمر هنا لا يحتاج إلى تعليق فلا يستطيع أحد أن يزعم هنا بأن المقصود بالأولاد هم غير مجاهدى فلسطين والعرب من الصبية والشباب والذين أصبح إيمانهم وأسلوب جهادهم واستشهادهم أمام العالم كله إحدى عجائب هذا الزمان.

كما أنه ليس بخاف أيضا فى هذا الصدد ما نستشفه من اتفاق بين كثير من المفسرين لنبوءات العهد القديم بأن هناك سلسلة من عدة معارك وأحداث جلل كحلقات فى إطار معارك حرب هرمجدون - وقد أزعم أن هذه المعارك قد بدأت بالحرب على العراق عام ٢٠٠٣ والتى ذكرت فى نبوءات سفر أشعياء تحت مسمى (خراب بابل) والذى زعم السيد بوش بأنه مبعوث العناية الإلهية لخرابها كما تقدم ذكره. وقد أزعم أيضا إذا ما دققنا النظر أن من هذه المعارك مالها ملامحها أيضا فى الإسلام بل وقد زاد عليها (ويراجع فى ذلك كتاب كاتب هذه السطورة «نبوءات مستقبلية حول حرب هرمجدون) حتى يبدو لنا بجلاء أننا نعيش مناخها فى هذه المرحلة من تاريخ البشرية.

ومن هذه المعارك معارك قال مفسرو نبوءات العهد القديم من أهل الكتاب عن أطرافها: (ستكون هناك قوتان متضاربتان متنافستان على مركز السيادة على العالم الغرب والآشورى). «تفسير حزقيال / فكرى ص٢٣١ - تفسير دانيال / حنا ص١٩٣»؟

والغرب لا يحتاج إلى بحث ولكن الآشورى يحتاج فمن هو؟

قالوا فى التفسير عن حدود دولته:

(الفرت هو الحد الطبيعى بين اليهود والآشورى فارس «العراق» «إيران» وتركيا). «تفسير حزقيال»/ فكرى ص٢٣١، تفسير دانيال / حنا ص١٩٣».

وقالوا فى التفسير عن مهمته:

(يد الله هى التى ستضرب بواسطة الآشورى وسيكون هو عدو إسرائيل آخر

الزمان وسيرسله الله على أمة منافقة).

«تفسير أشعياء/ حنا ص١٢٣ تفسير دانيال/ إير نسايد ص٩٥».

وقالوا فى التفسير عن شعبه:

(شعبه قوى لم يكن نظير من الأزل ولا يكون بعده. قدامه نار تأكل. وخلفه لهيب يحرق. وأمامه جنة عدن (أى بشهادة) يجرون كالأبطال - رجال حرب. يمشون كل واحد فى طريقه ولا يغيرون سبلهم.. ولا يزاحمون بعضهم بعضا.. وبين الأسلحة يقعون ولا ينكسرون) «رؤيا يوحنا».

ثم قالوا فى التفسير عن خيوله (أى قواته):

(الخيل الداهم تخرج من فارس) تفسير زكريا / فكرى ﷺ ١٠٨.

وقال المفسرون أيضا عن موقف الغرب واليهود منه:

(سيعقد اليهود مع القائد الرومانى «يعنى الغرب عند أهل الكتاب والعرب أيضا» حلفا خوفا من الآشورى وستكون جيوش الآشورى هى الخصم الأكبر للغرب) «تفسير دانيال/ ١٩١،٢٦١ - وتفسير حزقيال / فكرى ٣٤١».

وقالوا فى التفسير عن أوصافه:

(إنه قائد شرس) تفسير دانيال/ إيرنسايد ص٩٤-٩٦-أشعياء / ١١.

وقالوا عن قوات حلفه:

(ستكون القوة داخل حلفه مكونة من إيران وسوريا وليبيا والسودان وصور «جنوب لبنان» وشعوب منطقة الشرق الأدنى وقبائل حول بحر قزوين والبحر الأسود، والإسماعيليون، والهاجريون).

«حزقيال/ فكرى ٣٣٩ - دانيال / إيرنسايد١٣٧».

وماذا سيفعل الآشورى؟ قالوا فى التفسير:

(أنه هو الذى يستخدمه الرب فى القضاء على الشعب اليهودى وسيحتل الآشورى نصف إسرائيل وسيستخدم العصا على إسرائيل وسيضرب قاضيها بقضيب على خده) دانيال / إيرنسايد ص١٣٧.

ومن العجيب الملفت للنظر أنه لا يوجد أى نص فى نبوءات العهد القديم يحدد نهاية للآشورى حتى أن إيرنسايد قال فى تفسيره «لسنا نقرأ هنا شيئا بخصوص هلاكه».

وأعتقد - والله أعلم - بأن القضاء على بنى إسرائيل وتتبير علوهم الإفسادى الكبير الأخير لهم فى الأرض قد يتم على مراحل كما أنجزوه على مراحل أيضا.

والمقصود بعلو وإفساد بنى إسرائيل هنا ليس محصورا فقط فى دولة إسرائيل وإن كان قيامها علامة كبرى من علامات هذا العلو وهذا الإفساد التى ستقع بين يدى الساعة.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٤].

وإنما تمتد جذور شجرتهم الخبيثة الآن فى أرجاء كثيرة من الكرة الأرضية خاصة بعد سيطرتهم وهيمنتهم على صانعى القرار فى الولايات المتحدة «القوة الأحادية الآن فى العالم» (يرجع كتاب كاتب هذه السطور «الماسونية الصهيونية وتنظيماتها السرية فى العالم»). وأن دولة إسرائيل بالنسبة للعلو الإفسادى لبنى إسرائيل ليست سوى ثمرة قطفوها بالإثم بعد أن طوقت الأفعى الصهيونية أو حسب تعبير أشعياء فى سفره لوياثان الحية المتحوية - كل أرجاء المعمورة.

وأعتقد أن هذا يتماشى مع سياق ما ورد فى نصوص العهد القديم والوحى الخاتم «القرآن الكريم» وفى ذات الوقت مع منطق الأحداث فالقضاء على العلو يلحقه القضاء

على الفساد والإفساد قضاءا مبرما. وستكون هذه المرحلة الأخيرة بوجود المهدى المنتظر الذى سيملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا - طبقا لما ورد فى الأحاديث النبوية الشريفة - والذى ذكره العهد القديم بعد أن انتهى من الحديث عن الآشورى بحديثه عن قائد عادل وهذا القائد هو «**قديم الأيام**» الذى يقضى بالعدل ويضرب بقضيب من حديد والذى سيحضر تاج الملاحم فى تاريخ الجنس البشرى (هرمجدون- الملحمة الكبرى) التى اتفقت عليها المصادر جميعا والتى اعتقد بأنها ستنتهى بالقضاء على فساد وإفساد بنى إسرائيل فى الأرض قضاءا مبرما كما تقدم ذكره.

أما المرحلة التى ستسبق مباشرة مرحلة ظهور المهدى - وقد تكون فى ذات الوقت معاصرة لمرحلة ضربة الآشورى ومزامنة لها هى مرحلة الخسوف الثلاثة والزلزلة المصاحبة لها والتى تمت إحداها فى المشرق (تسونامى ٢٠٠٤) فإننى أزعم - والله أعلى وأعلم - أن خسف المغرب الذى سيكون ضربة قاصمة للغرب والولايات المتحدة - كما تقدم ذكره - سيكون منطقيا أيضا ضربة قاصمة لعلو إسرائيل وبنى إسرائيل فى الأرض باعتبار أن الغرب - بخاصة الولايات المتحدة - هو الداعم الرئيسى والسند الوحيد سواء لإسرائيل أو لبنى إسرائيل على وجه الأرض. كما أزعم أيضا - والله أعلى وأعلم - أنه سيلى خسف المغرب ضربة الآشورى التى ستقضى تماما على علو بنى إسرائيل - ثم يلى ذلك خسف جزيرة العرب الذى سيفنى فيه جيش الشام الذى كان متجها لقتال المهدى فور مبايعته بمكة بين الركن والمقام. ثم يلى ذلك آخر ملاحم الجنس البشرى (هرمجدون أو الملحمة الكبرى كما سماها الرسول صلوات الله وسلامه عليه) الذى سيتم فيها بقيادة المهدى ومؤزارة المسيح عليه السلام له وللمؤمنين القضاء قضاءا مبرما على الدجال وجنوده (يأجوج ومأجوج) وفساد وإفساد بنى إسرائيل فى الأرض. وبداية عصر السلام بنشر العدل والمحبة والمودة والرحمة فى كل أرجاء المعمورة.

وبذا تكون مراحل القضاء على علو بنى إسرائيل وفسادهم وإفسادهم فى الأرض - والله أعلى وأعلم- كالتالى:

أولا: الخسف الذى سيقع فى الغرب ويترتب عليه انهيار واندحار الولايات المتحدة كقوة أحادية مهيمنة على الأرض.

ثانيا: ضربة الآشورى الذى سيدمر فيها ويحتل نصف إسرائيل.

ثالثا: انتصارات المهدى المنتظر وجيوشه بمؤازرة المسيح عليه السلام له ولمن معه من المؤمنين الذى سيتم فيها القضاء على الدجال ويأجوج ومأجوج وفساد وإفساد بنى إسرائيل فى الأرض قضاءا مبرما.

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان: ٢٣].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[ق: ٣٦].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[القصص: ٥٨].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١١].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾[فاطر: ٤٣-٤٤].

الباب الخامس

خروج دابة الأرض

الفصل الأول

ذكر بعض المعاني والآثار والأحاديث المتعلقة بدابة الأرض

قال الله عز وجل ﴿ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمل: ٨٢].

قد يجدر بنا قبل أن نشرع فى تفسير هذه الآية الكريمة والتى تشير إلى حدث جلل سيقع على الأرض ويعد من العلامات الكبرى التى تقع بين يدى الساعة - أن نبادر أولا بالاستعانة ببعض معاجم اللغة العربية لشرح معانى بعض الكلمات، ثم نعرض بعد ذلك لذكر بعض الآثار والأحاديث المتعلقة بدابة الأرض، لما فى ذلك كله - فى رأينا - من أهمية بالغة فى بحثنا هذا.

أولا : معاني بعض الكلمات الواردة في الآية الكريمة :

١ - ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾

- **قال قتادة:** وقع القول عليهم: وجب الغضب عليهم.

وقال مجاهد: وقع القول عليهم: إذا حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون.

وقال عبدالله بن عمر: وجب السخط عليهم لأنهم لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر.

وقال ابن مسعود: وقع القول يكون بموت العلماء (موتًا روحانياً) وذهاب العلم (أى العلم الذى ينفعهم) ورفع القرآن (أى تعطيل العمل بتعاليمه).

٢- معني ((دابة الأرض)) فى معجم المعاني الجامع - معجم عربى عربى:

دابة: اسم الجمع: دواب

الدابة: كل ما يدبُ على الأرض، وقد غلب على ما يركبُ من الحيوان (للمذكر والمؤنث) والجمع: دواب (وما من دابة على الأرض إلا على الله رزقها).

دابة الأرض: دابة يعد طهورها من أشراط الساعة أو من أول علاماتها الكبرى.

الأرضة: التى ذكرها الله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام إذ قال سبحانه وتعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[سبا: ١٤].

أَرَضَ: (فعل أرض يأرَضُ، أرْضا، فهو أرض، والمفعول ماروض).

أرضت الأرضة الخشب: أكلته - وجدت الكتاب مأروضا

أرضة: اسم الجمع: أرضات.

أرض الحيوان: حشرة بيضاء مصفرة تشبه النملة، تظهر فى الربيع وتعيش فى مستعمرات كبيرة، وتأكل الخشب والحبوب ونحوهما، أكلت الأرضة بعض الأوراق أفسد من الأرضة (مثل): يُضرب لمن يُعرف بفساده.

٣- بعض معانى لفظ ((كلم)) فى ((لسان العرب)):

أ- كلام الله وكلِمُ الله وكَلِمَتُه، وكلامُ الله لا يُحد ولا يُعد، وهو غير مخلوق: القرآن.

قال ابن الأثير: أعوذ بكلمات الله التامات، وفى الحديث كلامه بالتمام لأنه لا يجوز أن يكون فى شىء من كلامه نقص أوعَيْب كما يكونُ فى معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه كلام الناس.

- وكالمته إذا حادثته، وتكالُمْنا بعد التهاجر.

- كلمته تكليما وكلاما مثل كذبته تكذيبا وكِذابا: الذى تكلمه ويكلمك.

- وما أجد متكلما، بفتح اللام، أى موضع كلام.

- وكلم الله موسى تكليما، وقال أحمد بن يحيى فى قوله تعالى هذا: أنها لو جاءت كلم الله موسى مجردة لاحتمل ما قلنا وما قالوا، يعنى المعتزلة، فلما جاء تكليما خرج

الشك الذى كان يدخل فى الكلام، وخرج لاحتمال للشيئين، والعرب تقول إذا وُكد الكلامُ لم يجز أن يكون التوكيد لغوا، والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك.

– جيد الكلام: فصيح حسن الكلام منطيق.

– رجل كلمانى: كثير الكلام. ورجل تكلامٌ وتكلامة وكلمانىٌ – والأنثى كلمانية.

ب– كَلَّم: جَرَحَ. والكلْمُ: الجُرْح. والجمع: كلوم وكِلامٌ

– كَلْما: موضع نهشة الحية. وكلمه كلما: أى جرحه.

– وكلمه يكلمه: من باب قتل. أسد كليم: أسد جريح.

– الشيخ كالأسد الكليم: إذا جُرح فحمى أنفا، والرفع على قولك عليها الشيخ الكليم كالأسد والجمع كلمى.

– وأنا كالم ورجل مكلوم وكليم.

– تكلِمُهم وتُكلمُهم، فتكلِمُهم: أخرجنا لهم دابةً من الأرض تُكلمهم، قرنت وقوله تعالى: تكلِمهم وتْكلمهم سواء كما تقول تَجْرحهُم: من الكلام، وقيل تجرحهم وتضسِمْهُم، وتُكلمُهم اجتمع القراء على تشديد تُكلِّمهم وهو من الكلام، وقال أبو حاتم: وتجرحهم.

– وقال الفراء: الجراح، وكذلك إن شدد تُكلمهم، كذلك قرأ بعضهم تكلمهُم وفسر تجرحهم والكلام: تسمهم فى وجوههم، تسِمُ المؤمن بنقطة بيضاء فيبيض، وتسمِ الكافر بنقطة سوداء فيسود وجهه.

– ذهب الأولون لم تكلمهم الدنيا من حسناتهم شيئا أى لم تؤثر فيهم ولم تقدح: وأصل الكلم الجُرْح.

– إنا نقوم على المرضى ونداوى الكلمى، جمع كليم وهو الجريح، فعيل وفى

الحديث بمعنى مفعول، وقد تكرر ذكره اسما وفعلا مفردا ومجموعا.

٤- ((الصحاح فى اللغة)):

- كلم: اسم جنس يقع على القليل. والكثير: الكلام.

- والكلم: لا يكون أقل من ثلاث كلمات، لأنه جمع كلمة مثل نبقة ونبق.

- كلمته تكليما وكلاما: يقال الذى يكلمك: والكليم.

- وكالمته، إذا جاوبته - وتكالمنا بعد التهاجر.

- كلمته كلما: تقول والكلم: الجراحة، والجمع: كلوم وكِلام، «دابة من الأرض تكلمهم» أى تجرحهم وتَسمُهمُ وقال عنترة: التصريح والتكليم.

٥- ((مقاييس اللغة)) - كلم:

لها معنيان أحدهما يدل على نطق مُفهم، والآخر على جراح: الكاف واللام والميم أصلان ثم يتسعون فيسمُّون كلمته أكلمه تكليما، وهو كليمى إذا كلمك أو كلمته: تقول: الكلام اللفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة والأصل الآخر الكلم، وهو الجرح (سورة المائدة الآية ١٣، سور النساء: الآية ٤٦) وجمع الكلم كلوم أيضا والكلام.

ثانيا: بعض الآثار والأحاديث المتعلقة بدابة الأرض

١- قال الله عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[النمل: ٨٢].

وقال كثير من أهل العلم بالأخبار أنها ذات وبر وريش وزغب، فيها من كل لون، ولها أربع قوائم، رأسها رأس ثور، وآذانها آذان فيل، وقرونها قرون إبل، وعنقها

عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، وقوائمها قوائم بعير، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، وترفع الأسماء فلا يعرف أحد باسمه، وهى تجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم على أنف الكافر فيفشو السواد فيه فيقال يا مؤمن ويا كافر.

٢- وفى مسند الإمام أحمد.. عن حذيفة بن أسيد الغفارى، قال: قال رسول الله ﷺ:«لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم والدجال، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.. إلى آخر الحديث.

٣- وفى حديث رواه البخارى ومسلم قال رسول الله ﷺ :

«إن الساعة لا تكون حتى تروا عشر آيات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، والدخان والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس ونزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام». مما يؤكد على أنها من العلامات الكبرى التى تقع بين يدى الساعة.

٤- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: هى الدابة التى أخبر تميم الدارى عنها.

وعن الحسن أنه قال: سأل موسى ربه أن يريه الدابة فخرجت ثلاثة أيام ولم يدر أى طرف خرج، فقال موسى: رد هذا المتاع النفيس إلى مكانه لا حاجة لنا فيه.

ويقال إنها تخرج بأجنادين وعقب الخروج تسير بالنهار وتقف بالليل يراها كل قائم وقاعد وأنها لتدخل المسجد وقد عاذ به المنافقون، فتقول أترون المسجد ينجيكم منى هلا كان ذلك بالأمس؟ والله أعلم (جريدة العجائب صفحة ٢٠٥).

٥- قيل إنها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر، وقيل هى مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات، ينصدع جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون

إلى المنى. وقيل من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا وتكتب فى وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر (النهاية لابن الأثير).

٦- «بئس الشعب جياد» (جياد هو جبل بمكة - لسان العرب) منه تخرج الدابة فتصرخ فيسمعها من بين الخافقين. (كنز العمال - المجلد السابع صفحة ٢٠٤) وبعض الأحاديث يدل على أنها امرأة كافرة خادمة للشيطان.

٧- حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال ذهب بى رسول الله ﷺ إلى موضع بالنادية قريب من مكة فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ : تخرج الدابة من هذا الموضع (سنن ابن ماجة - الجزء الثانى صفحة ٥٠٤).

٨- وفى تفسير الجلالين - تفسير سورة النمل ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[النمل: ٨٢] تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنّا.

٩- وقال بعض العلماء والباحثين المحدثين أن دابة الأرض هى طائفة علماء هذا الزمان فيلزم أن يكون تكفيرهم حقا وصدقا، فإن من شأن دابة الأرض أنها تسم المؤمن والكافر، فمن جعلته الدابة كافرا فعليكم أن تقروا بكفره فإن التكفير بمنزلة الوسم من دابة الأرض.

الفصل الثانى

خروج الدابة من الأرض

قال عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٧٥) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ (٧٩) ﴾[النمل: ٧٥-٧٩].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (١٤) ﴾[سبا: ١٤].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) ﴾[النمل: ٨٢].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾[الشورى: ٢٩].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤٥) ﴾[النور: ٤٥].

أول هذا الحدث الجلل الذى سيقع على الأرض بدأه الله جل وعلا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[النمل: ٧٥-٧٩] - كما تقدم.

الغائبة: من الغيب الذى استُعمل فى كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان. وهذه الآية الأولى تؤكد على أنه ما من شىء خفى إلا وهو محفوظ فى علم الله علما تاما.. والآية التالية لها هى دليل على سابقتها لأن القرآن الكريم كشف عن أكثر القضايا والأمور الخلافية الهامة والخطيرة التى وقعت بين علماء بنى إسرائيل وحسمها بالقول الفصل.

ومن ذلك على سبيل المثال ما أدعته التوراة من أن النبى هارون عليه السلام أشرك (سفر

الخروج) بينما برأه المولى عز وجل فى القرآن الكريم عن الشرك تماما إذ قال سبحانه وتعالى على لسان هارون فى سورة طه:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾[طه: ٩٠].

ومن الغريب الملفت للنظر أن التوراة التى دونها المؤمنون بها قبل نزول القرآن بحوالى ألفى عام تتهم النبى هارون عليه السلام بالشرك رغم اعترافها بأنه يتلقى وحيا من الله. ثم يأتى القرآن ليبرئ ساحته تماما ويقر بنبوته وتلقيه الوحى من الله عز وجل وأن الذى يتلقى وحيا من الله لا يمكن أن يشك فى وجوده أو يشرك به (سبحانه وتعالى عما يقولون وعما يصفون) - وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾[النمل: ٧٥].

ويقول الله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمل: ٨٠-٨٢].

مع أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ : إنك على الحق المبين إلا أن من الناس من ينكر الحق مهما كان واضحا جليا بينا. فأنت لن تستطيع أن تسمع الذين قد ماتت قلوبهم وخلت من خشية الله وتقواه ومحبته. إنما تستطيع أن تسمع الحق وتشرحه لمن يؤمن بالله وآياته، فهؤلاء هم الذين يدخلون فى حصن الله وأمانه لمن آمن وصدق بكتاب الله ورسوله.

وعند هذا أوحى المولى عز وجل أيضا لرسوله الصادق الأمين ﷺ فى القرآن

المجيد عن غائبة تتمثل فى حادث جلل سيقع على الأرض يصيب فى مقتل من وجب السخط عليهم إزاء كفرهم بآيات الله وطغيانهم وظلمهم وفسادهم وإفسادهم فى الأرض بالنهى عن المعروف والأمر بالمنكر.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمل: ٨٢].

قال ابن كثير:«هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة الأرض.. وبعد أن ساق آراء من قال إنها تخاطبهم من الصحابة والعلماء، فنده بقوله «وفى هذا نظر». وبعد ذلك ذكر رواية عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أنها تَجْرَحُهُم. ثم ذكر عن ابن عباس أنها كلها تفعل يعنى هذا، وهذا، واستحسنه.

- وزعم بعض الصحابة أن دابة الأرض على عليه السلام، والحال أن عليا عليه السلامأنكر تماما كونه دابة الأرض وسخط على الرجل الذى قال عنه إنه دابة الأرض، كما ورد عن عاصم بن حبيب بن أصبهان، قال: رأيت عليا على المنبر يقول إن دابة الأرض تأكل بفيها وتحدث من أستها، فقال له رجل: أشهد أنك تلك الدابة فقال له على قولا شديدًا (كنز العمال: الجزء السادس ص٢٦٩).

- وزعم بعض المفكرين والباحثين أن المراد من دابة الأرض هم علماء السوء الذين يشهدون بأقوالهم أن الرسول حق والقرآن حق ثم يعملون الخبائث ويبيحون الحرام ويتبعون الدجال كأن جودهم متكون من جزئين: جزء من الإسلام وجزء مع الكفر، أقوالهم كأقوال المؤمنين وأفعالهم كأفعال الكافرين، فأخبر رسول الله ﷺ أنهم يكثرون فى آخر الزمان، وسُمُّوا دابة الأرض لأنهم أخلدوا إلى الأرض، وما أرادوا أن يرفعوا إلى السماء واطمأنوا بالدنيا وشهواتها وما بقى لهم قلب كالإنسان، واجتمعت

فيهم عادات السباع والخنازير والكلاب. تراهم مستكبرين متبخترين كأنهم بلغوا السماء ومسوها، ولم تخرج أرجلهم من الأرض من شدة انتكاسهم إلى الدنيا، فهم كالذى شدد أَسْرُه كالمسجونين. يكلمون الناس من الإست لا من الأفواه، فلا تجد فى كلماتهم طهارة وبركة واستقامة ونورانية ككلمات الصالحين.

- وقد ورد فى المفردات أيضا: وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أنها حيوان بخلاف ما نعرفه يختص خروجه بين يدى الساعة كإحدى علاماتها الكبرى وقد عنى بها نوعية خاصة من الأشرار الذين هم فى شرورهم وجهلهم أحط منزلة من الدواب فتكون الدابة جمعا اسما لكل شىء يدب على الأرض.

وكذلك قال الله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الأنفال: ٢٢].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾[الأنفال: ٥٥].

من أين ومتى تخرج الدابة؟

لم تحدد الأحاديث مكانا معينا لخروج الدابة، وإن كانت أشارات إلى صفة المكان الذى ستخرج منه.

- قال رسول الله ﷺ : فيما رواه عنه طلحة بن عبيد الله، قال: ذكر رسول الله الدابة، فقال: لها ثلاث خَرَجَاتٍ من الدهر، فتخرج خرجة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعنى مكة - ثم تكمن زمانا طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيعلو ذكرها فى أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية - يعنى مكة.

- وقال رسول الله ﷺ :«ثم بينما الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله وأكرمها: المسجد الحرام، لم يَرُعْهُم إلا وهى ترغوبين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب،

فانفَضّ الناس عنها شتى ومعا - أى تفرق الناس عنها كل له رأى فيها - وبقيت عصابةٌ من المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم» حتى جعلتها كالكوكب الدرى، وولت فى الأرض لم يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، حتى أن الرجل ليتعوذ منها فى الصلاة، فتأتيه من خلفه وتقول له: يا فلان الآن تصلى، فيقبل عليها فتسمه فى وجهه، ثم تنطلق ويشترك الناس فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار، يعرف المؤمن من الكافر حتى أن المؤمن ليقول: يا كافر اقضنى حقى. وحتى إن الكافر ليقول: يا مؤمن اقضنى حقى».

- وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: ذهب بى رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية، قريب من مكة، فإذا «أرض يابسة» حولها رمل فقال رسول الله تخرج الدابة من هذا الموضع. فإذا فتر فى شبر».

- وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :

«تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام، فتخطم أنف الكافر بالعصا، وتحلى وجه المؤمن بالخاتم، حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر».

وفى رواية الإمام أحمد: فتخطم أنف الكافر بالخاتم، وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى أن أهل الخوان الواحد يجتمعون، فيقول هذا يا مؤمن، ويقول هذا يا كافر.

- وعن عبدالله بن الزبير ﷺ:

«أنها تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت فى وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت فى وجهه نكتت سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسودَّ لها وجهُهُ. حتى أن الناس يتبايعونِ فى الأسواق: بكم ذا يا مؤمن.. بكم ذا يا كافر؟ ثم تقول لهم

الدابة (بلسان الحال): يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار».

- عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال:

«حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنْسَهْ بعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة ضحىً، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا».

- وفى صحيح مسلم. عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة.. إلى آخر الحديث.

- وقد روى ابن كثير عن الطبرى عن حذيفة بن اليمانى وعن حذيفة بن أسيد عن الرسول ﷺ مرفوعا:

«إن ذلك فى زمان عيسى بن مريم، وهو يطوف بالبيت».

- وذكر صاحب مشكاة المصابيح رواية أخرى بمعناها فى باب أشراط الساعة يقول: «فيرغب نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه. فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة» -(مشكاة المصابيح صفحة ٤٨٤ - وصحيح مسلم «باب ذكر الرجال»).

هذا بعض ما ورد عن الدابة من تباينات فى كتب الأحاديث. والتى يصعب التوفيق بينها من ظاهر نصوصها وحرفيتها، وما حوته من بعض المبالغات التى تصورها مسطروها فى وصف هذه الدابة ظانين ملاءمة هذه التصورات لما سيقع من حدث جلل على الأرض.

وفى رأينا أن أصحاب هذه المبالغات فى وصف «الدابة» لو كانوا اجتهدوا فى إعمال عقولهم فى الآية الرابعة عشر من سورة سبأ، لتخلوا عن كثير من مبالغاتهم....

إذ يقول المولى عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[سبأ: ١٤].

ففى هذه الآية الكريمة التى تحدثنا عن موت النبى سليمان الذى آتاه الله عز وجل ملكا لم يؤته أحد من قبله أو من بعده. وعلمه منطق الطير. وحشر له تحت إمرته جيشا عظيما ذا بأس شديد من الجن والإنس والطير. لم ولن تشهد البشرية له مثيلا. وسخر له الريح تجرى بأمره فى أول النهار ما مقداره مسيرة شهر، وكذلك آخره. وسخر له أيضا الجن على اختلاف أنواعه وطبقاته يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان ومن ينحرف منهم عن أوامره يذقه الله من عذاب السعير. وعندما قضى الحى القيوم بالموت على هذا الملك النبى العظيم، ظل بعد موته على كرسى عرشه متكئا على عصاه. ولم تعرف الجن الذين كانوا فى خدمته بموته رغم أنهم كانوا يدعون معرفة الغيب فقد غرتهم سرعتهم الفائقة على الإنس، فى الوصول إلى مواقع الأحداث ورؤيتها قبل الإنس إلى تصورهم الخاطئ الضال بمعرفة الغيب - وأضلوا معهم - للأسف - أيضا الكثيرين من عوام الإنس - وحتى الآن - بذلك.

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾.

وأراد المولى عز وجل الفعال لما يريد، أن يلقن العالمين جنه وإنسه معا درسا أبديا لا ينسى وسخر لذلك واحدة من أصغر وأضعف مخلوقاته على ظهر الأرض ليؤكد لهما بأنه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هو عالم الغيب والشهادة. وهو وحده الذى ينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام «شقيه وسعيده، مؤمنه وكافره.. إلخ» وأنه وحده الذى يعلم ماذا تكسب النفس غدا، وبأى أرض تموت.

لقد سخر العلى القدير لذلك «دابة الأرض» التى تأرض الأشياء لتأكل منها

(الأرضة) لتأكل من منسأة سليمان (أى عصاه) التى كان متكئا عليها، فاختل توازن جثمانه الفاقد للحياة وسقط على الأرض. فأيقنت الجن وشياطينهم بأنهم لا يعلمون الغيب. وإلا ما لبثوا فى العذاب المهين لهم باعتقادهم بأنه كان لا زال حيا، رغم فوات وقت ليس بالقليل على موته.

والأرضة كما هو معروف وورد فى معاجم اللغة (لسان العرب - المعانى الجامع) هى حشرة صغيرة جدا بيضاء تشبه النملة، تظهر فى الربيع وتعيش فى مستعمرات كبيرة، وتأكل الخشب والحبوب ونحوهما.

وقد أتصور فى هذا المقام أن البعض سيبادرنى متسائلا بشىء من الدهشة:

أليس ما تقوم به من بحث حول «الدابة» كأحد العلامات الكبرى التى تقع بين يدى الساعة هو بمثابة ضرب من ضروب التدخل فى علم الغيب؟!

ولكننى أود قبل الإجابة على هذا السؤال أو بالأحرى قد يكون تمهيدا لازما للإجابة عليه أن أذكر السائل بأنه قد يذهب عديد من الناس، فى تعريفهم للغيب، إلى أنه كل ما غاب عن إدراكه، وهم بذلك يتوسعون فى مدلول الغيب حتى ليحتوى تقصيرهم فى الاجتهاد فى الأسباب لتحصيل العلم وتدبر الآيات، وما أرساه المولى عز وجل فى هذه الآيات من سنن ومعادلات لا يحدها زمان ولا مكان فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا الإيمان بما جاء فى كتبه وعلى ألسنة رسله. وإذا كان الله عز وجل قد أعلمنا فى كتبه بأنه العدل المطلق وأنه بالمرصاد لكل ظالم أو طاغية، أو فاسد فى الأرض، وأنهم لن يفلتوا من سوط عذابه عاجلا أم آجلا وضرب لنا الأمثال لنعتبر بها فى آياته. وبنينا حساباتنا ووقفنا بعلمنا وإيماننا على هذه المعادلات وتفسيراتنا المنطقية لنصوصها السامية على حدث مستقبلى.. فإن الاجتهاد فى الأسباب لتحصيل هذا العلم مناشدة

للحق والحقيقة ليس فقط يخرج عن كونه تدخلا فى علم الغيب.. بل أكاد أرى - من وجهة نظرى - بأنه يخرج أيضا عن كونه تنبوءًا لأن المقدمات والنتائج قد تم ارساؤها سلفًا - والله أعلى وأعلم -.

ولقد أراحنا الحق سبحانه وتعالى بالحق الذى لا مراء فيه فى هذه القضية وهو أن الغيب إنما ينحصر فيما أخبرنا سبحانه وتعالى عنه بأنه غيبا. وأنه لا علم لأحد من الخلق عنه، وإن جاهد واصطبر وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

ومن المتعارف المتفق عليه أن علم الساعة يعنى تحديد توقيت قيام الساعة - وليس اقترابها من عدمه. وإلا لما أعلمنا سبحانه وتعالى بأشراطها والعلامات الكبرى التى ستسبقها وتعلن عن اقترابها.. ليتسنى منح فرص الاستغفار والتوبة وتقوى الله لاتقاء سعير جهنم رحمة بالعباد.

ومن هنا فإننا نرى أن جهدنا القاصر على مجرد تفسير النصوص وتطبيقهاعلى وقائع الأحداث ومجريات الأمور فى عصرنا الذى نعيشه ونعايش فتنه وتقلباته لا يخرج عن إخراج البعض من غفلتهم فى هذا العصر الذى طغت فيه على الناس الغفلة وكثرة الفتن.

لذا فإنه بالقياس على ما قدمنا وترتيبا عليه، وإذا ما أعملنا العقل وأمعنا النظر فى لفظ «دابة من الأرض» المنصوص عليه فى قوله عز وجل فى الآية الثامنة عشر من سورة النمل:

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٠-٨٢].

فإنه سيكون من جنس لفظ (دابة الأرض) التى سخرها العلى القدير لتكشف

عن موت النبى سليمان للجن وشياطينه حيث بينت لهم وللإنس بجلاء، أنهم لا يعلمون شيئا عن الغيب كما كانوا يدعون، بعدما أرضت منسأته فاختل توازن جثمانه - كما قدمنا - وخر على الأرض.

وستكون مثيلة فى صغر حجمها وضعفها وإن كان أثرها سيكون أكثر عمقا وأشد خطورة أضعافا كثيرة مضاعفة إذ سيسخرها العلى القدير عز وجل لإيقاع العذاب الأليم والجراح البالغة العميقة (تكلمهم: تجرحهم).. بكل كافر أو مشرك أو منافق، أو مكذب لآيات الله، أو طاغية مستبد أو فاسد مفسد فى الأرض.. وسينجى العلى القدير منها فقط المؤمنين الصالحين من عباده. وفى رأينا أنه لا مانع أن هذه الدابة شكل متطور من نوع الحشرات الموجودة الآن - ويكثر فى المستقبل - وتنقل الكثير من الأمراض إلى الأحياء على وجه الأرض والذى له بعض الإلمام بعلم الطب وتحقيقات الأمراض يعلم - على سبيل المثال - أن للطاعون وغيره من الأمراض الخطيرة جراثيم تنتقل إلى الدم عن طريق قرص حشرة البعوض وغيرها، وتسبب آلاما شديدة وجراحا بالغة ونزيفا فى المعدة والأمعاء والأنف، والتهاب رئوى حاد يؤدى إلى نقص الهيموجلوبين والأوكسجين والاختناق، مما يسبب احتقان وقتامة واسوداد فى الوجه) تنتهى غالبا بالوفاة.

ومن المعروف المشاهد فى عصرنا هذا أن بعض الأمراض التى تنقلها هذه الحشرات بما تحمله من جراثيم مثل التيفود والحمى الشوكية، وإنفلونزا الطيور، وإنفلونزا الخنازير، والإيبولا.. إلخ والتى تشترك فى كثير من الأعراض التى قدمناها - تطلبت جهدا عسيرا ومضنيا من العلماء للوصول إلى علاج لها.. ومع ذلك لم يتم القضاء عليها نهائيًا.. بل للأسف تتطور هذه الجراثيم مع مرور الزمن وتتطلب جهدا أكبر وأكبر لعلاجها.

ولعل هذا يفسر حديث الرسول ﷺ بخروج الدابة أكثر مرة - كما قدمنا آنفا

- وفى رأينا - والله أعلى وأعلم - أن هذه الدابة والتى سيخرجها الله العلى القدير سبحانه وتعالى من أرض يابسة كأغلب الحشرات الضارة - وكما حدثنا به الرسول ﷺ كما تقدم - ستحمل جراثيم (فيروسات) تخرج من استها - كما نبأنا به الإمام على رضي الله عنه - ستكون أشد إيلاما وشراسة من جراثيم كافة ما ذكرنا من أمراض وباعتبارها آية من آيات الله سيستحيل على علماء الأرض الوصول إلى علاج ناجع لها أو لأعراضها والتى ستكون منها القراح والجروح ونزيف الدم فى الأنف والمعدة والأمعاء والالتهاب الرئوى الحاد الذى يؤدى إلى احتقان وقتامة الوجه واسوداده لكل كافر أو طاغية أو ظالم أو فاسد ومفسد فى الأرض تاركة المؤمنين بوجوههم الجلية المضيئة من أثر السجود ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩] وسبحان من أنزل هذا الكلام:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[آل عمران: ١٠٦].

فتحقق بذلك الأحاديث التى تنبأنا بأنها تجلى وجه المؤمن وتسم وجه الكافر فيميز بها الخبيث من الطيب والمؤمن من الكافر وسيكون هجومها على الكافرين والمشركين والمنافقين والمفسدين وملاحقتهم على ضعفها وصغر حجمها أينما وجدوا حتى المساجد - ومنها بيت الله الحرام - حيث يتظاهرون بالتعبد والصلاة فيها هربا منها.

وسيقر علماء الأرض بعجزهم عن مقاومة ما تسببه من أذى كبير وألم شديد مع ما أوتوه من بسطة العلم والحيلة لكونها آية من آيات الله وإحدى العلامات الكبرى التى ستقع بين يدى الساعة.

وقد تجدر الإشارة هنا إلى ما ورد فى رواية أبى هريرة رضي الله عنه المذكورة فى مشكاة المصابيح إذ قال: قال رسول الله ﷺ «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون

ولا الدجال» متفق عليه - وقال الشارح: الظاهر وقوعه فى آخر الزمان.

وقد يجدر بنا هنا أيضا وقبل نهاية هذا الباب وبحثنا فيه حول «الدابة» أن نلفت النظر حول ما ورد فى الآية الشريفة الرابعة عشر من سورة سبأ :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[سبأ: ١٤].

وما ورد فى الآية الشريفة الثامنة عشر من سورة النمل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمل: ٨٢].

من تكرار لفظ «الأرض» فى كل من الآيتين ففى الآية ١٤ من سورة سبأ ورد لفظ «دابة الأرض» وفى الآية ١٨ من سورة النمل ورد لفظ «دابة من الأرض» مما يعنى أن عناصر تركيب كل من الدابتين البيولوجى من عناصر تربة الأرض - وليس من مكان آخر غير الأرض.

وهنا قد يتساءل البعض بشىء من الدهشة - وهل هناك مكان آخر سوى الأرض تعيش فيه دواب؟!

وللأجابة على هذا السؤال قد يجدر بنا أن نتأمل بشىء من إمعان النظر وإعمال العقل أيضا فيما ورد فى الآية الكريمة التاسعة والعشرين من سورة الشورى إذ قال العلى القدير عز وجل :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[الشورى: ٢٩].

ومن المعروف أننا إذا فسرنا هذه الآية الكريمة بظاهر النص وحرفيته على

سبيل الجزم نقول المراد بجمعهم: حشرهم يوم القيامة ومعنى قدير: متمكن من ذلك فلا يتعذر عليه سبحانه جمعهم وأن تمزقت أوصالهم - ولكن ذهب بعض الباحثين (القانعين بعلم التأويل) فى آيات القرآن المجيد الفلكية، والعوالم العلوية والباراسيكولوجى والإعجاز العلمى فى القرآن إلى معنى آخر فى الآية الكريمة بالإضافة إلى ما تقدم يؤكدون فيه على أن الله سبحانه وتعالى خلق فى السماوات دوابا. بدليل ما ورد فى الآية الكريمة الخامسة والأربعين فى سورة النور إذ قال جل وعلا: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾[النور: ٤٥].

وأنه بهذا الدليل تكون الدواب المذكورة فى الآية الشريفة بسورة الشورى ليست هى الملائكة كما قال معظم المفسرين، بل هى حيوانات كحيوانات الأرض، وبالتالى ليس ببعيد أن يكون بينهم حيوان عاقل كالإنسان، كما أنه يتبع ذلك ويلزم أيضا لحياة تلك الحيوانات - بلا ريب - أن يكون فى السماوات نباتات وأشجار وبحار وأنهار - كما أقر بذلك فى عصرنا الحالى - منذ بضع عقود - علماء الرصد والباراسكولوجى.

ولا ريب أن هذه الآية الشريفة التى نزلت على الصادق الأمين ﷺ منذ أربعة عشر قرنا، لآية عظيمة لأهل الفكر والعلم والفلسفة فى هذا العصر الذى يبذلون فيه الأموال بلا حد ولا حساب - تكفى لإطعام وعلاج جياع ومرضى البشرية كلها - ليتوصلوا إل يمعرفة سر من أسرار الكائنات، ومع هذا الإنفاق الضخم والجد العنيف والجهد المتواصل لم يتوصلوا إلا بالظن إلى ما أنبأت به هذه الآية الكريمة، ولما ثبت لديهم جميعا وجود الماء والهواء، وحصول الصيف والشتاء فى هذه الكواكب السيارة، ظنوا أنه يوجد فيها عالم كعالم الأرض. ولا زال البعض منهم يواصل الجهد لايجاد الوسائل للمخابرة، وكيفية التواصل مع سكان المريخ الذى هو أقرب

السيارات إلينا. وعلى أية حال فإن ذلك ليس بالمستحيل علما ومنطقا.

ودليل آخر على إمكانية ذلك الذى أخبرت به هذه الآية الكريمة، يقول فى آخرها سبحانه وتعالى «وهو على جمعهم إذ يشاء قدير» فلا يبعد أن يتخابرا ويجتمعا فكرا، إذا لم يجتمعا جسما، فلينظر العلماء إلى ما حوته هذه الآية المكنوزة فى القرآن المجيد وليعلم المعجبون منا بالعلوم العصرية، الضاربون صفحا عن العلوم الإسلامية، ما فى كتاب الله جل وعلا من العلم والحكمة والبيان.

ولا جدال أو ريب أن الله عز وجل أنزل القرآن المجيد لبيان الحق وتعليم الدين أولا وبالذات «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» لكن - وتمهيدا لهذا السبيل - أتى بشذرات من العلوم الفلكية والطبيعية، لتحفيز بصائر الناس وعقولهم إلى التفكر فى خلق السماوات والأرض، وما هن عليه من الإبداع المعجز فوجه أبصارهم إلى التأمل فى خلق الإنسان وما هو عليه من التركيب العجيب المعجز، إلى غير ذلك من الأمور الفلكية والطبيعية فى أكثر من ثلثمائة آية كريمة. ولكن المفسرين - رحمهم الله - لما فسروا هذه الآيات، شرحوا معانيها على مقدار محيط علمهم بالعلوم الفلكية والطبيعية. ولا يخفى ما كان عليه هذا المقدار من محدودية ونقصان ولاسيما فى علوم الفلك والفضاء.. فهم معذورون إذا لم يدركوا معانى هذه الآيات التى حيرت عقول وعلماء ومفكرى وفلاسفة عصرنا هذا المتضلعين بالعلوم العقلية، لذا لم يفسروا هذه الآيات حق تفسيرها.

كما أن هناك أمر خطير آخر يأخذ به بعض المفسرين المحدثين تحت شعارهم القائل «آمنا بكتاب الله على مراد الله منه» ثم يغلون فى ذلك غلوا شديدا فى الاحتياط ينتهى غالبا بسالكى سبيله إلى التعطيل، وتجريد القرآن المجيد عن كثير من معانيه الداعية إلى الانتفاع منه.

وفى رأينا - أن هذا لا يرتضيه لكتاب الله العزيز مسلم غيور، فلو أن المسلمين حرموا نعمة الاجتهاد، ومتعوا أن يعملوا عقولهم وآرائهم فى كتاب الله - متقيدين

بلغته ومقاصده - لحرموا خيرا كثيرا.

وقد ثبت فى أصول الفقه - على ما يروى العلامة الفخر الرازى فى كتابه «مفاتيح الغيب» أن المتقدمين إذا ذكروا وجها فى تفسير الآية فإن ذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر فى تفسيرها ولولا جواز ذلك لصارت الدقائق التى استنبطها المتأخرون فى تفسير كلام الله تعالى، مردودة باطلة، ومن المنطقى المعلوم أن هذا القول لا يقول به إلا مقلد لا وزن له.

وسبحان من أنزل هذا الكلام بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] أى لا يهتدى إلى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه بعد المولى عز وجل إلا عباده الذين رسخوا فى العلم وثبتوا فيه وتمكنوا منه وأحسنوا الاجتهاد فى التأويل.

ومن الملاحظ الملفت للنظر أن من أهل العلم من يقف على قوله تعالى «إلا الله» ثم يبتدأ بقوله تعالى: «والراسخون فى العلم يقولون آمنا به» ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه ومعرفة الحكمة فيه من آياته، كعدد الزبانية ونحوه.

وقال فى ذلك الإمام الرازى - رحمه الله: والرأى الأول هو الوجه - يعنى أن المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخبن فى العلم - وهؤلاء الراسخون فى العلم يذهب مذهبهم أتباعهم والآخذون عنهم، وعلى ذلك لا يكون إيمان المسلمين بالقرآن قائما على التعطيل ولكنه يكون قائما على الفهم، وحسن التأويل. وكل تأويل يزيد المسلم اطمئنانا إلى فهم الآية من كتاب الله، وواجب عليه أن يأخذ به، وأن يجرى على سننه، ما دام متقيدا بحدود اللغة التى نزل بها، وملتزما حدود الشريعة التى أوضح معالمها، ورفع أعلامها.

وبهذا يتضح جليا ما قصدنا إليه فى هذه الخاتمة من الأمرين اللذين ذكرناهما، فإن يكن ذلك صوابا فالحمد لله على نعمائه، وإن يكن غير ذلك فهو سبحانه وتعالى ملجأنا وملاذنا لستر العيوب وغفران الذنوب، وهو حسبنا ونعم الوكيل. نعم المولى ونعم النصير.

المراجـــع

اسم المرجع	اسم المؤلف
القرآن الكريم	
صحيح البخارى	الإمام البخارى
صحيح مسلم	الإمام مسلم
الجامع	الإمام السيوطى
تفاسير القرآن الكريم	الأئمة ابن كثير والقرطبى وابن جرير الطبرى وفخر الدين الرازى
نظم المتناثر من الحديث المتواتر	الحافظ الكتانى
عقد الدرر فى أخبار المنتظر للإمام المقدسى	معجم أحاديث الإمـام المهدى ج٢ ص١٧
نظرة عابرة فى نزول عيسى عليه السلام	الكوثرى
فوائد الأخبار	أبو بكر الإسكافى
شرح السيرة	أبو القاسم السهيلى
التصريح بما تواتر فى نزول المسيح	محمد أنور شاه الكشميرى - تحقيق عبدالفتاح أبو غرة

لوامع الأسرار البهية	العلامة السفايني
كبرى اليقينات الكونية	أ.د/ محمد سعيد رمضان البوطى
معالم التنزيل ولباب النقول فى أسباب النزول	الإمام السيوطى
الإشاعة لأشراط الساعة	محمد صديق حسن الفتوحى
المهدى المنتظر	إبراهيم المشرخى
التوضيح فى تواتر ما جاء فى المهدى المنتظر والمسيح الدجال	محمد بن على الشوكانى
القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح	نذير أحمد
دائرة معارف القرن العشرين - مادة الدجال	العلامة محمد فريد وجدى
معالم التنزيل - ولباب العقول فى أسباب النزول	الإمام السيوطى
تاريخ العالم (ج٢ - ص ١٠٨٥)	د. همرتن
قصص الأنبياء	الإمام أبو الحسن محمد بن عبيدالله الكسائي
الحروب الفارسية الكبرى	أ.د/ جرندى C.B. Grundy الأستاذ بجامعة أكسفورد

الكتاب	المؤلف
كتاب حفارو القبور - وكتاب الأصوليات المعاصرة	العلامة روجيه جارودى
الآثار الباقية (ص ٤٠)	أبو الريحان البيرونى
ويسألونك عن ذى القرنين	مولانا أبو الكلام أزار
الشفاء	الشيخ أبو على ابن سينا
دراسات فى العهد القديم	البروفيسور/ ماكس لوئر Max Loehr
رحلتى إلى إيران وجورجيا	السيد/ روبرت بورتر sir Robert Porter
الآثار القديمة فى إيران L'ariantique en perse	الكاتب الفرنسى الشهير دى لافواى Diue lafoy
حكمة الإشراق	شيخ الإشراق شهاب الدين المقتول
كلمات طيبات	موزا جان جانان
تاريخ سنى ملوك الأرض	أبو حمزة الأصفهانى
كتاب دربند نامه المترجم إلى الإنجليزية تحت اسم "تاريخ دربند"	الكاتب التركى الشهير كاظم بك أستاذ التركية والفارسية
شمس العرب تسطع على الغرب	المستشرق زيجريد هونكا

معجم المعانى الجامع

معجم لسان العرب

معجم الصحاح

معجم مقاييس اللغة

كنز العمال - المجلد السابع

سنن ابن ماجة - الجزء الثانى

فهرس المحتويات